الشيخ نعيم قاسم

عاشوراء

مدد وحياة

طبعة جديدة ومزيدة

دار المحجة البيضاء

الشيخ نعيم قاسم

عاشوراء

مـــدد وحيـــاة

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولـــى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م

الطبعة الثانيـــة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م

الطبعة الرابعة المزيدة والمنقَّحة ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

المحتوى

الفصل الاول

سيرة الإمام الحسين عليه السلام من الولادة إلى رفض البيعة

الفصل الثاني

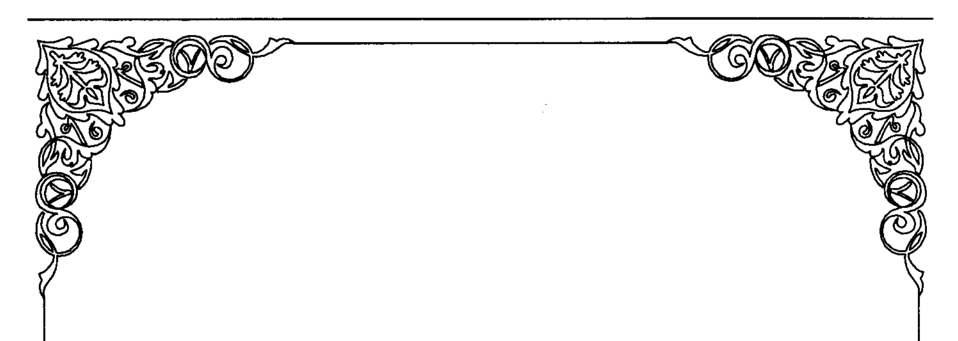
سيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء

الفصل الثالث

إضاءات على السيرة

الفصل الرابع

محاضرات عاشورائية



الإهـــــداء

شهادتك يا سيد الشهداء هداية

وكلماتي على السطور إهداء .

وفرق الإهداء إلى الهداية

كفرق السطور إلى الصدور العارفة .

فلعل إهداءها إلى المقاومين الأبطال

يربطني بركبهم إليك .

فإلى شهداء ومجاهدي المقاومة الإسلامية أهدي سطوري

وعلى خط الإمام الحسين عليه السلام زمام أموري .



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأعظم رسله سيدنا وقائدنا أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، والسلام على الحسين عليه السلام وآل بيته وصحبه، وعلى شهداء المسيرة المحمدية الأصيلة ورحمة الله وبركاته.

كربلاء الحسين عليه السلام تاريخ حي يتجدد، وهي المدد الدائم الذي يعطي ويتألق، وشهادة سيد الشهداء عليه السلام مدرسة تربي الأبطال في مواجهة الظلم والعدوان، وشخصية الإمام الحسين عليه السلام قيادة قدوة تلهم الأحرار، وما انجزته نهضة الحسين عليه السلام أنار الطريق وكشف الزيف والانحراف. نحن مدينون لعاشوراء بالتعبئة والنصر والشهادة والاستقامة والحيوية والنموذج... وسنبقى دائماً بحاجة لسبر غور نهضة الإمام الحسين عليه السلام، لنوسِّع مداركنا، ونرسم طريق عزَّتنا، فالحياة الإسلامية الأصيلة لا تكتمل إلاَّ بنهج عاشوراء.

بدأتُ مساهمتي في تدوين الأفكار المستفادة من عاشوراء عندما جمعتُ بعض المحاضرات ونقَّحتُها تمهيداً لطباعتها، لكني وجدتُ من

الأفضل كتابة عرضٍ موجز عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام بالتواريخ والوقائع الدقيقة، التي تبتعد عن الأطناب والحشو والاستطراد، معتمداً في ذلك على المصادر الأساسية التي تَحدَّثَتْ عنها، ما يقدِّم فكرة شاملة عن الأحداث التي ارتبطت بنهضة الإمام عليه السلام من ولادته إلى شهادته، يستطيع القارىء من خلالها أن يتعرَّف على الحسين عليه السلام وأهدافه، والدور العظيم الذي قام به لإحياء الدين.

وبما أنَّ أسئلة كثيرة تُطرح حول عاشوراء، عن أسباب متابعة مسير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة؟ واصطحاب النساء والأطفال؟ واستمرار أحياء مجالس عاشوراء بكيفيتها وتفاصيلها حتى يومنا هذا؟ وأثر الإحياء على العلاقة بين السنة والشيعة؟ وغيرها من الأسئلة، فقد ارتأيت اختيار التساؤلات والإجابة عنها، ضمن فصلٍ مستقل سمَّيته: «إضاءات على السيرة»، وذلك بعد عرض السيرة، مستفيداً من وقائعها في التحليل والاستنتاج.

نشأ عن هذه الخطة كتاب: «عاشوراء مدد وحياة»، بفصوله الأربعة التالية:

الأول: سيرة الإمام الحسين عليه السلام من الولادة إلى رفض البيعة، وتتضمن حياته مع جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ووالديه علي عليه السلام والزهراء عليها السلام، وأخيه الحسن عليه السلام، وفترة إمامته إلى رفض البيعة وما رافقها من تطورات ومواقف، كما تتضمن مكانته وعبادته وأخلاقه وبعض كلماته.

الثاني: سيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وتتضمن رفضه لبيعة يزيد بن معاوية، وخروجه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ثم إلى كربلاء، وما رافق هذا المسير من أحداث ومواقف للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، لينتهِ الفصل بأحداث يوم العاشر وموقعة كربلاء.

الثالث: إضاءات على السيرة: وفيها إجاباتٌ عن أربعة عشر سؤالاً تدور حول أسباب ونتائج نهضة الإمام الحسين عليه السلام، بأسلوبٍ مختصر، ومضمونٍ موثَّقٍ بالأدلة، وتحليلٍ يوضِّح المواقف المتخذة.

الرابع: محاضرات عاشورائية، تتضمن إحدى عشرة محاضرة ترتبط بعاشوراء، وتتحدث عن: الاستقامة، مسؤوليتنا تجاه عاشوراء، التكليف، العاطفة، كربلاء والانتصار، النموذج المتجدد، العزة والذلة، معسكر الإمام الحسين عليه السلام، المرأة في كربلاء، وراثة الأرض. وقد ألقيتها في أوقات وأماكن مختلفة، ثم أعددتها لتكون جزءاً من هذا الكتاب.

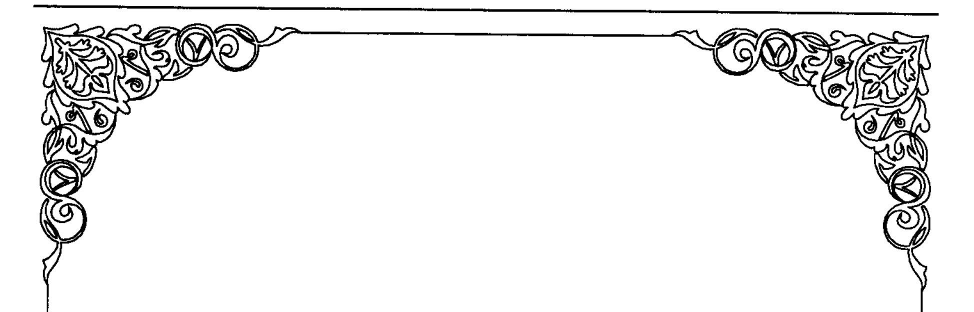
تتميَّز هذه الطبعة الرابعة لكتاب «عاشوراء مدد وحياة»، عن الطبعتين الأولى والثانية، بإضافة فصل كامل هو الفصل الأول «سيرة الإمام الحسين عليه السلام من الولادة إلى رفض البيعة»، وزيادة بعض الوقائع عن الأصحاب في الفصل الثاني «سيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء»، ما يعطي المزيد من المعلومات التي تكمِّل الصورة المحيطة بأحداث كربلاء، كما أجريتُ تنقيحاً للفصل الثالث «إضاءات على السيرة»، وأضفتُ إليه جزءاً أجبتُ فيه عن العبادة والشهادة، وموقع الحسين عليه السلام في الأمة، ولم أجرِ أي تعديل على الفصل الرابع «محاضرات عاشورائية».

أسأل الله تعالى أن يقبلني من خدَّام مسيرة الإمام الحسين عليه السلام قولاً وعملاً، وأن يحتسب لي هذا الجهد في صحيفة أعمالي يوم الحساب.

نعيم قاسم

٢٢ ذو القعدة ١٤٣٠هـ

١٠ تشرين الثاني ٢٠٠٩م



الفصل الأول

سيرة الإمام الحسين عليه السلام

من الولادة إلى رفض البيعة



سيرة الإمام الحسين عليه السلام
من الولادة إلى رفض البيعة

ولادة الإمام الحسين عليه السلام

وُلد الإمام الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان من السنة الرابعة للهجرة، وهو الولد الثاني بعد الإمام الحسن عليه السلام لوالديه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. طلب جدُّه النبي صلى الله عليه وآله من أسماء بنت عميس أن تعطيه الحسين عليه السلام عند ولادته، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره، فبكى.

فقالت أسماء: بأبي أنت وأمي، ممَّ بكاؤك؟

قال صلى الله عليه وآله: على ابني هذا.

قالت: إنه وُلد الساعة يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله تقتله الفئة الباغية بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي».

ثم سأل النبي صلى الله عليه وآله والده أمير المؤمنين عن تسمية المولود الجديد، فقال: «ما كنتُ لأسبقك بإسمه يا رسول الله»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولا أسبق بإسمه ربي عزّ وجل»، ثم هبط جبرائيل عليه السلام فقال: «يا محمد،

العليُّ يُقرئك السلام، ويقول: عليٌ منك كهارون من موسى عليه السلام، سمِّ ابنك هذا بإسم ابن هارون: شُبير. قال النبي صلى الله عليه وآله: لساني عربي. فقال جبرائيل عليه السلام: سمِّه الحسين». فلما كان يوم سابعة، عقَّ عنه النبي صلى الله عليه وآله بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثمَّ حلق رأسه، وتصدَّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق»[١].

وهذا ما حصل أيضاً مع الإمام الحسن عليه السلام، من الآذان والتسمية والعقيقة، إلاَّ أنَّ اسم الابن الأكبر لهارون شُبَّر، ومقابله العربي: الحسن.

الحسين عليه السلام مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله

عاش الإمام الحسين عليه السلام مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي توفي في ٢٨ صفر ١١ هـ، ست سنوات وستة أشهر وخمسة وعشرين يوماً، رعاه الرسول صلى الله عليه وآله فيها رعاية مباشرة، بدأت منذ ولادته، واستمرت خلال سنوات طفولته، وقد لمس المسلمون هذه الرعاية من خلال اصطحابه معه إلى المسجد وفي بعض اللقاءات، وكذلك كان يفعل مع الإمام الحسن عليه السلام، ولذا نرى أغلب الروايات تتحدث عنهما معاً.

روى أحد الصحابة، أنَّ النبي»إذا سجد، وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً حتى ويضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا، حتى إذا قضى صلاته أقعدهما على فخذيه». ولم يرض أن يأخذهما أحدٌ منه وهو على هذه الحال، حتى لاحت له ابنته الزهراء عليها السلام من بعيد، فقال لهما: «الحقا بأمكما»[٢].

وعن جابر، قال: دخلتُ على النبي صلى الله عليه وآله، والحسن والحسين على

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص: ٢٨ و ٢٩.
(٢) الإمام أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص: ٥١٣.

ظهره، وهو يجثو بهما، ويقول: نِعْمَ الجملُ جملكما، ونِعْمَ العدلان أنتما». وعن أحد الصحابه، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله «كان جالساً، فأَقبلَ الحسن والحسين، فلمَّا رآهما النبي قام لهما، واستبطأ بلوغهما إليه، فاستقبلهما، وحملهما على كتفيه، وقال: نِعْمَ المطي مطيكما، ونِعْمَ الراكبان أنتما، وأبوكما خيرٌ منكما»(١).

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد على العلاقة العاطفية مع الحسن والحسين بحبهما، وأنَّهما ريحانتاه في الدنيا، وأنَّ على المسلمين أن يحبوهما، واعتبر أنَّ حبهما يعني حب الله ورسوله، ولهذا دلالة على أن الحبَّ المطلوب لهما يتجاوز الحدود العاطفية إلى الاقتداء بهما، والاستماع إلى أوامرهما، فمواقفهما هي الصواب، ومعاداتهما انحرافٌ عن الدين.

عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنَّ ابني هذين ريحانتاي من الدنيا».

وعنه صلى الله عليه وآله: «من أحبني فليحب هذين».

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «من أحبَّ الحسن والحسين عليهما السلام أحببته، ومن أحببته أحبَّه الله، ومن أحبَّه الله عزَّ وجل أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلَّده في النار»(٢).

الحسين عليه السلام مع أمه الزهراء عليها السلام

عاش الإمام الحسين عليه السلام مع والدته الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين التي انتقلت إلى الرفيق الأعلى في ١٣ جماد الأول ١١هـ، ست سنوات وتسعة أشهر وعشرة أيام، رعته خلالها رعاية تنسجم مع نموذج الكمال الإنساني الذي تميَّزت به السيدة الزهراء عليها السلام المعصومة، ابنة

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ١٥٨.
(٢) الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢، ص: ٢٨.

خاتم الأنبياء والرسل ﷺ، وهي تُدرك تماماً بأنَّها تهيء سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام لدور عظيم في حياة الأمة الإسلامية وعلى مستوى البشرية جمعاء.

على الرغم من الفترة القصيرة لهذه الرعاية، فإنَّنا أمام أمٍ تدرك جوانب التربية الناجحة، لإبنٍ يتلقى الرعاية الإلهية من نبعي النبوة والإمامة، ما يختصر الطريق لبناء هذه الشخصية الإنسانية الفريدة.

كانت السيدة الزهراء عليها السلام حريصة على استفادة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام من مَعين جدهما رسول الله ﷺ، وهي تتابع تكوين شخصيتهما لمتابعة مسيرة الإسلام بعد الرسول ﷺ، وترغب معرفة الآثار التي أودعتها تربية الرسول ﷺ لهما، ما دفعها أن تأتِ إلى والدها في مرضه الذي توفي فيه، وتقول له: «يا رسول الله، هذان ابناك فورِّثهما شيئاً. قال ﷺ: أمَّا الحسن فإنَّ له هيبتي وسؤددي، وأمَّا الحسين فإنَّ له جرأتي وجودي».

وفي رواية أخرى، قالت عليها السلام: «هذان إبناك فانحلهما. فقال ﷺ: أمَّا الحسن فنحلتُه هيبتي وسؤددي، وأمَّا الحسين فنحلتُه سخائي وشجاعتي»[1].

لقد أبرزت لحظة فراق الحسين عليه السلام لأمه الزهراء عليها السلام عمق العلاقة بينهما، وفي الرواية، «عندما توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام، دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقالا: يا أسماء (بنت عميس)، ما يُنيم أمُّنا في هذه الساعة؟ قالت: يا بني رسول الله، ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا. فوقع عليها الحسن عليه السلام يقبِّلها مرة، ويقول: يا أمَّاه، كلميني قبل أن

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٧٧.

تفارق روحي بدني. وأقبل الحسينعليه السلام يقبِّلُ رجلها ويقول: يا أمَّاه، أنا أبنك الحسين، كلميني قبل أن ينصدع قلبي فأموت»[١].

الحسينعليه السلام مع أبيه عليعليه السلام

عاش الإمام الحسينعليه السلام مع أبيه أمير المؤمنينعليه السلام الذي استشهد في ٢١ رمضان ٤٠هـ، حوالى ستة وثلاثين عاماً منها حوالى تسع وعشرين سنة وسبعة أشهر فترة إمامة الأميرعليه السلام بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله. كان الحسينعليه السلام مؤمناً بأحقية أبيه للإمامة وقيادة المسلمين، ولكنَّه اعتمد اسلوبه في النقاش بحقه من دون إثارة النزاع بين المسلمين، وكان يعمل على التبليغ لدعوة الإسلام، والمحاججة بالعقيدة الصحيحة والأحكام الشرعية، وكان مع أبيه في كل محطات حياته ومواقفه، وقد برز هذا الأمر في محطات عدة، نذكر منها:

١ ـ عندما أمر الخليفة الثالث عثمان بإبعاد أبي ذر الغفاري عن المدينة المنورة إلى الربذة، خرج أمير المؤمنين عليعليه السلام مع ولديه الحسن والحسينعليهما السلام، وعقيل وعمار بن ياسر لتوديعه، فتحدث الأمير وطلب من كلٍ من الحضور أن يقول كلمته، فقال الحسينعليه السلام: «يا عمَّاه، إنَّ الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى، والله كل يوم في شأن. وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك، فما أغناك عمَّا منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم، فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذبه من الجشع والجزع، فإنَّ الصبر من الدين والكرم، وإنَّ الجشع لا يقدم رزقاً، والجزع لا يؤخِّر أجلا»[٢].

---

(١) لجنة الحديث، موسوعة كلمات الإمام الحسينعليه السلام، ص: ١٤٦.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٢، ص: ٤١٢.

٢ ـ طلب أمير المؤمنين علي عليه السلام من الإمام الحسين عليه السلام أن يستسقي أهل الكوفة، بعد أن امتنع عنهم المطر، فأكرمه الله تعالى بنزول المطر الغزير، وهي الفاتة من أمير المؤمنين علي عليه السلام للقوم عن مكانة الحسين عليه السلام عند الله تعالى، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «جاء أهل الكوفة إلى علي عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا. فقال للحسين عليه السلام: قم واستسق. فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، وقال: أللهم معطي الخيرات، ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدرارا، واسقنا غيثاً مغزاراً، واسعاً، غدقاً، مجللاً، سحاً، سفوحاً، فجاجاً، تُنفِّس به الضعف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك، آمين رب العالمين. فما فرغ عليه السلام من دعائه، حتى غاث الله تعالى غيثاً بغتة. وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة، فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض»[١].

٣ ـ عزم أمير المؤمنين علي عليه السلام على الخروج بالجيش من الكوفة باتجاه صفين لقتال جيش معاوية، فصعد المنبر في مسجد الكوفة، وحثَّ الناس على ذلك، ثم قام الحسن عليه السلام فتحدث، ثم قام الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «يأهل الكوفة، أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار، جدّوا في إحياء ما دثر بينكم، وتسهيل ما توعَّر عليكم. ألا إنَّ الحرب شرها ذريع وطعمها فظيع، وهي جرع مستحساة، فمن أخذ لها أهبَّتها، واستعد لها عدَّتها، ولم يألم كلومها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوانِ فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك قمن (جدير) ألاَّ ينفع قومه، وأن يهلك نفسه، نسأل الله بقوته أن يدعمكم بألفته»[٢].

(١) المصدر نفسه، ج٤٤، ص: ١٨٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٣٢، ص: ٤٠٥.

٤ ـ شكى المسلمون العطش في صفين، ولم يستطع بعض الفوارس إبعاد أبي أيوب الأعور السلمي عن الماء حيث منع جيش علي عليه السلام عنه، فعرض الحسين عليه السلام على أبيه أن يذهب لتأمين الماء، فسمح له بذلك، «فمضى مع فوارس، فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته، وحطَّ فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره»[1].

٥ ـ حرص أمير المؤمنين علي عليه السلام على أن لا يدفع بولديه الحسن والحسين عليهما السلام إلى واجهة معاركه الثلاثة التي خاضها أثناء خلافته، في الجمل وصفين والنهروان، على الرغم من مشاركتهما فيها، فقال في بعض أيام صفين، وقد رأى الحسن يتسرَّع إلى الحرب: «املكوا عني هذا الغلام لا يُهدَّني، فإنني أَنْفَسُ بهذين (يعني الحسن والحسين عليهما السلام) على الموت، لئلا ينقطع بهما نسلُ رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

وصية الأمير عليه السلام للحسين عليه السلام

اهتمَّ أمير المؤمنين علي عليه السلام ببعض الوصايا الخاصة للإمام الحسين عليه السلام، وهي تدل على الرعاية الأبوية الرسالية من ناحية، وتبيِّن المضامين العظيمة التي سيعمل عليها الإمام الحسين عليه السلام من ناحية أخرى، وتوجِّه المسلمين للاقتداء بها في حياتهم العملية من ناحية ثالثة، ولعلَّ أبرز وصية خاصة، ما ورد في كتاب «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله»، نذكرها لعمقها وفوائدها الجمَّة:

«يا بُني، أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وبالعدل على الصديق

---

(١) المصدر نفسه، ج٤٤، ص: ٢٦٦.
(٢) نهج البلاغة، من كلام له ٢٠٧، ص: ٥٠٢.

والعدو، وبالعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله في الشدة والرخاء.

أي بُني، ما شرٌ بعده الجنة بشر، ولا خيرٌ بعده النار بخير، وكلُّ نعيم دون الجنة محقور، وكلُّ بلاء دون النار عافية.

واعلم أي بُني، أنه من أبصرَ عيبَ نفسه شغل عن عيب غيره، ومن تعرَّى من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس، ومن رضي بقَسم الله لم يحزن على ما فاته، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها، ومن هتكَ حجاب غيره انكشف عورات بيته، ومن نسيَ خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن كابدَ الأمور عطب[1]، ومن اقتحم الغمرات غرق، ومن أُعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبَّرعلى الناس ذل، ومن خالط العلماء وقّر، ومن خالط الانذال حُقّر[2]. ومن سفه على الناس شُتم، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم، ومن مزح استُخف به، ومن أكثر من شئ عُرف به، ومن كثُر كلامه كثُر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبُه، ومن مات قلبُه دخل النار.

أي بُني، من نظر في عيوب الناس ورضي لنفسه بها فذاك الاحمق بعينه، ومن تفكَّر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سَلِم، ومن ترك الشهوات كان حُرًّا، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.

أي بني، عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مالٌ لا ينفد، ومن

---

(١) كابدها أي تحمَّل المشاق في فعلها بلا إعداد أسبابها. وعطب أي هلك. والغمرات: الشدائد.

(٢) الانذال جمع نذل: المراد بهم ذوو الاخلاق الدنية.

أكثرَ ذكر الموت رضيَ من الدنيا باليسير، ومن علم أنَّ كلامه من عمله قلَّ كلامُه إلا فيما ينفعه.

أي بُني، العجبُ ممن يخاف العقاب فلم يكّف، ورجا الثواب فلم يتُب ويعمل.

أي بُني، الفكرة تورث نورا، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والسعيد من وُعِظ بغيره، والادب خيرُ ميراث، وحسنُ الخُلُق خير قرين. ليس مع قطيعة الرحم نماء، ولا مع الفجور غنى.

أي بُني العافية عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في الصمت إلاّ بذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء».

أي بُني، من تزيَّا بمعاصي الله في المجالس أورثه الله ذلا، ومن طلب العلم عَلِم.

يا بُني، رأس العلم الرفق، وآفتهُ الخُرق[١]، ومن كنوز الايمان الصبر على المصائب، والعفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى. كثرةُ الزيارة تورث الملالة، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم[٢]، وإعجاب المرء بنفسه يدل على ضعف عقله.

أي بُني، كم نظرة جلبت حسرة، وكم من كلمة سلبت نعمة.

أي بني لا شرف أعلى من الاسلام، ولا كرم أعزَّ من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضى بالقوت، ومن اقتصر على بُلغة الكفاف تعجَّل الراحة وتبوَّأ خفض الدعة[٣].

---

(١) الخُرق: الشدة، ضد الرفق.

(٢) الطمأنينة قبل العلم بالشيء ضد ضبط الامر.

(٣) بُلغة: ما يتبلغ به من القوت. خفض الدعة: لين العيش والراحة.

أي بُني، الحرصُ مفتاحُ التعب، ومطيةُ النصب، وداعٍ إلى التَّقحم في الذنوب، والشَرَهُ جامعٌ لمساوي العيوب، وكفاك تأديبا لنفسك ما كرهته من غيرك. لأخيك عليك مثل الذي لك عليه، ومن تورَّط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرض للنوائب. التدبيرُ قبل العمل يؤمنك الندم. من استقبلَ وجوهَ الآراء عرف مواقع الخطاء. الصبرُ جُنة من الفاقة. البخل جلباب المسكنة. الحرص علامة الفقر. وصول معدم خير من جاف مكثر(١). لكل شيء قوت، وابن آدم قوت الموت.

أي بُني، لا تؤيِّس مذنبا، فكم من عاكفٍ على ذنبه خُتم له بخير، وكم من مقبلٍ على عمله مفسدٌ في آخر عمره، صائرٌ إلى النار، نعوذ بالله منها.

أي بُني، كم من عاصٍ نجا، وكم من عاملٍ هوى. من تحرَّى الصدق خفَّت عليه المؤن. في خلاف النفس رشدها. الساعات تنتقص الاعمار. ويلٌ للباغين من أحكم الحاكمين وعالمِ ضمير المضمرين.

يا بُني، بئس الزادُ إلى المعاد العدوان على العباد. في كل جرعة شرق(٢)، وفي كل اكلة غصص. لن تنال نعمة إلا بفراق أخرى. ما أقرب الراحة من النصب، والبؤس من النعيم، والموت من الحياة، والسقم من الصحة. فطوبى لمن أخلص لله عمله، وعلمه، وحبه، وبغضه، وأخذه، وتركه، وكلامه، وصمته، وفعله، وقوله. وبَخٍ بَخٍ لعالمٍ عملَ فجدَّ، وخاف البياتَ فأعدَّ واستعد، إن سُئل نَصح، وإن تُرك صَمَت، كلامُه صواب، وسكوتُه من غير عَيٍّ جواب. والويلُ لمن بُليَ بحرمانٍ وخذلانٍ

(١) من يصلِ الناس بحسن خلقه وهو فقير معدم، خيرٌ من سيء الخلق الذي يُكثر العطاء.
(٢) شرق: وقوف الماء في الحلق.

وعصيان، فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غير، وأزرى[١] على الناس بمثل ما يأتي.

واعلم أي بُني، أنَّه من لانَتْ كلمتُه وجَبَتْ محبتُه. وفَّقك الله لرشدك، وجعلك من أهل طاعته بقدرته، إنَّه جوادٌ كريم»[٢].

وصية الأمير عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام

ختم أمير المؤمنين عليه السلام وصايا ليلة شهادته، بأعظم توجيهات للأمة من بعده، أوصاها للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام بعد أن ضربه ابن ملجم(لعنه الله) بالسيف أثناء صلاته في المسجد فقال:

«أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحق، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا.

أوصيكما وجميع وُلدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظمِ أمركم، وصلاحِ ذاتِ بينكم، فإني سمعت جدَّكما صلى الله عليه وآله يقول: «صلاحُ ذاتِ البَين أفضل من عامة الصلاة والصيام.

والله الله في الأيتام فلا تغُبُّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم فإنَّهم وصيةُ نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننَّا أنَّه سيورِّثهم.

والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيرُكم.

والله الله في الصلاة فإنها عمودُ دينكم.

---

(١) أزرى: عاب.

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص: ٨٨-٩١.

والله الله في بيتِ ربِّكم لا تُخلوه ما بقيتم فإنَّه إن تُرك لم تُناظروا[١].

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله. وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قُتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلُنَّ بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا مِتُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا يُمثَّل بالرجل، فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إيَّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»[٢].

مكانة الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام هو ثالث الأئمة المعصومين عليهم السلام في سلسلة الإمامة، التي بدأت بسيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام، ثم الإمام الحسن عليه السلام، ثم الإمام الحسين عليه السلام ليكون الأئمة التسعة الباقون من ولده، وآخرهم الإمام محمد بن الحسن المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

أكّدت آيات وروايات كثيرة هذه المكانة المميزة لأهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام، نذكر بعضها:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]. ورد عن ابي سعيد الخدري في أسباب نزول الآية

---

(١) لم تُناظروا: لا يُنظر اليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس.
(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٤٧، ص: ٦٦٣.
(٣) سورة الأحزاب، من الآية: ٣٣.

الكريمة، أنَّه كان يوم مبيت الرسول ﷺ عند زوجته أم سلمة، «فنزل جبرائيل إلى رسول الله ﷺ بهذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فدعا رسول الله ﷺ بالحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام، فضمَّهم إليه، ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أم سلمة مضروب، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهِب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قالت أم سلمة: فأنا معهم يا نبي الله؟

قال ﷺ: أنتِ على مكانك، وإنَّك على خير»[1].

ذكر العلاَّمة الطباطبائي في تفسير الميزان روايات عديدة متشابهة، من طرق أهل السنة والشيعة، بهذا المعنى الذي يشمل أصحاب الكساء الخمسة المعصومين: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهم المقصودين بأهل البيت عليهم السلام فيما ورد من آيات وروايات. وفسَّر الآية بقوله: «كلمة(إنما) تدلُّ على حصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وكلمة أهل البيت سواءً أكان لمجرد الاختصاص أو مدحاً أو نداءً، يدلُّ على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمُخاطَبين بقوله: عنكم، ففي الآية في الحقيقة قصران: قصرُ الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وقصرُ إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت، وليس المراد بأهل البيت نساء النبي خاصة، لمكان الخطاب الذي في قوله: عنكم، ولم يقل: عنكنَّ»[2].

---

(1) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٦، ص: ٣١٧ و ٣١٨./ الإمام أحمد، مسند أحمد، ج٦، ص: ٢٩٢.

(2) المصدر نفسه، ج١٦، ص: ٣٠٩ و ٣١٠.

هؤلاء نزلت الطهارة في قلوبهم، وليس ينزلها إلاّ الله سبحانه، فهو الذي يريد ذلك، وهي طهارة القلب والنفس بأعلى مراتبها المعنوية الثابتة.

وروي عن أنس، أن الرسول ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا ما خرج إلى صلاة الفجر، ويقول: «الصلاة، يا أهل البيت الصلاة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[1].

٢ ـ عن سلمان الفارسي(رض)، قال: «دخلتُ على النبي ﷺ، فإذا بالحسين بن علي عليه السلام على فخذه، وتفرَّس في وجهه، وقبّل بين عينيه، وقال: أنت سيدٌ ابن سيِّد، أنت إمامٌ ابنُ إمامٍ أخو إمام، أبو أئمة، أنت حجَّةُ الله ابن حجَّةِ الله، وأبو حججٍ تسعة من صُلبك تاسعُهم قائمهم»، وفي رواية أخرى: «أنت السيد ابن السيِّد أبو السادات، أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة، أنت الحجَّة ابن الحجَّة أبو الحجج، تسعةٌ من صُلبك تاسعُهم قائمهم»[2].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول للحسين عليه السلام: أنت الإمام ابن الإمام وأخو الإمام، تسعةٌ من صُلبك، أئمة أبرار، والتاسع قائمهم»[3].

٣ ـ خرج رسول الله ﷺ إلى طعام دُعي إليه، فإذا بالحسين عليه السلام يلعب مع الصبيان، فاستقبل النبي ﷺ أمام القوم، ثم طفر الحسين عليه السلام من بين يدي رسول الله ﷺ، فجعل يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى

(١) المصدر نفسه، ج١٦، ص: ٣١٩./ مسند أحمد، ج٣، ص: ٢٥٩.
(٢) الشيخ البحراني، العوالم، ص: ٣٨.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٦، ص: ٢٩٠.

يديه تحت ذقنه، والأخرى تحت قفاه، ووضع فاه على فيه وقبَّله، ثم قال: «حسينٌ مني، وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط»[(١)].

يُبيِّن هذا الحديث المكانة المفصلية، والدور المركزي للإمام الحسين عليه السلام، فهو من الرسول صلى الله عليه وآله بالولادة والقيادة وحمل الرسالة الإسلامية، والرسول صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام باستمرارية الأصالة، والاستقامة، والإصلاح في الأمة، ورفعِ الشهادتين بطُهرٍ ونقاء، فما حققته شهادة الحسين عليه السلام من حفظ الدين وتوضيح معالم الطريق، يتوضَّح من استشراف الرسول صلى الله عليه وآله لهذا الأمر بما تحدَّث به إمام المسلمين: «وأنا من حسين».

٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله مشيراً إلى الحسن والحسين عليهما السلام: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[(٢)]. الإمام هو القائد وولي الأمر، وعلى المسلمين أن يطيعوه دون غيره، وأن يبايعوه على السمع والطاعة والجهاد، سواءً قرر الإمام القيام والتحرك، أو قرَّر القعود والصبر، فرأيه سديد، وطاعته واجبة. إنَّ تنصيب الرسول صلى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السلام في هذا الموقع وبهذه الصيغة يؤكد عصمة الإمام، لأنَّ جميع المواقف منهما صحيحة ومقبولة، فهما إمامان في كل أدائهما، ومن يخرج عن طاعتهما مخالفٌ وعاص.

٥ ـ عن ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ علياً وصيي

(١) مسند أحمد، ج٤، ص: ١٢٧./ ابن قولويه، كامل الزيارات، ص: ١١٦ و ١١٧./ سنن الترمذي، ج٥، ص: ٣٢٤./ سنن ابن ماجة، ج١، ص: ٣٢٤./ المستدرك للنيسابوري، ج٣، ص: ١٧٧.

(٢) الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢، ص: ٣٠.

وخليفتي، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولداي، مَنْ والاهم فقد والاني، ومَنْ عاداهم فقد عاداني، ومَنْ ناوأهم فقد ناوأني، ومَنْ جفاهم فقد جفاني، ومَنْ برَّهم فقد برَّني. وَصَلَ الله من وَصَلَهم، وقطع من قطعهم، ونصر من أعانهم، وخذل من خذلهم. اللَّهم من كان له من أنبيائك ورسلك ثقلٌ وأهلُ بيت، فعليٌ وفاطمة والحسن والحسين أهلُ بيتي وثقلي، فأذهِب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»[١].

وعن أبي سعيد الخدري: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٢].

عندما تكون الجنة محسومة ومضمونة منذ الطفولة، وبتأكيد من رسول اللهﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلاَّ وحيٌ يوحى، فهذه دلالة واضحة على مكانة وعظمة دور الحسن والحسينعليهما السلام، فمن أراد الالتحاق بهما في الجنة عليه أن يكون معهما في الفكر والسلوك، في القيام والقعود، في الحب والتفاعل، في الجهاد والتضحية. فالحديث يتحدث عن مكانتهما ليتعرف المسلمون عليها، بما لهم من دور في الإمامة والقيادة، لا لتبيان نتيجة أعمالهما الشخصية، إنَّه حديثٌ عن السيدين في إمامة الأمة.

وعن أبي سعيد الخدري: قال رسول اللهﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ١١١ و ١١٢.
(٢) مسند أحمد، ج٣، ص: ٣./ سنن الترمذي، ج٥، ص: ٣٢١./ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص: ١٦٧.

الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنَّهما لن يفترقا حتى يرِدا عليَّ الحوض»[1].

وفي سنن الترمذي بإسناده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله: «يا أيها الناس، إني تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي». وفيه أيضاً عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقا حتى يرِدا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2].

يشكِّلُ كتاب الله عزَّ وجل الإطار النظري للدين الإسلامي الكامل، وتحقِّق العترة الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام الإطار العملي التطبيقي الكامل، ولا تستغني النظرية عن التطبيق، وما حديث النبي صلى الله عليه وآله عن التلازم بينهما إلاَّ تأكيدٌ على سلامة تطبيق العترة الطاهرة لهذه النظرية، التي يمكن أن تُصاب بأخطاء وإنحرافات كثيرة عندما لا يطبقها قادة مأمونون معصومون ذائبون في الإيمان. وقد حثَّنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على الاهتمام والارتباط بهما معاً، وحمَّلنا مسؤولية الانقياد لهما، لأنهما سيبقيان معاً إلى يوم القيامة. وهل يعقل بعد هذا أن يفصِلَ أحدٌ بين القرآن والعترة الطاهرة، وبعد أن أجمعت روايات السنة والشيعة على تواتر هذا الحديث النبوي الشريف؟ وهل يمكن الاطمئنان إلى سلامة التطبيق العملي في حياتنا إن لم تكن العترة الطاهرة قدوتنا؟ وهل

(١) الشيخ الطوسي، الخلاف، ج١، ص: ٢٧./ مسند أحمد، ج٣، ص: ١٤.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص: ٢٧.

نحتاج إذا ما وقفنا بين خيارين إلى أي تأمل قبل أن نُسرع بالوقوف إلى جانب أئمة الهدى؟!

إنَّ أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة، يربح من ركبها ويخسر من تخلَّف عنها، وهم الذين يشكِّلون الحصانة الكاملة عقائدياً وفكرياً وروحياً وجهادياً وسياسياً وأخلاقياً في كل شؤون الإنسان، وإنما تبرز عظمة كمال الإسلام في الأداء الكامل لأئمة الهدى، واستفادة البشرية من هذا الكمال على هذه الأرض. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق»[1].

عبادته

حجَّ الإمام الحسين عليه السلام خمساً وعشرين حجة، وكان كثير الصلاة والدعاء، وإذا ما توضأ تغيَّر لونُه وارتعدت مفاصله، فسُئل عن سبب هذه الحالة، فقال: «حقٌّ لمن وقف بين يدي الملك الجبَّار أن يصفرَّ لونُه ويرتعد مفاصله»[2].

وقد التفت بعضهم إلى عظيم خوفه من ربه، فقال له: ما أعظم خوفك من ربك؟ فقال الإمام عليه السلام: «لا يأمن يوم القيامة إلاَّ من خاف الله في الدنيا»[3].

اهتمَّ الإمام الحسين عليه السلام بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن في أشد اللحظات حراجة، لأنَّ ما من عمل يقوم به المؤمن إلاَّ ويرتكز إلى العبادة كأساسٍ ومنقذ وصِلةٍ بالله تعالى، تهون معها كل الأمور، ويفوز المرء من

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، ص: ٣٤.
(٢) الشيخ البحراني، العوالم، ص: ٦٢.
(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ٢٢٤.

خلالها بالرضا الإلهي. ففي التاسع من محرم، تحرك ابن سعد بعد العصر باتجاه معسكر الإمام الحسين عليه السلام ليبدأ القتال، فطلب الحسين عليه السلام من أخيه العباس(رض) أن يؤخرهم إلى الغد، وقال له: «ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة، وتدفعهم عنَّا العشية، لعلَّنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه، ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنتُ أحبُّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»[1].

أخلاقه

وردت إلينا من خلال الروايات بعضُ سلوكيات الإمام الحسين عليه السلام مع الناس، وهي تُظهر شخصيته الرائدة القدوة، بحيث لا يسبقه بهذا النموذج أحدٌ منهم، وهي سلوكيات غايَةٌ في الأدب، ورقيٌ في الأداء، وسمو في الإيمان، وكمالٌ في الأخلاق، نذكر منها:

١- جنى له غلامٌ جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يُضرب.

فقال: يا مولاي، والكاظمين الغيظ. قال. خلّوا عنه.

فقال: يا مولاي: والعافين عن الناس. قال: قد عفوت عنك.

فقال: يا مولاي، والله يحب المحسنين. قال: أنت حرٌّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنتُ أُعطيك»[2].

أيُّ حُلُمٍ أعظم من هذا الحُلُم.

٢- قال أنس: «كنتُ عند الحسين عليه السلام، فدخلت عليه جارية فحيَّته بطاقة ريحان، فقال لها: أنتِ حرَّة لوجه الله تعالى.

---

(١) الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢، ص: ٩١.
(٢) الإربلي، كشف الغمة، ج٢، ص: ٢٤١.

قال له أنس: تحيِّيك بطاقة ريحان لا خطر لها، فتعتقها؟

فقال الإمام الحسين عليه السلام: كذا أدَّبنا الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾، وكان أحسن منها عتقها»[١].

نِعْمَ التأدبُ بأدب الله من خلال قدوتنا الحسين عليه السلام.

٣- روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الحسين عليه السلام: «سمعتُ الحسين عليه السلام يقول: لو شتمني رجلٌ في هذه الأذن- وأومأ إلى اليمنى- واعتذر لي في الأخرى، لقبلتُ ذلك منه، وذلك أنَّ أمير المؤمنين علي عليه السلام حدَّثني أنَّه سمع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: لا يَرِد الحوض من لم يقبل العذر من محقٍّ أو مُبطل»[٢].

هذا نموذج من مكارم الأخلاق.

٤- مرَّ الحسن والحسين عليهما السلام على شيخ يتوضأ ولكنَّه لا يُحسن الوضوء، فأخذا بالتنازع، «يقول كلُّ واحد منهما: أنتَ لا تُحسن الوضوء. فقالا: أيها الشيخ، كن حكماً بيننا، يتوضأ كل واحد منا سوية، ثم قالا: أيُّنا يُحسن؟

قال الشيخ: كلاكما تُحسنان الوضوء، ولكنَّ هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يُحسن، وقد تعلَّم الآن منكما، وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما»[٣].

ما أروع هذا الأسلوب التربوي في التعليم والتوجيه.

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٢٤٠.
(٢) لجنة الحديث، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص: ٧٣٨.
(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ١٦٨ و ١٦٩.

٥- مرَّ الإمام الحسين عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم، وألقوا عليه كسرا، فقالوا: «هلمَّ يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله. فثنى وركه، فأكل معهم، ثم تلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني. قالوا: نعم يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: أخرجي ما كنتِ تدخرين»[١].

تحية لك يا حبيب المستضعفين، يا من تواضعت للفقراء فرفع الله تعالى مقامك.

٦- كان الإمام الحسين عليه السلام يحرص على حمل المؤن بنفسه إلى بيوت الفقراء لمساعدتهم، وبذلك يحافظ على كرامتهم وعنفوانهم، وقد روى شعيب الخزاعي أنَّه وُجد على ظهر الحسين بن علي عليهما السلام يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك، فقال: «هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين»[٢].

كلماتٌ مضيئة

نعرض في هذه الفقرة كلمات للإمام الحسين عليه السلام، قالها في مناسبات مختلفة، وهي تصلح قواعد للحياة، لايجازها وبلاغتها ومدى تأثيرها في شخصية المؤمن روحياً وعملياً، وهي غيضٌ من فيض ما قاله، نكتفي باشعاعاتها المضيئة من دون تعليق:

١ ـ عباد الله، اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر، فإنَّ الدنيا لو بقيت لأحد، أو بقي عليها أحد، لكانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء، غير أنَّ الله خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٤، ص: ٣٠٠.
(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ٢٢٢.

للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزلة بلغة، والدار قلعة، فتزودوا فإنَّ خير الزاد التقوى(١).

٢ ـ كتب رجل إلى الحسين بن علي عليه السلام: يا سيدي، أخبرني بخير الدنيا والآخرة. فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا بعد، فإنَّه من طلب رضا الله بسخط الناس، كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله، وكلَه الله إلى الناس، والسلام(٢).

٣ ـ جاء رجل الى الحسين عليه السلام، وقال: أنا رجلٌ عاص، ولا أصبر عن المعصية! فعظني بموعظة. فقال عليه السلام: إفعل خمسة أشياء واذنب ما شئت:

فأول ذلك: لا تأكل رزق الله، واذنب ما شئت.

والثاني: أخرج من ولاية الله، واذنب ما شئت.

والثالث: اطلب موضعاً لا يراك الله، واذنب ما شئت.

والرابع: اذا جاء ملك الموت ليقبض روحك، فادفعه عن نفسك، واذنب ما شئت.

والخامس: إذا أدخلك مالك في النار، فلا تدخل في النار، واذنب ما شئت(٣).

٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب رجل إلى الحسين عليه السلام: عظني

---

(١) الشيخ القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج١، ص: ١٦٢.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٢٦٨.
(٣) لجنة الحديث، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص: ٩٢٤و٩٢٥.

بحرفين. فكتب إليه: من حاول أمراً بمعصية الله، كان أفوت لما يرجو، وأسرع لمجيء ما يحذر[١].

٥ ـ أوصيكم بتقوى الله، فإنَّ الله قد ضَمن لمن اتَّقاه، أن يحوِّله عما يكره إلى ما يحب، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه، فإنَّ الله تبارك وتعالى، لا يخدع عن جنته، ولا يُنال ما عنده إلا بطاعته إن شاء الله[٢].

٦ ـ إياك وما تعتذر منه، فإنَّ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر[٣].

٧ ـ سئل الحسين عليه السلام فقيل له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال: أصبحتُ ولي ربٌ فوقي، والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محدقٌ بي، وأنا مرتهنٌ بعملي، لا أجد ما أحب، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عذَّبني، وإن شاء عفا عني، فأي فقير أفقر مني[٤].

٨ ـ الحلمُ زينة، والوفاء مروءة، والصلةُ نعمة، والاستكثار صلف، والعجلةُ سفه، والسفهُ ضعف، والغُلو ورطة، ومجالسةُ أهل الدنائة شر، ومجالسةُ أهل الفسوق ريبة[٥].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي،ج٢، ص: ٣٧٣.
(٢) الحراني، تحف العقول، ص: ٢٤٠.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤٨.
(٤) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٧٠٧.
(٥) الشيخ القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام،ج١، ص: ١٥٧.

٩ ـ الصدقُ عز، والكذب عجز، والسِّر أمانة، والجوار قرابة، والمعونة صدقة، والعمل تجربة، والخلق الحسن عبادة، والصمت زين، والشحُ فقر، والسخاء غنى، والرفق لب[1].

١٠ ـ أيها الناس، من جادَ ساد، ومن بخل رذل، وانَّ أجود الناس من أعطى من لا يرجوه[2].

١١ ـ لا تتكلَّف ما لا تطيق، ولا تتعرَّض لما لا تدرك، ولا تعد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا تفرح الا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلاً له[3].

١٢ ـ إنَّ حوائج الناس إليكم، مِنْ نِعَمِ الله عليكم، فلا تملوا النعم[4].

الحسين عليه السلام مع أخيه الحسن عليه السلام

عاش الإمام الحسين عليه السلام مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام الذي استشهد بالسم سنة ٥٠ هـ، حوالى خمس وأربعين سنة ونصف السنة، واستلم الإمامة في هذه السنة، وقد التزم خلال إمامة أخيه الإمام الحسن عليه السلام أي حوالى تسع سنوات ونصف السنة بقيادته، فكان معه فيما أمضاه من الصلح مع معاوية، بل كان نموذجاً راقياً بالعمل تحت راية أخيه، متصرفاً

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص: ١٥٨.
(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص: ٣١٨.

معه باحترام وتقدير، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما تكلَّم الحسين عليه السلام بين يدي الحسن عليه السلام إعظاماً له»[١].

عندما استشهد الإمام الحسن عليه السلام، اجتمع كبار أهل الكوفة، فكتبوا إلى الحسين عليه السلام في المدينة المنورة يعزُّونه، وكتب أحدهم من المحبين لأهل البيت عليهم السلام، وهو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب يعرض عليه التحرك ضد معاوية، ظاناً بأنَّ رأي الإمام الحسن عليه السلام كان مانعاً من الحرب، وربما تغيَّر موقف الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادة الحسن عليه السلام فقال: «أما بعد، فإنَّ من قِبَلنا من شيعتك متطلعةٌ أنفسهم إليك، لا يعدلون بك أحدا، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك، والغلظة على أعدائك، والشدة في أمر الله، فإن كنتَ تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا، فقد وطَّنا أنفسنا على الموت معك».

فكتب إليهم: «أمَّا أخي فأرجو أن يكون الله قد وفَّقه وسدَّده فيما يأتي، وأمَّا أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظِّنة ما دام معاوية حياً، فإن يُحدث الله به حدثاً وأنا حي، كتبتُ إليكم برأيي، والسلام»[٢].

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ١٦٩.
(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص: ٢٢١ و ٢٢٢.

جدول عمر الإمام الحسين عليه السلام

(المولود في ٣ شعبان ١٤ هـ) في حياة المعصومين عليهم السلام

	تاريخ الوفاة أو الشهادة	عمر الإمام الحسين عليه السلام
الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله	٢٨ صفر ١١ هـ	٦ سنوات و٦ أشهر و٢٥ يوماً
السيدة الزهراء عليها السلام	١٣ جماد الأول ١١هـ	٦ سنوات و٩ أشهر و ١٠ أيام
الإمام علي عليه السلام	٢١ رمضان ٤٠ هـ	٣٦ سنة و ١٨ يوماً
الإمام الحسن عليه السلام	٢٨ صفر ٥٠ هـ	٤٥ سنة و ٦ أشهر و ٢٥ يوماً
الإمام الحسين عليه السلام	١٠ محرم ٦١ هـ	٥٦ سنة و ٥ أشهر ٧ أيام

المعصومان يوم عاشوراء في كربلاء

	تاريخ الولادة	عمره يوم عاشوراء
الإمام زين العابدين عليه السلام	٥ شعبان ٣٨ هـ	٢٢ سنة و٥ أشهر و٥ أيام
الإمام محمد الباقر عليه السلام	١ رجب ٥٧ هـ	٣ سنوات و٦ أشهر و٩ أيام

الحسين عليه السلام خلال حكم معاوية

اتخذ الإمام الحسين عليه السلام موقفاً مشابهاً من صلح معاوية مع الحسن عليه السلام خلال فترة إمامته، أي منذ سنة خمسين للهجرة إلى هلاك معاوية سنة ستين للهجرة لمدة تسع سنوات ونصف السنة، ولم يستجب لمن طالبه بالثورة على معاوية، لأنَّ الظروف التي أملت الصلح على الحسن عليه السلام لا زالت موجودة، وهي قلة الناصر من جهة، والتأييد الواسع لخلافة معاوية من جهة أخرى، ولم يكن مقدَّراً أن يتحقق النجاح بالتغيير في الأمة، إذا ما تحركَّ الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الوقت.

لكنَّ هذا لم يمنع الحسين عليه السلام من أن يكشف ظلم معاوية، ويتحداه بقول الحقيقة، فقد كتب معاوية إلى الحسين عليه السلام أنَّه سمع عنه كلاماً ضده، وهذا ما يمكن أن يؤدي إلى الفتنة، وإلى ما لا تُحمد عقباه، فردَّ عليه الإمام الحسين عليه السلام بكتاب جاء فيه:

«أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنَّه انتهت إليك عني أمور، لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنَّه رُقي إليك عني، فإنَّما رقاه الملاقون المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردتُ حرباً ولا خلافا، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن حزبك القاسطين المحلِّين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم.

ألستَ قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! فقتلتهم ظلماً

وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة، جرأةً على الله، واستخفافاً بعهده.

أوَ لستَ بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقتْ وأبلتْ وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود، ما لو فهمَتْهُ العِصم نزلت من شعف الجبال.

أوَ لستَ المدَّعي زياداً في الاسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله ﷺ: «أنَّ الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، ثم سلَّطته على أهل الاسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان الله يا معاوية! لكأنَّك لست من هذه الأمة، وليسوا منك.

أوَ لستَ قاتل الحضرمي، الذي كتب إليك فيه زياد أنَّه على دين علي عليه السلام، ودينُ علي هو دينُ ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منَّة عليكم.

وقلتَ فيما قلتَ: لا ترد هذه الأمة في فتنة. وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها.

وقلتَ فيما قلتَ: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد. وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنَّه قربةٌ إلى ربي، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى.

وقلتَ فيما قلتَ: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقديماً يُكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، فكدني ما بدا لك.

واتَّق الله يا معاوية! واعلم أنَّ لله كتاباً لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها، واعلم أنَّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبياً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب. ما أراك إلا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام»[(١)].

جمع الإمام الحسين عليه السلام بني هاشم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه في منى، قبل سنتين من موت معاوية، وكانوا أكثر من ألف رجل، فقام خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنَّ هذا الطاغية، قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم، ورأيتهم، وشهدتم، وبَلَغَكم. وإني أريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدِّقوني، وإن كذبت فكذِّبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، من أمنتم ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فاني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون».

فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسَّره، ولا شيئاً قاله الرسول صلى الله عليه وآله في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم، قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدَّثنا من نصدقه ونأتمنه، حتى لم يترك شيئاً إلا قاله. ثم قال عليه السلام: أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدَّثتم به من تثقون به»، ثم نزل وتفرَّق الناس عن ذلك»[(٢)]. وهذا ما يدل على تهيئته للمناخات الملائمة لفضح الخلافة الأموية.

---

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٣١٢ ـ ٣١٤.

(٢) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص: ١٩.

حاول معاوية قبل موته أن يعقد البيعة لابنه يزيد، سواء في المدينة المنورة، أو في مكة المكرمة، فلم يستجب له الإمام الحسين عليه السلام، إلى أن مات معاوية، فأصبح الوضع برمته يتطلّب موقفاً تغييرياً للإصلاح في الأمة، وحان الظرف المناسب بعدم البيعة للخليفة الجديد يزيد بن معاوية، فبدأ الإعداد للموقف التاريخي الذي رسّخه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ليحيي الاستقامة في الدين، ويكشف زيف المتسترين به والمنافقين والمنحرفين والمتخاذلين.

الفصل الثاني

سيرة الإمام الحسين عليه السلام

إلى كربلاء

سيرة الإمام الحسين عليه السلام
إلى كربلاء

مات معاوية بن أبي سفيان للنصف من رجب سنة ستين للهجرة بعد خلافة دامت تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان ابنه يزيد في حوران، فقام الضحاك بن قيس بتكفينه، ثم صلى عليه ودفنه بمقابر باب الصغير، وأرسل إلى يزيد يعزيه ويطالبه بالإسراع في القدوم ليأخذ بيعة مجددة من الناس، فسار يزيد إلى دمشق فوصلها بعد ثلاثة أيام من دفن أبيه، فاجتمع عليه أهل الشام مؤكدين بيعته. كتب يزيد إلى الولاة يخبرهم بموت أبيه ويدعوهم إلى البيعة، وخص والي المدينة المنورة الوليد بن عتبة بصحيفة صغيرة جاء فيها: أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام[١]. أما سبب التركيز على الثلاثة فلأنهم لم يستجيبوا عند محاولة معاوية أخذ البيعة ليزيد سنة ست وخمسين للهجرة[٢] أي قبل هلاك معاوية بأربع سنين.

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٣./ تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٢٥٠.
(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٢٢٤.

طلب البيعة

استشار الوليد مروان بن الحكم فيما يفعل، فأشار إليه بضرورة دعوتهم إلى البيعة في تلك الساعة، ليبايعوا أو يقتلهم إذا رفضوا. أرسل الوليد عامله وراءهم فوجد الإمام الحسين عليه السلام وابن الزبير في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فدعاهما لملاقاة الوالي. لكن الوليد لم يكن يجلس لملاقاة الناس في مثل هذه الساعة، فقال الحسين عليه السلام لابن الزبير: أرى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر[1]. فقام الحسين وجمع ثلاثين[2] من مواليه وأهل بيته ومعهم السلاح، وسار إلى باب الوليد وقال لهم: إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فاقتحموا عليَّ، وإلاَّ فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم.

دخل الإمام عليه السلام إلى الوليد وعنده مروان، فنعى الوليد إليه معاوية وعرض عليه البيعة ليزيد، فقال الإمام عليه السلام: أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سراً ولا يُجتزأ بها مني سراً فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً[3]. فوافق الوليد وكان يرغب تجنب الصدام، فدعا مروان الوالي أن لا يدع الإمام إلاَّ مبايعاً أو يضرب عنقه. عند ذلك قال

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٤٠/ تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٢٥١.
ملاحظة: أغلب ما ورد في تاريخ الأمم والملوك لمؤلفه ابن جرير الطبري المتوفى عام٣١٠هـ،عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام وواقعة كربلاء مروي عن أبي مخنف الأزدي المتوفي عام ١٥٧هـ. وقد جمع الحاج ميرزا الغفاري جميع ما روي عن الأزدي في كتاب سماه: «مقتل الحسين» لأبي مخنف الأزدي. وقد ذكرنا أحياناً الطبري كمصدر وأحياناً أخرى الأزدي وثالثة الإثنين معاً.

(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ١٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص: ٥٣٠.

(٠) الزرقاء جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت مشهورة بالبغاء.

الإمام الحسين عليه السلام: ويل لك يا بن الزرقاء![1] أنت تأمر بضرب عنقي؟ كذبت والله ولؤمت. ثم أقبل على الوليد وقال: أيها الأمير. إنَّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة؟[2].

الاستعداد للخروج من المدينة

خرج الإمام الحسين عليه السلام ليلاً إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفتني في أمتك. فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم خذلوني، وضيعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك. ثم قام فصف قدميه للصلاة فلم يزل راكعاً ساجداً[3].

عند الصباح التقى مروان بالإمام عليه السلام فنصحه بالبيعة ليزيد، فاسترجع الحسين عليه السلام وقال: على الإسلام السلام إذا بُليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرَّمة على آل أبي سفيان[4].

فلما كانت الليلة الثانية، خرج الحسين عليه السلام إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى عنده ركعات، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت،

---

(١) الزرقاء جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت مشهورة بالبغاء.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ١٧.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٢٧.
(٤) الحلي، مثير الأحزان، ص: ١٤.

اللهم إني أحب المعروف، وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه، إلاَّ اخترت لي ما هو لك رضى، ولرسولك رضى. ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغفى، فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه، حتى ضمَّ الحسين إلى صدره، وقَبَّلَه بين عينيه، وقال: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء، من عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا عليَّ وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلاَّ بالشهادة[١]

قصَّ الأمام رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب فاشتد حزنهم وكثر بكاؤهم. وكان قد زار قبر أمه وقبر أخيه الحسن ليودعهما ليلة مغادرته إلى مكة .

وقد روي أنه لما عزم على الخروج من المدينة، أتته أم سلمة زوجة النبي ﷺ فقالت: يا بني لا تُحزنِّي بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء .

فقال لها : يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يُقتل من أهل

---

(١) البحراني، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، ص: ١٧٧./ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٢٨. عليه السلام.

بيتي وقرابتي وشيعتي. ثم أشار إلى جهة كربلاء حتى أراها مضجعه. فبكت أم سلمة وسلمت أمره إلى الله .

فقال لها : «يا أماه قد شاء الله عزَّ وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً»[(١)].

كما روي أن أخاه محمد ابن الحنفية سأله عن إصراره على الخروج من المدينة، فقال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً .

فقال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال: قال لي إن الله شاء أن يراهن سبايا[(٢)].

الوصيــــة

عندما عزم الحسين عليه السلام على ترك المدينة، أبدى له محمد ابن الحنفية وجهة نظره بالخروج إلى مكة المكرمة، فإذا أيده الناس تحقق الهدف، وإلاَّ يغادرها إلى مكان آخر بحسب الظروف. وقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأخيه: يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية أبداً. فقطع محمد ابن الحنفية الكلام وبكى، فبكى معه الحسين عليه السلام ثم قال: جزاك الله يا أخي عني خيراً، لقد

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٣٢.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٠.

نصحت وأشرت بالصواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفقاً مسدداً، وإني عزمت على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخوتي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخف عليَّ شيئاً من أمورهم. ثم دعا بدواة وبياض وكتب هذه الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بإبن الحنفية، أن الحسين يشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه وخرج في جوف الليل[1].

دخول مكة

خرج الحسين عليه السلام من المدينة متوجهاً نحو مكة المكرمة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه الحسن وبعض أبناء عمومته وأهل بيته ومن ضمنهم أخته العقيلة زينب عليها السلام وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا

(١) ابن الأعثم، الفتوح، ج٥، ص: ٣٣./ الخوارزمي، المقتل، ج١، ص: ١٨٨.

خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وسار على الطريق الرئيسي، فقيل له لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير الذي خرج في الليلة السابقة كيلا يدركه جماعة يزيد، قال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض.

دخل مكة المكرمة يوم الجمعة في الثالث من شعبان(١)، وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾. فنزل دار العباس بن عبد المطلب، وكان يستقبل أهل مكة والمعتمرين من أهل البلدان المختلفة.

كتب أهل الكوفة

كتب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام بعد أن استقر به المقام في مكة يدعونه إليهم، حيث اجتمع عدد كبير منهم في منزل سليمان بن صرد الخزاعي وأرسلوا كتاباً جاء فيه: أما بعد، فالحمد الله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزَّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمَّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان بن البشير في قصر الإمارة، لسنا نجمع معه في جمعه ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك اقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله. ثم تتالت الكتب والرسل، فكان آخر كتاب ورد إليه من شبث بن ربعي وحجار بن

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٣٦.

ملاحظة: أغلب ما ذكر عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام في كتاب الإرشاد مأخوذ من تاريخ الطبري وقد توفي الشيخ المفيد(قده) عام ٤١٣هـ.

أبجر وغيرهما وفيه: أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجندة.

أجاب الإمام بكتاب أرسله إلى أهل الكوفة مع هانيء السبيعي وسعيد ابن عبد الله الحنفي، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد. . . قد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلِّكم: أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. إني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليَّ أنه قد إجتمع رأي مَلِئكم، وذوي الحجا والفضل منكم، على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله. فلعمري ما الإمام إلاَّ الحكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام(١).

مسلم بن عقيل

بعث الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل إليهم، فخرج من مكة للنصف من شهر رمضان على طريق المدينة فصلى فيها، ثم ذهب بعدها إلى الكوفة فوصلها في الخامس من شوال، وأقبل الناس يعطونه البيعة للحسين عليه السلام فأرسل إلى الإمام عليه السلام: الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام. كان ذلك قبل مقتل مسلم بسبع وعشرين ليلة(٢).

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٣٨ ـ ٣٩.
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٢٨١.

كان والي الكوفة النعمان بن البشير لا يستطيع مقاومة هذه الحالة، فعزله يزيد وارسل عبيد الله بن زياد والي البصرة ليكون والياً على الكوفة أيضاً ليواجه الحالة المستجدة. دخل بن زياد إلى الكوفة ملثماً إلى أن وصل قصر الولاية، ثم عمل بالتهديد والوعيد، فبدأ الذعر يدب في القوم، ما دفع مسلماً لمغادرة دار المختار الثقفي الذي انطلق منه لجمع الناس حول الحسين عليه السلام، واللجوء إلى بيت هانىء بن عروة، حيث كان يستقبل مناصريه سراً، لكن ابن زياد عرف بالأمر، فاستدعى هانىء إليه، وأطلعه على معرفته بوجود مسلم، وطلب منه تسليمه إياه، لكن هانىء رفض ذلك، فجرحه ابن زياد بالسيف وحبسه. عندما انكشف الأمر، عجَّل مسلم بالخروج فاجتمع من الناس أربعة آلاف، وأقبلوا نحو قصر ابن زياد، فاغلقت الأبواب وهدَّدوا من القصر بالعاقبة، فبدأوا بالتراجع، وما إن حان وقت العشاء، حتى كان عدد المصلين مع مسلم في مسجد الكوفة ثلاثين رجلاً، لم يبق منهم بعد الخروج من المسجد من يدله على الطريق.

انتهى السير بابن عقيل إلى باب امرأة يقال لها : طوعة، فسلَّم عليها ابن عقيل، فردت عليه، فقال لها : يا أمَةَ الله، اسقيني ماء، فسقته وجلس، ثم استغربت بقاءه على باب دارها فقالت له: سبحان الله! يا عبد الله قم عافاك الله إلى أهلك؛ فإنَّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أُحله لك.

فقام وقال: يا أمَةَ الله، ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، لَعلّي مكافئك بعد اليوم.

فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذَّبني هؤلاء القوم، وغروني، وأخرجوني.

قالت: أنت مسلم؟

قال: نعم.

قالت: ادخل.

فدخل بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش. ولم يكن بأسرع أن جاء ابنها بلال، الذي عرف بوجود مسلم، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه، فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فأخبره بذلك، فعرف ابن زياد، فأرسل محمد بن الاشعث على رأس مجموعة من الجند، فجرى قتال مع الجند انتهى بجرح مسلم وإحضاره إلى قصر الوالي موثقاً[1].

قال له ابن زياد: لقد خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، والقحت الفتنة.

فأجاب مسلم: كذبت يا بن زياد، إنما شقَّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنما الفتنة ألقحها أنت وأبوك، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شر بريته[2].

فقال ابن زياد: لعمري لتقتلن.

قال مسلم: فدعني أوصي إلى بعض قومي. واتجه إلى عمر بن سعد.

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٥٤ ـ ٥٧./ تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٢٧٧ ـ ٢٧٩.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٣٥/ الحلي، مثير الأحزان، ص: ٢٥.

فقال: يا عمر، أن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك نجح حاجتي، وهو سر. فلم يمكنه من ذكرها .

فقال عبيد الله بن زياد: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك .

فقام وجلس فقال مسلم: إنَّ عليَّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوأرها، وابعث إلى الحسين من يرده فإني قد كتبت إليه أعلمه أنَّ الناس معه ولا أراه إلاَّ مقبلا. فأخبر ابن سعد ابن زياد، الذي أمر بمسلم أن يصعد به فوق القصر ويُضرب عنقه ففعلوا، ثم رموا جسده ورأسه إلى الأرض. بعدها أمر بهانئ بن عروة، فأخرج إلى السوق، فضربت عنقه، وأرسل رأسي مسلم وهانئ مع كتاب إلى يزيد في الشام .

الخروج من مكة

استعد الإمام عليه السلام للخروج من مكة المكرمة باتجاه الكوفة بعدما وصله كتاب مسلم، وقد كان خروجه في الثامن من ذي الحجة يوم التروية، أي بعد أربعة أشهر وعشرة أيام من وصوله إلى مكة. وقد ذُكر أن مسلم بن عقيل قُتل في اليوم نفسه ولم يأت خبره إلى الإمام. أما سبب خروجه في هذا اليوم فجاء في جوابه لأخيه محمد ابن الحنفية الذي قدم من المدينة لينصحه بعدم مغادرة مكة قال: يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت[1].

روي أنه صلوات الله وسلامه عليه لما عزم على الخروج إلى

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٠.

العراق، قام خطيباً فقال: الحمد الله، وما شاء الله، ولا قوة إلاَّ بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ على رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، ويُنجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»[١].

روي أن الحسين عليه السلام عندما خرج من مكة أرسل كتاباً إلى بني هاشم جاء فيه: أما بعد فإن من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف لم يدرك الفتح والسلام[٢].

نصائح العودة أثناء الطريق

عندما خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة، اعترضه رسل والي مكة عمرو بن سعيد، فتدافعوا مع أصحاب الحسين عليه السلام، الذين لم يستجيبوا لهم. عندها قالوا له: يا حسين، ألا تتقي الله! تخرج من الجماعة وتفرق هذه الأمة. فتأول الحسين عليه السلام قوله تعالى: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ثم أرسل الوالي أماناً للإمام الحسين عليه السلام بناء لنصيحة عبد الله بن جعفر، فأجاب الإمام عليه السلام: أما بعد فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا

(١) الحلي، مثير الأحزان، ص: ٢٩.
(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ٢٣٠.

إلى الله عزَّ وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانَهُ يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام[١].

عندما وصل الامام الحسين عليه السلام الى التنعيم، لقي عيراً قد أقبلت من اليمن، فاستأجر من أهلها جمالاً لرحله وأصحابه، وقال لأصحابها: «من أحبَّ أن ينطلق معنا إلى العراق وَفَيناه كراءه وأحسنَّا صحبته، ومن أحبَّ أن يفارقنا في بعض الطريق أعطيناه كراء على قدر ما قطع من الطريق»، فمضى معه قوم وامتنع آخرون. وألحقه عبد الله بن جعفر(رض) بابنيه عون ومحمد[٢].

سار الإمام حتى انتهى إلى الصفاح[٣] فلقيه الشاعر الفرزدق، فقال للإمام: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما أعجلك عن الحج.

فقال له: لو لم أعجل لأخذت[٤]. وسأله عن نبأ الناس خلفه.

فقال الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال له الحسين عليه السلام: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٧٠.
(٢) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٦٨.
(٣) الصفاح بين حنين وانصاب الحرم يسار الداخل إلى مكة.
(٤) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٦٧.

وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يَعتدِ من كان الحقُّ نيته، والتقوى سريرته(١).

سار الإمام الحسين عليه السلام حتى نزل زرود، فالتقى فيها بزهير بن القين، فأرسل رسوله فسلم وقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه. فصدم القوم لأن زهير لم يكن يرغب باللقاء.

فقالت له زوجته: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟ سبحان الله، لو أتيته فسمعت كلامه.

فأتاه زهير، فما لبث أن جاءِ مستبشراً وأخذ متاعه ليذهب مع الإمام الحسين عليه السلام، ثم قال لامرأته: أنت طالق، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلاَّ خير، وقد عزمت على صحبة الحسين لأفديه بنفسي وأقيه بروحي.

فقالت له زوجته: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام(٢).

لمَّا بلغ الإمام الحسين عليه السلام منطقة الحاجر، بعث قيس بن مسهر الصيداوي، (ويقال أنَّه بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر)، بكتاب منه إلى أهل الكوفة، ولم يكن قد عَلِمَ باستشهاد مسلم بن عقيل، حتى إذا وصل رسول الحسين عليه السلام إلى القادسية، اعتقله الحصين بن نمير صاحب شرطة ابن زياد، وأنفذه إلى عبيد الله بن زياد، الذي قال له: اصعد فسبَّ الكذاب الحسين بن علي، فصعد قيس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٦٨.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٥.

أيها الناس، إنَّ هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب عليه السلام وصلى عليه، فأمر به عبيد الله أن يُرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطَّع[١].

تابع الإمام عليه السلام سيره فوصل إلى مكان اسمه زبالة، حيث أتاه خبر مقتل مسلم بن عقيل، وهانيء بن عروة، ورسوله إلى مسلم، فأخبر من معه بذلك، مخيراً لهم بالانصراف أو الاستمرار، فلم يبق إلاَّ من جاء معه من المدينة، ونفرٌ قليل ممن انضم إليه بعد ذلك. وعندما وصل إلى بطن العقبة لقيه شيخ من بني عكرمة ناصحاً إياه العودة، فقال عليه السلام: والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم، حتى يكونوا أذل فرق الأمم[٢].

إرواء عسكر الحر

سار الإمام من بطن العقبة حتى نزل شَراف[٣]، وعند السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا، ثم أكمل المسير حتى انتصف النهار، حيث برزت طلائع خيل قادمة، فاستقر قريباً من ذي حُسُم، وتبين أن الحر ابن يزيد الرياحي قد قدم على رأس ألف فارس لمنع الحسين عليه السلام من الرجوع إلى المدينة وتوجيهه باتجاه الكوفة إلى ابن زياد. وكان مجيء الحر من القادسية بأمر من الحصين بن تميم الذي أرسله والي الكوفة عبيد الله ابن زياد إلى القادسية بعد أن بلغه مسير الحسين عليه السلام باتجاه الكوفة.

---

(١) المفيد، الارشاد، ج٢، ص: ٧١.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٧٦.
(٣) شَراف: مكان يبعد ميلين عن الواقعة وفيه آبار للمياه.

رأى سيد الشهداء ما بالقوم من عطش، فأمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل من الماء الذي حملوه معهم، ففعلوا حتى ارتوى الجميع، وكان آخرهم علي بن الطعان المحاربي الذي أصابه العطش الشديد وكذلك فرسه، فقال له الحسين عليه السلام: أنخ الراوية. فلم يفهم عليه، فأوضح له أنخ الجمل. وعندما همَّ أن يشرب، جعل الماء يسيل من السقاء، فقال له الحسين عليه السلام: أخنث السقاء أي إعطفه. فلم يدر ما يفعل، فعطفه الإمام الحسين عليه السلام بنفسه حتى ارتوى وسقى فرسه[1]. ثم أمر الإمام المؤذن بالأذان فأذن للظهر، بعدها خاطب القوم وقال: إنها معذرة إلى الله عزَّ وجل وإليكم، وإني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم، أن أقدم علينا فليس لنا إمام ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك، فقد جئتكم فاعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين، إنصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم. فسكتوا جميعاً.

الصلاة جماعة

قبل المباشرة بالصلاة قال الحسين عليه السلام للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال الحر: لا بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك. فصلى بهم الحسين عليه السلام.

بعد أن أنهى الإمام عليه السلام صلاة العصر، اتجه إلى القوم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمَّا بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحقَّ لأهله، يكن أرضى لله، ونحن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله أولى بولاية هذا الأمر عليكم، من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٧٨.

والعدوان، فإن أبيتم إلاَّ الكراهية لنا، والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدمت عليَّ به رسلكم، انصرفت عنكم.

فقال الحر: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر؟

فقال الحسين عليه السلام مخاطباً أحد أصحابه: يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليَّ. فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرها بين يديه.

قال الحر: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا أنَّا إذا لقيناك لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: الموت أدنى من ذلك. ثم أمر أصحابه لينطلقوا حتى يغادروا المكان، فمنعهم عسكر الحر.

ثم جرى حوار بينهما حول الذهاب وعدمه، عندها قال الحر: إني لم أؤمر بقتالك، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك إلى الكوفة ولا يردك إلى المدينة، يكون بيني وبينك نَصَفاً، حتى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فلعل الله يرزقني العافية من أن ابتلي بشيء من أمرك.

من رأى سلطاناً جائراً

سار الحسين عليه السلام والحر يسير بمحاذاته، وفي «البيضة» خطب الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه وأصحاب الحر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مُدْخَله». ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة

الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر. وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم. فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنُكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور مَن اغتر بكم، فحظَّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيُغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1]. وروي أن هذا الكلام قد أرسله الإمام برسالة إلى أعيان الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي يوم نزوله في كربلاء»[2].

وخطب الحسين عليه السلام بذي حُسُم[3]، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنه قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت جدا، فلم يبق منها إلاَّ صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيسُ عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلاَّ سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلاَّ برما»[4].

فقام زهير بن القين البجلي وقال: قد سمعنا هداك الله يا بن رسول

---

(١) الطبري، ج٤، ص: ٣٠٤./ أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٨٦.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٨٢ عن المناقب.
(٣) ذو حُسُم: اسم جبل في المنطقة.
(٤) الطبري، ج٤، ص: ٣٠٥./ أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٨٦.

الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، إلاَّ أن فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها. فدعا له الحسين ثم قال له خيراً .

أفبالموت تخوفني

أقبل الحر يساير الحسين عليه السلام ويقول له: يا حسين، إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال له الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وآسى الرِّجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وودَّع مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

عذيب الهجانات

فلما سمع الحر ذلك تنحى عنه، وكان يسير بأصحابه من ناحية وحسين من ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات[1]، فأقبل أربعة نفر من أهل الكوفة لنصرة الحسين، وحاول الحر أن يمنعهم من الالتحاق به، فقال الحسين عليه السلام: لأمنعنهم مما أمنع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ألا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب ابن زياد. فقال: أجل لكن لم يأتوا معك. قال: هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تممت ما كان بيني وبينك وإلاَّ ناجزتك. فكفَّ عنهم الحر .

---

(١) عذيب الهجانات: واد لبني تميم كانت ترعى فيه خيل النعمان ملك الحيرة.

سألهم الإمامعليه السلام عن الناس في الكوفة، فقال أحد الأربعة وهو مجمع بن عبد الله العائذي: أما أشراف الناس فقد أُعظمت رشوتهم وملئت غرائزهم، يستمال ودهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألبٌّ واحد عليك، وأما سائر الناس بعد، فإن افئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك.

ثم دنا الطرماح بن عدي من الحسينعليه السلام، عارضاً عليه أن يذهب إلى جبل يدعى أجأ، حيث تتم دعوة الرجال وخاصة من بني الطائي، واعداً بتأمين عشرين ألف طائي خلال عشرة أيام ليكونوا بين يديه. فقال الحسينعليه السلام: جزاك الله وقومك خيراً، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري على ما تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة.

مضى الحسينعليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل وفيه عبيد الله بن الحر الجعفي، فبعث إليه رسولاً يطلب النصرة، فأجاب: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلاَّ كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن اراه ولا يراني. عندها جاءه الحسينعليه السلام وكرر عليه القول فكرر الإجابة، فقال الحسينعليه السلام: فإلاَّ تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلاَّ هلك. قال الجعفي: أمَّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله[1].

حوار مع علي الأكبر

عن عقبة بن سمعان: لما كان آخر الليل أمرنا الحسينعليه السلام بالاستقاء من الماء ثم أمرنا بالرحيل ففعلنا. فلما ارتحلنا من قصر بني

---

(١) الطبري، ج٤، ص: ٣٠٨.

مقاتل وسرنا ساعة، خفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. فعل ذلك مرتين أو ثلاثاً. ثم أقبل ابنه علي الأكبر على فرس، فقال: يا أبت جعلت فداك مم حمدت الله واسترجعت؟

قال: يا بني، إني خفقت برأسي خفقة فعنَّ لي فارس على فرسه، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا.

قال له: يا أبت، لا أراك الله سوءاً! ألسنا على الحق؟

قال: بلى والذي إليه مرجع العباد.

قال: يا أبت، إذاً لا نبالي، نموت محقين.

فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده[١].

الوصول إلى كربلاء

فلما أصبح نزل فصلى الصبح، ثم عجَّل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم، فيأتي الحر ليمنعهم ويوجههم باتجاه الكوفة وهم يمتنعون، إلى أن انتهى المسير إلى نينوى. وإذ بكتاب يأتي من ابن زياد إلى الحر: أمَّا بعد، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلاَّ بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك، حتى يأتيني بانفاذ أمري والسلام. نفذ الحر مضمون الكتاب ولم يسمح للقوم بالنزول في قرية نينوى.

قال زهير بن القين للحسين عليه السلام: يا بن رسول الله، إن قتال هؤلاء

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٩٢.

الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قِبَل لنا به. فأجابه الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال[١].

فقال زهير: فهٰهنا قرية بالقرب منا على شط الفرات، وهي في عاقول[٢] حصينة، الفرات يحدق بها إلاَّ من وجه واحد.

قال الحسين عليه السلام: ما اسم هذه القرية؟

قال: العقر.

قال الحسين عليه السلام: نعوذ بالله من العقر. وقال للحر: سر بنا قليلاً ثم ننزل.

فسار معه حتى أتوا كربلاء، فوقف الحر وأصحابه ومنعوهم من المتابعة، وكان ذلك يوم الخميس في الثاني من محرم سنة إحدى وستين للهجرة[٣]. وعندما سأل الحسين عليه السلام عن اسم المكان قالوا له: كربلاء. فقال عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء، انزلوا هٰهنا محط رحالنا، ومسفك دمائنا، وهنا محل قبورنا، بهذا حدثني جدي رسول الله[٤].

وروي أنه قال لأصحابه في كربلاء: الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درَّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلَّ الديَّانون[٥].

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٨٤.
(٢) عاقول الوادي: ما أعوج منه.
(٣) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٨٤.
(٤) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٨.
(٥) العوالم، ص: ٢٣٤.

حشد ابن زياد لأهل الكوفة

فلما كان الغد، قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص الطامع بمكافأته بملك الري، من الكوفة بأربعة آلاف فارس بأمر من ابن زياد فنزل نينوى. فأرسل عمر رسولاً إلى الحسين عليه السلام يسأله عن غايته. فقال له الحسين عليه السلام: كتب إليَّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنكم.

بعث عمر بالجواب إلى ابن زياد، فرد عليه: أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فأعرض على الحسين أن يبايع يزيد هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام. فلم يعرض عمر الرسالة على الحسين عليه السلام لعلمه بعدم موافقته على البيعة.

جمع ابن زياد الناس في مسجد الكوفة، وأمرهم بالاجتماع لحرب الحسين عليه السلام، فأرسل أربعة آلاف بإمرة شمر بن ذي جوشن، ثم تتالت القوات إلى أن وصلت إلى عشرين ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً[١]، كان ذلك في السادس من محرم. وجعل الجميع بإمرة عمر بن سعد.

حاول حبيب بن مظاهر الأسدي أن يأتي بقومه لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وذلك بعد استئذانه بالذهاب إليهم وهم في مكان قريب، فلبى منهم تسعون رجلاً، لكن عمر بن سعد علم بتحركهم، فأرسل جنداً يقطعون عليهم الطريق ويقاتلونهم، فانهزم القوم راجعين[٢].

اشتد العطش بالحسين عليه السلام وصحبه، فدعا أخاه العباس وضمَّ إليه

---

(١) المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٢٠٠.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٨٧.

ثلاثين فارساً وعشرين راكباً، وبعث معه عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات، واشتبكوا مع عسكر القوم، فلم يستشهد منهم أحد وعادوا بالماء إلى المخيم. ثم شدد القوم الحصار على الماء، فكان ذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيام[1].

موقف عمر بن سعد

أرسل الإمام إلى عمر بن سعد ليلتقي به، فخرج إليه ابن سعد في عشرين رجلاً وكذلك فعل الإمام عليه السلام.

فقال له الحسين عليه السلام: ويلك يا بن سعد، أما تتقى الله الذي إليه معادك وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى.

قال عمر بن سعد: أخاف أن يهدم داري.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك.

قال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

قال: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

فقال: لي عيال أخاف عليهم. ثم سكت ولم يجبه إلى شيء.

فانصرف عنه الإمام الحسين عليه السلام وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر الله لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلاَّ يسيراً.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص: ٢٥٥.

ليلة عاشوراء

في التاسع من محرم، تحرك ابن سعد باتجاه معسكر الحسين عليه السلام بعد العصر. فأرسل الحسين عليه السلام العباس إلى القوم ليستطلع الخبر، فقالوا له: قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم. فعاد العباس وأخبر الحسين عليه السلام فقال له: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتدفعهم عند العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار[1]. فمضى العباس إلى القوم، ورجع من عندهم ومعه رسول من قبل عمر بن سعد يقول: إنا قد أجَّلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرَّحنا بكم إلى عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا بتاركيكم.

جمع الإمام عليه السلام أصحابه عند حلول المساء. قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين. أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني لأظن أنه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً[2]، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سوادكم

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ١٠٦.
(٢) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٩١./ اتخذ الليل جملاً: أي ستراً للفرار.

ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري[١].

فقال له أخوته وأبناؤه وبنو أخيه وإبنا عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العباس بن علي، واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه.

فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم.

فقالوا: سبحان الله ما يقول الناس؟ يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله ما نفعل ذلك، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة، فقال: أنحن نخلي عنك! ولما نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقك؟ أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أنَّا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ٢٤٨.

وقام زهير بن القين فقال: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهلَ بيتك[١].

وتكلم جميع أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً، فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً وانصرف إلى مضربه.

حواره مع زينب عليها السلام

قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: إني جالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباء له، وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حيّ سالك سبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، وعلمت ما أراد فخنقتني العبرة، فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل.

وكانت زينب عليها السلام قد سمعت ما سمعت من مقالة الحسين عليه السلام فتأثرت على ما سيحل بالإمام عليه السلام وأهل بيته وصحبه، وهي الإنسانة العظيمة التي ستتحمل عبء المسؤولية بعد الحسين عليه السلام فكان أن أغمي عليها، وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام إنَّ الإمام الحسين عليه السلام صبَّ

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٩٣.

على وجهها الماء حتى أفاقت وقال لها: يا أختاه اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلاَّ وجه الله، الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة. فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية، إني أقسمت عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت. ثم جاء بها حتى أجلسها عندي[١].

وروي عن طريق آخر أن زينب عليها السلام سمعت مقالته، فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل.

فقال: نعم يا أختاه.

فقالت زينب عليها السلام: واثكلاه ينعي الحسين إليَّ نفسه. فبكت النسوة متأثرات فجعلت أم كلثوم تنادي: وا محمداه، وا علياه، وا أماه، وا أخاه، وا حسيناه وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله، وقال لها الحسين عليه السلام: يا أختاه تعزي بعزاء الله فإن سكان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلهم يموتون، وجميع البرية يهلكون، ثم قال عليه السلام: يا أختاه يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليَّ جيباً، ولا تخمشن عليَّ وجها، ولا تقلن هجرا[٢].

ثم خرج إلى أصحابه وأمرهم أن يقربوا بيوتهم إلى بعضها، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت فيقبلوا القوم

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٩٤.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٥٠

في وجه واحد والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم قد حفت بهم، إلاَّ الوجه الذي يأتي منه عدوهم، ورجع عليه السلام إلى مكانه، فقام ليلته كلها يصلي ويستغفر ويدعو ويتضرع، وقام أصحابه كذلك يصلون ويدعون ويستغفرون .

يوم عاشوراء

صلى الإمام الحسين عليه السلام صلاة الصبح، ووزع أصحابه استعداداً للمعركة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً[(١)]، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته أخاه العباس بن علي، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بالحطب والقصب ليحرق وراء البيوت كي لا يأتوا من ورائهم. في المقابل كان عمر بن سعد على رأس ثلاثين ألفاً .

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة[(٢)].

أقبل القوم يجولون حول مخيم الحسين عليه السلام، فرأوا الخندق خلف

(١) ذكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين، في كتابه «أنصار الحسين عليه السلام»، أنَّ الأسماء التي انتهى إليها بحثه يدلّ على أنَّ عدد شهداء كربلاء واحد وثمانون إسماً، فيهم ثلاثة موالي للإمام الحسين عليه السلام .

(٢) الطبري، ج٤، ص: ٣٢١.

الخيام لحمايتها، والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان قد ألقي فيه، فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن؟ فقالوا: نعم. فقال له: يا بن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً. طلب مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام وقال: لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم[١].

خطبة الحسين عليه السلام الأولى

دعا الحسين عليه السلام براحلته، فركبها ونادى بأعلى صوته وسمعه جلهم: أيها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليَّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النَصَف، كنتم بذلك أسعد ولم يكن عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النَصَف من أنفسكم، فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم أقضوا إليَّ ولا تنظرون ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾. ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النبي وعلى ملائكته وعلى أنبيائه، ثم قال: أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله صلى الله عليه وآله بما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٤٥.

صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضرُ بهِ من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، إسألوا جابر بن عبد الله الأنصاري أو أبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك[1]، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟

فقال شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك.

ثم قال لهم الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثرا ما أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم، ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟ فأخذوا لا يكلمونه فنادى: يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وطمت الجمام وإنما تقدم على جند لك مجندة فأقبل؟

قالوا له: لم نفعل.

فقال عليه السلام: سبحان الله بلى والله فعلتم. أيها الناس إذا كرهتموني، فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض.

---

(١) من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله

فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال له الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب[1].

توبة الحر

لما رأى الحر بن يزيد الرياحي أن القوم قد صمموا على قتال الحسين عليه السلام، قال لعمر بن سعد: أي عمر!أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: إي والله قتالاً شديداً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي.

قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضى؟

قال عمر: أما لو كان الأمر إليَّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى.

أخذ الحر يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً، فشاهده مهاجر بن أوس على حالة محيرة، وقال له: لو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟

فأجابه الحر: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأحرقت. ثم ضرب فرسه فلحق الحسين عليه السلام فقال له: جعلت فداك يا بن رسول الله، أنا الذي حبستك

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ١١٨./ الطبري، ج٤، ص: ٣٢٢.

عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى، ما ركبت مثل الذي ركبت، وأنا تائب إلى الله مما صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟

فقال له الحسين عليه السلام: نعم يتوب الله عليك فانزل.

فقال: أنا لك فارساً خير مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك[1]. وتوجه الحر إلى أصحابه ينصحهم، فلم يستجيبوا له، وحملت عليه رجّالة ترميه بالنبل، فتراجع إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام.

خطبة الحسين عليه السلام الثانية

لمَّا عبَّأ ابن سعد أصحابه، فأحاطوا بالحسين عليه السلام من كل جانب حتى جعلوه في مثل حلقة، خرج الحسين من أصحابه فأتاهم فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا فقال لهم: ويلكم! ما عليكم أن تنصتوا إليَّ فتسمعوا قولي! وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد! فتلاوم أصحاب عمر بن سعد، وقالوا: أنصتوا له، فقال:

تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً! استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على

(١) المفيد، الإرشاد، ص: ١٠٠.

أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاًّ لكم الويلات، تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، فسحقاً يا عبيد الامة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الآثام، ونفثة الشيطان، ومفطئي السنن! أهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون؟! أجل والله، الغدر فيكم قديم، وشجت إليه أصولكم، وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجى للناظر وأكلة للغاصب!

ألا وإن الدعيَّ ابن الدعيَّ قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله ذلك لنا، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلة الناصر. ثم أنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي:

فإن نَهزم فهزّامون قدماً ... وإن نُهزم فغير مغلبينا
وما إن طبّنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رفع عن أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا
فأفنى ذلكم سرواة قومي ... كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ... ولو بقي الكرام إذاً بقينا

ثم أيم الله لا تلبثون بعدها إلاّ كريثما يُركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليَّ أبي عن جدي

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ثم رفع يديه نحو السماء وقال: اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير[١].

استجابة دعاء الإمام الحسين عليه السلام

إن رجلاً من بني تميم يقال له عبد الله بن حوزة، جاء حتى وقف أمام الحسين عليه السلام فقال: يا حسين! يا حسين! فقال الحسين عليه السلام: ما تشاء؟ قال: أبشر بالنار! قال: كلا! إني أقدم على رب رحيم، وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة. قال: رب حزه إلى النار. فاضطرب به فرسه في جدول، فوقع فيه، وتعلقت رجله بالركاب، ووقع على رأسه في الأرض، ونفر الفرس، فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة، حتى مات[٢].

الشهداء الأطهار

زحف عمر بن سعد نحو معسكر الحسين عليه السلام، ووضع سهماً في كبد قوسه ثم رمى، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى. وبدأت المعركة التي حصلت فيها المبارزة وحصل قتال المجموعات،

---

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٥٩ ـ ٦٠.
(٢) الطبري، ج٤، ص: ٣٢٧.

وقد رأينا كتب السيرة تستعرض الحوارات التي جرت بين عدد من المتبارزين في المعسكرين، وترتب الشهداء، كما يمكن أن يكون التزامن حاصلاً في بعض الأحيان كهجوم الميمنة والقتال عندها، وهجوم الميسرة والقتال عندها، لكن الذكر المنفصل لكل حادثة مع تفاصيلها يوحي بالترتيب أحياناً .

أما الشهداء فقد استشهدوا في اليوم العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة، قبل وبعد صلاة الظهر، ولم يكن الزمن طويلاً. وقد صلى الإمام عليه السلام صلاة الخوف ظهراً بمن كان قد بقي حياً، وكان منهم سعيد الحنفي وزهير بن القين. استمر القتال إلى أن استشهد اثنان وسبعون مجاهداً من أصحابه وأهل بيته، وكانت شهادة الأصحاب أولاً ثم شهادة عترة الرسول صلى الله عليه وآله بعدهم .

أول شهداء الأصحاب مسلم بن عوسجة الأسدي، مشى إليه الحسين عليه السلام وبه رمق، فقال: رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾. ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزَّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة.

فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشَّرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك، لاحقٌ بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصيني بكل ما أهمَّك، حتى أحفظك في كل ذلك، بما أنت أهلٌ له في القرابة والدين.

قال مسلم: بل أنا أوصيك بهذا، رحمك الله (وأهوى بيده إلى الحسين عليه السلام) أن تموت دونه.

قال حبيب: افعلُ وربِّ الكعبة[١].

ثم استشهد عبد الله بن عمير الكلبي، فخرجت امرأته أم وهب تمشي إليه، حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب، وتقول: هنيئاً لك الجنَّة. فأمر شمر بن ذي الجوشن غلاماً له يدعى رستم، فضرب رأسها بالعمود، فشدخه، فماتت مكانها[٢].

تقدَّم جون مولى أبي ذر الغفاري، وكان عبداً اسوداً، فقال له الحسين عليه السلام: أنت في إذنٍ منى، فإنَّما تبعتنا للعافية، فلا تبتلِ بطريقنا. فقال: يا بن رسول الله، انا في الرخاء الحسُ قِصاعكم، وفي الشدة أخذلكم! والله انَّ ريحي لنتن، وحسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفَّس عليَّ بالجنة، فيطيبُ ريحي، ويشرف حسبي، ويبيضُ وجهي، لا والله لا أفارقكم، حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثم قاتل حتى قتل.

فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال: اللهم بيِّض وجهه، وطيِّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرِّف بينه وبين محمد وآل محمد[٣].

من شهداء الأصحاب ايضاً: أبو الشعثاء من بني بهدلة، عمر بن خالد، جابر بن حارث السلماني، سعد مولى عمر بن خالد، مجمع بن عبد الله العائذي، برير بن خضير شيخ قراء أهل الكوفة، عمرو بن قرظة بن كعب، حبيب بن مظاهر، الحر بن يزيد الرياحي.

من شهداء الأصحاب الذين استشهدوا بعد الصلاة: سعيد الحنفي، زهير بن القين، أبو ثمامة الصائدي، نافع بن هلال الجملي،

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٣٣١-٣٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص: ٣٣٣-٣٣٤.
(٣) الحلي، مثير الاحزان، ص: ٤٧.

الغفاريان عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة، الجابريان سيف بن حارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع، حنظلة بن أسعد الشبامي، عابس بن أبي شبيب الشاكري، شوذب مولى شاكر، سويد الخثعمي، وغيرهم.

شهداء أهل البيت النبوي

أما شهداء أهل البيت[١]: فأول شهيد منهم علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام (أمه ليلى بنت ميمونة بنت أبي سفيان)، وقد قال الإمام عندما برز إلى القتال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللهم فامنعهم بركات الأرض، وإن منعتهم ففرقهم تفريقا، ومزقهم تمزيقا، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا ويقتلونا، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وبعدما أصابته الجراحات، نادى والده: العطش قد قتلني. . فبكى الحسين عليه السلام وقال: يا بني عزَّ على محمد وعلي وعلى أبيك، أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك. وعندما استشهد قال الإمام عليه السلام: قتل الله قوماً قتلوك، يا بني ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله! على الدنيا بعدك العفا[٢].

---

(١) بحسب ما ورد في كتاب معالم المدرستين للعلامة السيد مرتضى العسكري المجلد الثالث (١٢٢ ـ ١٣٦)، وقد ذكر المصادر التي اعتمد عليها في تحديد الأسماء.

(٢) الخوارزمي، المقتل، ج٢، ص: ٣٠ ـ ٣١.

ثم استشهد عبد الله بن مسلم بن عقيل، وجعفر بن عقيل بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (أمه الهوصاء)، وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(أمه العقيلة زينب)، وعبد الله بن الحسن بن علي، والقاسم بن الحسن بن علي الذي لم يبلغ الحلم، ثم برز ستة أخوة للحسين عليه السلام: اثنان من أولاد ليلى(بنت مسعود التميمية)، وثلاثة أخوة للعباس (أمهم أم البنين بنت حزام)، وهم: عثمان وجعفر وعبد الله.

بقي أبو الفضل العباس (قمر بني هاشم) حامل لواء الحسين، الذي قال لأخيه الحسين عليه السلام: قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، وأريد أن آخذ ثأري منهم. فأمره الحسين عليه السلام أن يطلب الماء للأطفال، فذهب إلى القوم ووعظهم وحذَّرهم فلم ينفع. ثم أعاد الكرة فركب جواده واستطاع ملء قربة من الماء، لكنها لم تصل إلى الأطفال، إذ قطعوا عليه الطريق وقاتلوه حتى قطعت يمينه ثم حمل السيف بشماله فقطعت، ثم استشهد، فقال الحسين عليه السلام: «الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي»[1].

ثم قتل القوم عبد الله الرضيع (أمه الرباب وهي أم سكينة) وهو بين يدي أبيه سيد الشهداء يودعه، حيث رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، فتلقى الحسين عليه السلام الدم بكفه ورمى به نحو السماء ثم قال: هون ما نزل بي أنه بعين الله[2].

---

(١) الخوارزمي، المقتل، ج٢، ص: ٣٠.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٦٩.

شهادة الإمام الحسين عليه السلام

بقي الحسين عليه السلام وحيداً، وروي عنه قوله أثناء القتال: أعلى قتلي تحاثون! أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم لقتله مني. وايم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله أن لو قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

هجم عليه القوم فقاتلهم قتالاً شديداً وأوقع فيهم القتلى ثم ضربوه بالرماح والسيوف حتى سقط أرضاً، وقد أحصى الرواة في جسده ثلاثاً وثلاثين طعنة، وأربعاً وثلاثين ضربة، وأقدم سنان بن أنس على حز رأسه، ثم دفعه إلى خولي بن يزيد الأصبحي ليحمله، وروي أن الشمر هو الذي حزَّ الرأس. انتدب عمر بن سعد عشرة من جماعته فداسوا جسد الحسين عليه السلام بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره. ثم سُلب الحسين عليه السلام ما كان عليه، فأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خز، وأخذ نعليه رجل من بني الأود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل، وأخذ يجدل خاتمه بعد أن قطع اصبعه.

ثم مال القوم على نساء الحسين عليه السلام وثقله ومتاعه، وانتهبوا ما في الخيام وأضرموا النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله، وأن المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وتنازع ثوبها عن ظهرها، وخاتمها من اصبعها، وقرطها من أذنها، والخلخال من رجلها.

السبايا والرؤوس

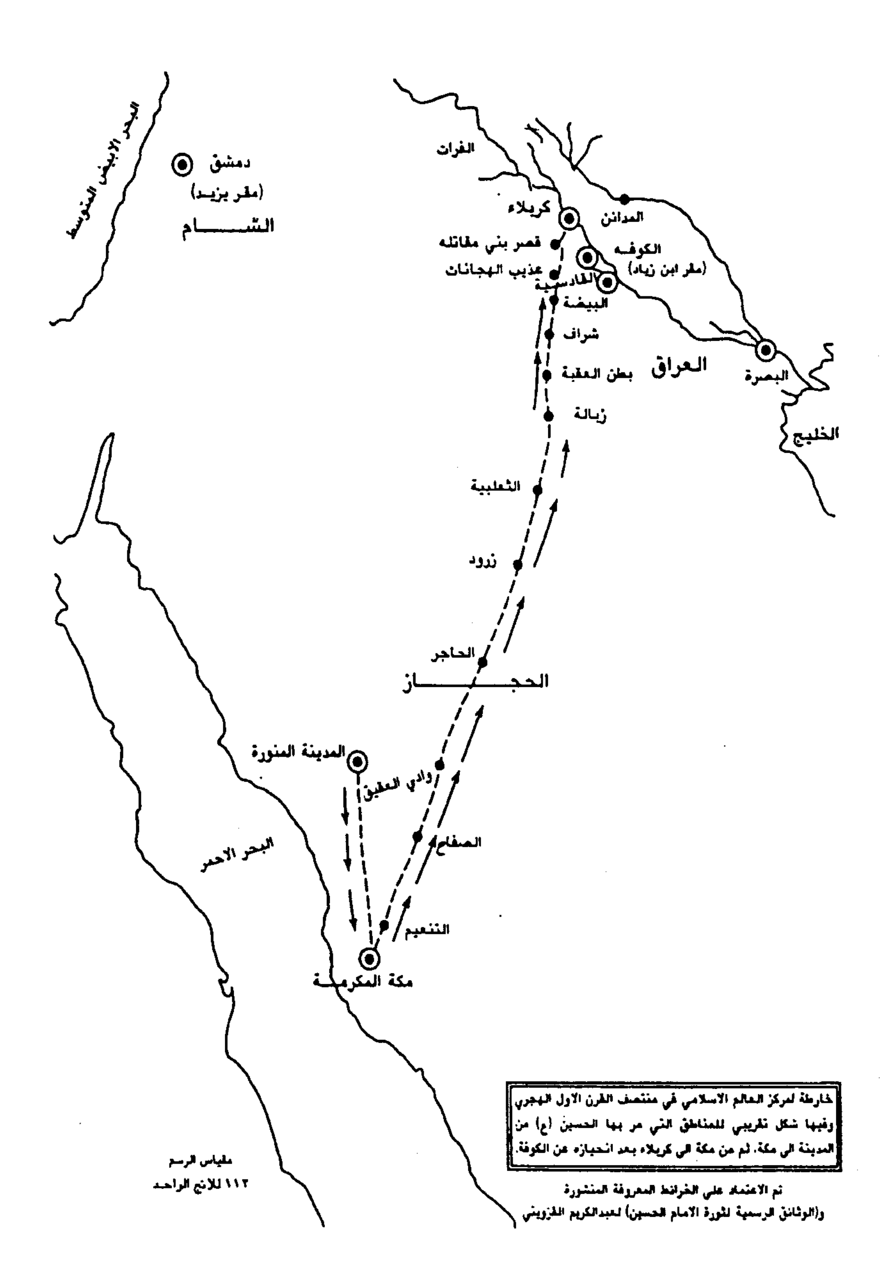
كما قُطع رأس سيد الشهداء الحسين عليه السلام، فقد قُطعت رؤوس الشهداء ممن قُتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره وتوزعت على القبائل، فحملت كندة ثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث، وهوازن عشرين رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وتميم سبعة عشر رأساً، وبنو أسد ستة رؤوس، ومذحج سبعة أرؤس، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس، فذلك سبعون رأساً. سيّر ابن سعد الرؤوس إلى الكوفة، وأقام مع جيشه إلى الزوال من اليوم الحادي عشر من محرم، فجمع قتلاه وصلى عليهم ودفنهم، وترك سيد شباب أهل الجنة والشهداء بلا غسل ولا كفن ولا دفن. حيث دفنهم بعد ذهاب ابن سعد قوم من بني أسد كانوا بالغاضرية[1].

بعد الزوال ساق القوم موكب السبايا كما تساق الأسارى إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، الذي أرسل بعد ذلك السبايا وكنَّ عشرين امرأة[2] وعلى رأسهم العقيلة زينب عليها السلام، ومعهم الإمام زين العابدين عليه السلام وولده الإمام الباقر عليه السلام وهو طفلٌ صغير، والرؤوس وفي مقدمتهم رأس الإمام الحسين عليه السلام، إلى دار الخلافة عند يزيد بن معاوية في الشام .

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ١١٤.
(٢) المقرم، المقتل، ص: ٣٠٥.

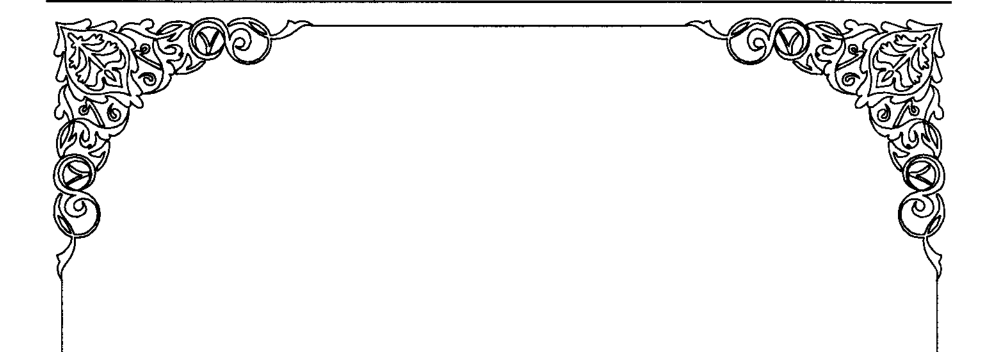
جدول محطات المسير إلى كربلاء

موت معاوية	١٥ رجب ٦٠ هـ
خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة بعد رفض البيعة	٢٨ رجب ٦٠ هـ
دخول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة	٣ شعبان ٦٠ هـ
مغادرة الإمام الحسين عليه السلام لمكة باتجاه الكوفة	٨ ذي الحجة ٦٠ هـ
وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء	٢ محرم ٦١ هـ
يوم الاستشهاد	١٠ محرم ٦١ هـ



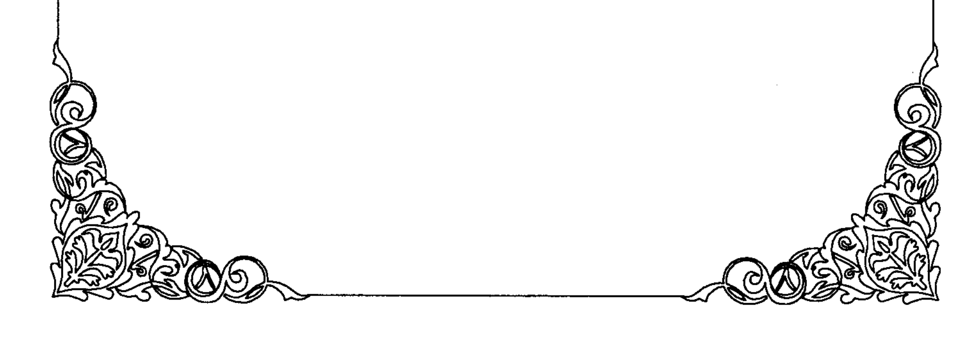
خارطة لمركز العالم الاسلامي في منتصف القرن الاول الهجري وفيها شكل تقريبي للمناطق التي مر بها الحسين (ع) من المدينة الى مكة، ثم من مكة الى كربلاء بعد انحيازه عن الكوفة.

تم الاعتماد على الخرائط المعروفة المنشورة و(الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين) لعبدالكريم القزويني



الفصل الثالث

إضاءات على السيرة



إضاءات على السيرة

١ ـ ما هو السبب الرئيس للثورة الحسينية؟

٢ ـ ألم تكن البيعة ممكنة مرحلياً؟

وهل كانت المواجهة محصورة بالشهادة؟

٣ ـ لماذا أصرَّ يزيد على البيعة؟

لماذا غادر الإمام عليه السلام المدينة المنورة باتجاه مكة المكرمة؟

ولماذا خرج من مكة قبل الوقوف بعرفة بيوم واحد؟

٤ ـ ما سبب كلماته وخطبه في مواقع عديدة مع المعسكر المقابل؟

٥ ـ لماذا أقدم الحسين عليه السلام على مسيرته مع علمه المسبق بنتائج كربلاء؟

٦ ـ ما هي أسباب إصطحاب النساء والعيال؟

٧ ـ لماذا تراجع أهل الكوفة عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام؟

٨ ـ لماذا لم يستعجل سيد الشهداء عليه السلام مكان وزمان المعركة؟

٩ ـ ما هو تفسير قطع الرؤوس والتمثيل بالجثث؟

١٠ ـ ما الذي أضافه أنصار الحسين عليه السلام في موقعة الطف؟

١١ ـ ما علاقة العبادة بالمعركة؟

١٢ ـ لماذا يستمر إحياء المجالس العاشورائية حتى يومنا هذا؟

١٣ ـ لماذا يتم التركيز على البكاء في مجالس عاشوراء؟

١٤ ـ ألا يسبِّب إحياء عاشوراء نعرات مذهبية بين المسلمين؟

سنقدِّم في هذا الفصل إضاءات على السيرة تجيب عن هذه الأسئلة.

الانحراف الخطير للأمة

ما هو السبب الرئيس للثورة الحسينية؟

الإسلام خاتم الرسالات السماوية وأكملها وأتمها، أنزله الله جلَّ وعلا قرآناً عربياً مبيناً على خاتم الأنبياء محمدﷺ. انتشر الدين الجديد في شبه الجزيرة العربية بسرعة كبيرة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، لكن لم يتسن لهذه الجموع أن تستوعب تعاليم الإسلام بدقة. ما يؤكد أن التوجيه المستمر ضروري، وأن الإمامة تمثل استمرارية الرسالة بتوضيح معالم الطريق إلى الله جلَّ وعلا. ومع اتساع الدولة الإسلامية والمنتسبين إليها، تراكمت المصالح والمكتسبات الخاصة وتحولت إلى موضوع للنزاع. ولم يخلُ تاريخ البشرية القديم والحديث من صراع على السلطة مع ما يكلف ذلك من حروب ودماء وخراب.

أصاب مرض السلطة الدولة الإسلامية الناشئة، ما أحدث مفاجأة ظنَّ البعض أنها تطعن في قدرة الإسلام على التغيير، لكنَّ التغيير لا يتم بعنوان الدين فقط بل بتبنيه وعيشه والالتزام بتعاليمه، والناس في هذا الأمر كغيره من كل أمور الحياة فريقان ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1]. فالانقسام طبيعي بين ثلة مؤمنة تحرص على حماية تعاليم

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.

السماء، ومجموعة أخرى تتقاذفها الأهواء وتكون كما قال الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درَّت معايشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلَّ الديانون»(*).

هنا يأتي دور الثلة المؤمنة لتقوم بواجب التبليغ والتعبئة وبذل الجهد والجهاد... لحماية الفكرة وسلامة تطبيقها، في مقابل المنافقين والمنحرفين والكافرين الذين لن يوفروا جهداً لتحقيق أطماعهم وأمانيهم ورغباتهم مهما كان الثمن. ولا ينحصر دور الثلة المؤمنة بأسلوب واحد في مواجهة الانحراف، فقد تنفع المهادنة في مرحلة، والصبر في مرحلة أخرى، والشهادة في مرحلة ثالثة، أما تقدير الأسلوب وخطوات التحرك فيعود إلى القيادة الشرعية التي تحدد سقف المواجهة وضوابطها.

وصلت خطوات الانحراف في واقع الأمة الإسلامية إلى درجة خطيرة، حيث أصبح الإسلام مهدداً كبنية فكرية وروحية متكاملة في حياة الإنسان. وتجاوز الصراع على السلطة دائرة الحرص على الشكل الإسلامي العام مع الإخلال بالمضمون، إلى درجة الإطاحة بالشكل والمضمون. فالتجاوز دفع بمعاوية بن أبي سفيان أن يهيء لخلافة ابنه يزيد ليحوِّل الخلافة إلى وراثة قبلية، وحكم المسلمين إلى مغنم عائلي، دون العودة إلى قواعد الاختيار الشرعي للأكفأ والأصلح وصاحب الحق. وقام معاوية بعمل واضح ومكشوف في أخذ البيعة لابنه وذلك سنة ست وخمسين للهجرة أي قبل أربع سنوات من وفاته، على الرغم من الصفات

(*) ملاحظة: لم نذكر في هذا الفصل الثاني مصادر الروايات عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام، لأنها موثقة بكاملها في الفصل الأول، خاصة أن هذا الفصل تحليلي ويعتمد على مختصر السيرة بشكل أساس، واقتصرنا على بعض المصادر التي تظهر لاحقاً ولم ترد في متن السيرة.

الشخصية السيئة والواضحة في الولد، والتي عبَّر الإمام الحسين عليه السلام عنها عند الوليد بن عتبة أثناء طلب البيعة له: «ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرَّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله».

إنَّ المسؤولية تقع على عاتق الأمة بأسرها، لكنها مخدَّرة ومرتبكة ومستسلمة للواقع القائم، فإذا استمرت هذه الحالة، فهذا يؤدي إلى تناميها باتجاه جديد يُسقط البناء الأساس، وعندها تجري تحولات بنيوية في العقيدة والسلوك، وتُفرَّغ الشريعة المقدسة تدريجياً من محتواها الأصيل، ليكون لتباعد الزمن عن بداية وحي القرآن الكريم الأثر الكبير في التحريف والتضليل. إنَّنا أمام تحول كبير وخطير في الأمة يُسقط أهليتها في حمل الرسالة، والله أعلم بطبيعة المدى الذي يمكن أن تصل إليه الأمور! أين هي الأمة التي تترك قيادتها الشرعية المتمثلة بسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ليكون مع نيف وسبعين رجلاً في كربلاء، بينما عشرات الآلاف في معسكر الضلال؟! أيُّ موقع للإسلام فيها حيث تُساق السبايا ومعها الرؤوس أمام الملأ الذين يحتفلون في الشام وكأنه يوم عيد لمقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ومن معه؟!

الخيار الوحيد

ألم تكن البيعة ممكنة مرحلياً؟

وهل كانت المواجهة محصورة بالشهادة؟

لا بدَّ من هزة تحصل في الأمة لتوقظها من سباتها وغفلتها، لا بدَّ من اندفاعة مدوِّية تُسمعُ المدن والأطراف، لا بدَّ من نهضة تضع الجميع أمام مسؤولياتهم، لا بدَّ من موقف يشكل الحد الفاصل بين الاستقامة والانحراف، بين الأصالة والزيف، بين المشروع والمنكر. مثَّلت كربلاء

الشهادة كما حصلت بكل تفاصيلها وجزئياتها الحلَّ الوحيد لتحقيق الهدف، وقد تحقق هذا الهدف، فالأمة استيقظت، وأصبحت معالم الطريق واضحة، وتنقَّت أطروحة الإسلام من زيف التطبيق المنحرف، وسُجلت حيوية جديدة لمصلحة هذا الدين، فشكلت نهضة الحسين عليه السلام خط الدفاع الضروري لاستمرارية الرسالة الإلهية، ما يجعلنا ندرك أبعاد موقعية الإمام الحسين عليه السلام في الحديث المشهور والمتفق عليه بين المسلمين: «حسين مني وأنا من حسين».

المقدمات التي سبقت شهادة كربلاء تدل بشكل قطعي على عدم وجود خيار آخر لتحقيق الهدف. فقد أرسل يزيد إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة يأمره بأخذ البيعة بالقوة: «أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا». ولا يمكن للإمام عليه السلام أن يبايعه فهي مخالفة لتحقيق الهدف والقيام بالتكليف، فقد كتب هدفه في وصيته الواضحة والمحددة لأخيه محمد ابن الحنفية عند عزمه على ترك المدينة المنورة: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي صلى الله عليه وآله وأبي علي عليه السلام»، لكن يزيد لن يقبل إلاَّ بالبيعة.

كما أرسل ابن زياد الحر الرياحي على رأس ألف فارس ليجعجع بالحسين عليه السلام إلى كربلاء، حيث لا حصن ولا ماء للضغط باتجاه البيعة رافضاً لأي حل آخر، فالحر لم يسمح له بسلوك طريق يعيده إلى المدينة أو يدخله إلى الكوفة، وقال له: «فخذ طريقاً لا يدخلك إلى الكوفة ولا يردك إلى المدينة».

وكذلك عند الاستعداد لهجوم القوم يوم عاشوراء، عندما أنهى الإمام الحسين عليه السلام خطبته الأولى مذكراً قيادات أهل الكوفة بكتبهم إليه، وبعد أن قال: «أيها الناس إذا كرهتموني، فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض»، قال له قيس بن الأشعث: «أولا تنزل على حكم بني عمّك؟ فإنهم لن يروك إلاَّ ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه».

البيعة هي المقابل للشهادة، وهي بحسب الظروف المحيطة بها تُجهز على البقية الباقية من أمل الإصلاح الذي يمثله الإمام المعصوم. وقد كان يزيد بحاجة إليها لإضفاء المشروعية على خلافته، وليس بالإمكان تجاوز أهميتها، إذ يشكِّل عدم البيعة حالة التفاف حول الإمام عليه السلام واعتراض في داخل الأمصار، كما حصل مع أهل الكوفة في بداية الأمر، ما يؤدي إلى توسيع هذه الحالة وتهديد حكم الخليفة.

أمَّا المقارنة مع ما حصل من صلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية فغير سليمة، لأن معاوية قد مرَّ بخطوات سابقة، انطلاقاً من ولايته للشام، وصولاً إلى الخلافة التي ثبَّتت موقعيته، إلى درجة جعلت المعركة معه في نظر المسلمين خروجاً على الخليفة، ومفتقرة إلى الإقناع بمشروعيتها في نظر العامة من الناس، عدا عن مواصفات معاوية الشخصية غير البارزة بانحرافها كيزيد، ولا يمكن لمعركة في مثل هذه الظروف أن تُحدث الانعطاف المطلوب، لذا يمكن القول بأنَّ الصلح كان مقدمة لنضج خطوات كربلاء باتجاه الثورة الناجحة بأهدافها، وإسقاط مشروعية خلافة يزيد بالمواصفات التي يمتلكها كوليٍّ للمسلمين، وإحداث الوعي وتحريك الوجدان الشعبي لحماية التطبيق العملي السليم للإسلام في حياة الأمة ومستقبلها.

لقد صبر الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام بالسم سنة خمسين للهجرة لمدة عشر سنوات هي تتمة حكم معاوية قبل موته، ما يؤكد من وجهة نظر الإمام الحسين عليه السلام استمرارية ظروف ومعطيات صلح الحسن عليه السلام والتزامه به، إلى أن حلَّ أوان التغيير بتوريث يزيد، فرفضَ البيعة. ومع أن الشهادة أمنية القرب الأرقى من الله جلَّ وعلا، لكنها مقيَّدة بالزمان والمكان المناسبين، وهي جزء من التكليف الشرعي بضوابطه، وفي الوقت نفسه تصبح واجبة عند انحصار الخيارات بها، فالإمام الحسين عليه السلام يقول: «إني لا أرى الموت إلاَّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاَّ برماً»، وبهذه المقارنة تكون الشهادة خيار الأتقياء. ومَنْ أولى من القيادة الشرعية لتحديد التوقيت المناسب لخيار الشهادة مقابل الخيارات الأخرى؟ عندها لا عذر للأمة في تقصيرها، الذي يكون ثمنه باهظاً على مستوى وجودها وفعاليتها فضلاً عما يكون عليه واقع أفرادها.

خطر الاغتيال

لماذا أصرَّ يزيد على البيعة؟

لماذا غادر الإمام عليه السلام المدينة المنورة باتجاه مكة المكرمة؟

ولماذا خرج من مكة قبل الوقوف بعرفة بيوم واحد؟

أعدَّ يزيد خطته لتثبيت خلافته الموروثة، وحاول توفير عوامل النجاح لها، مستخدماً لذلك التهديد بالقوة والقتل، فهو لم يترك سبيلاً محرَّماً إلاَّ وسلكه لتحقيق هدفه. أرسل عبر الوليد لأخذ البيعة من الحسين عليه السلام ولـمَّا لم يفلح في ذلك عزله. عيَّن عبيد الله بن زياد والي البصرة والياً على الكوفة عندما عجز واليها النعمان بن البشير عن السيطرة على حركة رسول الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، فعمل ابن زياد بالبطش

والتنكيل إلى أن فرَّق القوم عن مسلم الذي بقي وحيداً، ثم قتل مسلم وقطع رأسه، وقتل هانيء بن عروة وقطع رأسه، ثم أرسل الرأسين إلى يزيد، فاستطاع ابن زياد بهذا العمل مع ما سبقه من قتل رسولي الحسين عليه السلام عبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوي، وما رافقه من تهديد للآخرين بالقتل، أن يخمد الثورة في الكوفة ويعطل قدرتها في نصرة الإمام الحسين عليه السلام.

كان الأفضل ليزيد أن لا تصل الأمور إلى المواجهة، لذا وجَّه الوليد بأخذ البيعة ولو بالقوة، وعند عدم موافقة الحسين عليه السلام أشار مروان بن الحكم على الوليد برأي يزيد، بالبيعة مباشرة أو القتل في حينه. أما خروج الإمام من المدينة فلكي لا تنحصر المسألة بهذه النتيجة، ولأن إظهار رفض البيعة إلى العلن والتحريض عليها يساعد في تحقيق الهدف، فقد قال للوليد: «فإن مثلي لا يبايع سراً ولا يُجتزأ بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان أمراً واحداً».

كان الإمام الحسين عليه السلام يعمل بطريقة معاكسة لأسلوب يزيد، فيزيد يريد الاغتيال أو القتل الفردي، أمَّا الإمام عليه السلام فيريد إبراز الحق ووضع الأمة أمام مسؤولياتها وذلك بالمواجهة المكشوفة. وعندما همَّ الإمام عليه السلام بالخروج من مكة نصحه أخوه محمد ابن الحنفية بعدم مغادرة مكة، فقال له: «يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت». وفي الطريق إلى كربلاء نصحه شيخ من بني عكرمة بالعودة، فقال له: «والله لا يدَعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي». إنَّ خطر الاغتيال غير خافٍ، حيث يضيع الدم، وقد تتصدى السلطة الحاكمة فتحمِّل بعض الأفراد المسؤولية، ثم تعدمهم

لتضيِّع الحقيقة، فتُبرز حرصها على الإمامعليه السلام، وأنَّها لم تكن ضد حرية رأيه وقراره، فتتخلص بذلك مِمن يمكن أن يكشفها بأبخس الأثمان، من دون التورط في المعركة، لكنَّ ما حصل فضح السلطة بالكامل، فتحمَّلت المسؤولية كاملة.

كانت إجراءات الإمامعليه السلام معلنة، فقد سلك الطريق الرئيسي عندما خرج من المدينة إلى مكة، رافضاً نصيحة من دعاه لتنكب طريق جانبية كما فعل ابن الزبير. وعندما حدد الخروج من مكة في الثامن من ذي الحجة أي قبل يوم واحد من الوقوف بعرفة، فلأنه حرص على عدم استغلال فرصة الحج لقتله حيث كان يتوقع ذلك. ولم يستجب لأمان والي مكة عمرو بن سعيد إذ لا سلطة له فيما لو كان صادقاً، وهو الذي أرسل جنده قبل الأمان ليمنع الإمامعليه السلام من الخروج، حيث دفعهم أصحاب الإمامعليه السلام ثم تابعوا مسيرهم.

إلقاء الحجة

ما سبب كلماته وخطبه في مواقع عديدة مع المعسكر المقابل؟

كانت كل إجراءات الإمامعليه السلام لزجِّ الأمة في مشروع الإصلاح، وهو لم يترك فرصة إلاَّ واستفاد منها لإيقاظ من يمكن منهم، فكان يخطب في كل محطة من المدينة إلى كربلاء بل وفي كربلاء نفسها على مشارف القتال، وكان يحاور الأفراد والجماعة ويحمِّلهم المسؤولية، ويبيِّن لهم أهدافه من خلال خطبه وكلماته ومحاوراته، ويشرح لهم المنطلقات والدوافع وفق توجهات الإسلام ومن أجله.

عندما عزم على الخروج من مكة، قال: «رضا الله رضانا أهل

البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ على رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرُّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى». فالسير مع الإمام عليه السلام رضًا لله، وهو يمثِّل الشرعية، وعلى الأمة أن تتحمل التضحيات في سبيل الإسلام.

خطب الإمام في أصحابه وأصحاب الحر في «البيضة»، ومما قاله: «من رأى منكم سلطاناً جائراً.. الحديث، ثم قال: «ألا أن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلُّوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر»، فهو يحدد لهم تكليفهم الشرعي، ويبيِّن لهم مفاسد الظلمة، ويدعوهم إليه من موقع المسؤول عن القيادة لا من موقع المنافس على السلطة.

ألقى الحجة عليهم في اليوم العاشر، ومما قاله في خطبته الأولى: «أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟» فلم يرد أحد منهم، فهم يتحركون بأمر من السلطان في مواجهة معارضيه.

ومما قاله في الخطبة الثانية: «ألا وإن الدَّعي ابن الدَّعي، قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منَّا الذلَّة»، فالحاكم الظالم لم يترك خياراً، وليعلم هؤلاء بأنهم يساهمون في ارتكاب الإثم، ولن يقبل الإمام الذِّلة.

كان حرص الإمام عليه السلام على الحوار مع كل من التقى به ليكون على

بينة من أمره، فحديثه مع زهير بن القين أثمر التحاق زهير بعسكر الحسين عليه السلام، وحواره مع الحر وجماعته وطريقة أدائه في إرواء القوم وعدم البدء بالقتال أثَّر في توبة الحر، وكلامه مع الجعفي ساهم في تحييده عن المعركة. في المقابل لم يستجب ابن سعد أو شبث بن ربعي أو غيرهما من أفراد الأمة. لقد كانت محاورات الإمام عليه السلام الفردية وخطبه العامة لإلقاء الحجة على جميع من التقى به.

السلوك نحو الهدف

لماذا أقدم الحسين عليه السلام على مسيرته مع علمه المسبق بنتائج كربلاء؟

لم تكن كربلاء مفاجأَة للإمام الحسين عليه السلام، فقد أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها وكذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يعلم ذلك، وقد سمع بها المسلمون ومنهم أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحدث بوضوح عن هذا الأمر لأم سلمة: «وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وإني والله لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أُدفن فيها»، ثم قال: «شاء الله عزَّ وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً».

لم يكن سلوكه إليها رمي بالنفس إلى التهلكة، لأن التهلكة الحقيقية هي البيعة الذليلة، التي لا تلغي أجلاً ولا تطيل عمراً ولكنها تُسقط مؤدِّيها. ومن راقب كل تفاصيل حركة الإمام الحسين عليه السلام يجدها دقيقة ولا بديل عنها. إنَّ الإمام عليه السلام المعصوم يعيش حياته الطبيعية مع الناس، ويتحمل المرارات والآلام والتضحيات، أو يتوفق للانتصارات، ضمن سنن الله تعالى في الحياة، ليكون القدوة والنموذج، ولا تتعطل حركته

المطلوبة أو تتغير عندما تُستشرف العقبات والنتائج مسبقاً. فإذا كانت النتائج محصورة فالعمدة في الاختيار هو الهدف والطريق المستقيم لمرضاة الله، إذ لا تُقيَّم الأعمال بحسابات الربح والخسارة المادية الدنيوية، بل تُقاس بأداء التكليف الشرعي مهما كانت نتائجه. والفرق كبير أيضاً بين الرمي بالنفس إلى الموت وما يحمله من إساءة التصرف بأمانة الله تعالى، وبين سلوك طريق إحقاق الحق الذي يؤدي إلى الشهادة.

إنَّ القيمة الكبرى للإنسان في أن يحمل أهدافاً نبيلة يسعى لتحقيقها، لأن إنسانيته ودوره الدنيوي لا يتكاملان من دون هذه الأهداف. والناس تتنازعهما نظرتان: الأولى تحرص على الحياة الدنيا كهدف مهما استلزم من تنازلات وتردٍّ أخلاقي وقبول بالظلم وتسليم للباطل، فالقاعدة عند هؤلاء تتمحور حول تجنب العقبات التي تهدد الحياة بالخطر. الثانية تحرص على أداء المهمة الإنسانية بكل أبعادها في خلافة الله على الأرض، ليكون الهدف حاكماً مهما كانت نتائج الارتباط به، ومهما كانت تكاليف مواجهة الظلم والعدوان والانحراف كبيرة ولو أدت إلى الشهادة.

فالإمام الحسين عليه السلام عمل من أجل الهدف، سواء تحقق بيسر وقبول عند الأمة، أو استلزم المواجهة والشهادة كما حصل. وهو بذلك يثبِّت المنهج العملي للمسلم الرساليّ.

أسباب اصطحاب النساء

ما هي أسباب إصطحاب النساء والعيال؟

لم تكن معرفة الإمام عليه السلام مقتصرة على شهادته بل كان يعلم بسبي النساء، وهو الذي أجاب محمد ابن الحنفية عندما سأله عن سبب

اصطحاب النساء: «إن الله شاء أن يراهُنَّ سبايا». وقال لأم سلمة: «شاء الله أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين». والمشيئة هنا تنبئ عن علم الله تعالى بنتائج عمل الحسين عليه السلام وأهل بيته، وليس معناها سلب الإرادة، إنما تكون مشيئة الله ملزمة في الخلق كأن يخلق الله الإنسان من الأم الفلانية وباللون والشكل الفلاني.. الخ، أما الأعمال فهي مسؤولية الإنسان، وهي تقع ضمن مشيئة الله على قاعدة أن الله تعالى قد فطر الناس على الاختيار للخيرأو الشر، ولن يختاروا إلاَّ أحدهما، فهم ضمن مشيئته بهذا المعنى، لكنَّه اختيارهم.

أما الأسباب الموضوعية التي يمكننا استفادتها من خروج النساء مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء، فيُحتمل أن تكون- والله أعلم- التالية:

١ ـ أدرك الإمام الحسين عليه السلام أن بقاءه في المدينة مستحيل بعد رفضه للبيعة، وأن يزيد لن يدعه بسهولة، فإذا ترك عياله وأقاربه فيها، فاحتمال الضغط على الحسين عليه السلام بالتضييق عليهم أو سجنهم أو الاستفراد بقتل بعضهم أمر وارد، ما يعيق حركة الإمام عليه السلام لاضطراره إلى الاهتمام بعائلته ولو ببعض المتابعة، فاصطحابهم معه يفوِّت على يزيد فرصة للابتزاز، وهذا ما ينطبق على الخروج من مكة أيضاً.

٢ ـ بعدما تبيَّن دور السيدة زينب عليها السلام بعد كربلاء في خطبها ومواقفها في الكوفة والشام والمدينة وتوضيحها لأهداف الثورة، وما فعلته السلطة الظالمة، وكذلك دور فاطمة بنت الحسين عليها السلام، يتضح أن كشف الحقائق والإعلان عن المجريات وتبيان أهداف الثورة لم يكن ممكناً لولا هذه المشاركة. فالموقف الزينبي كان صلة الوصل بين الدماء الزكية الطاهرة وتحريك الأمة لإسقاط الحاكم الظالم من أجل تحقيق

الإصلاح فيها. ولولا من بقي في كربلاء لغابت الكثير من التفاصيل، وكان يمكن التعمية على حقائق كثيرة من جرم بني أمية، كما تختلف رواية خبر كربلاء عن نقل وقائعها، فالنساء شهود الشهادة والشهداء.

٣ ـ قطع الطريق على المعتذرين بالأهل والولد، أو من الأهل والولد، بعدم الجهاد وحماية الدين، فخيرة أهل الأرض من نساء آل البيت في ركب الحسين عليه السلام كتأييد للموقف وكمشاركة في حمايته والترويج له. حيث كنَّ مخيَّرات بين أجواء العزلة في مناخ حكم يزيد في مكة أو المدينة، أو أجواء التفاعل في الزمان والمكان المناسبين مع القائد والأهل وفي خط الإسلام، فاخترن التفاعل والقيام بدور إيجابي. أمَّا التعبير عن هذا المعنى فيبرز جلياً في مشاركة زينب عليها السلام فهي أخت الحسين عليه السلام، وليست ملزمة أو مضطرة لمرافقته في سفره أو انتقاله، لكنه اختيارها، وكذلك باقي النسوة حيث يمكنهن الاعتراض في مواجهة الأخطار، لكن أداء فاطمة وسكينة ابنتي الحسين عليه السلام والرباب زوجته وغيرهنَّ يثبت الاختيار بملء الإرادة. ثم إذا شاركت النساء بهذا الدور الصعب، فأي عذر لمعتذر من الناس؟

٤ ـ ارتبطت المشاركة بالهدف، وهو الإصلاح في الأمة بقيادة الإمام الحسين عليه السلام الجدير بهذه القيادة، ومؤدَّاه المشاركة في تحقيق خطوات هذا الهدف، وهي خطوات عقائدية وجهادية وثقافية وروحية وإعلامية... بحسب متطلبات المسيرة. فالنساء حضرن في كربلاء كخطوة كبرى من خطوات الهدف، وحضرن قبل ذلك بتشجيع النصرة للحسين عليه السلام، وأثناء المعركة بالتأييد والمباركة والصبر، وبعد المعركة بالإعلام والتعبئة، وتثمير المأساة لتحريك الأمة أمام مسؤولياتها.

النفاق والانهزام

لماذا تراجع أهل الكوفة عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام؟

إن من أدلة النفاق والانهزام في واقع الأمة الإسلامية ما برز في موقف أهل الكوفة مع الإمام الحسين عليه السلام. فالكتب التي أرسلوها للإمام يطالبونه فيها بقيادتهم قد ملأت خرجين نثرهما بين أيدي عسكر الحر كإثبات لدعوتهم إياه، وعدد الذين بايعوا مسلم بن عقيل رسول الحسين عليه السلام من أهل الكوفة وصلوا بالحد الأدنى إلى ثمانية عشر ألفاً، فأرسل إلى الإمام عليه السلام: «الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجِّل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك». لكنهم تراجعوا وانهزموا مع مجيء عبيد الله بن زياد الذي هددهم وبدأ التنكيل بهم، وكان يلاحقهم فرداً فرداً.

ليسوا معذورين مهما كانت مبرراتهم، فالانقلاب حصل بالانتقال من معسكر الحسين عليه السلام إلى معسكر يزيد بشكل كامل تقريباً، ما يؤكد عدم صدق دعواهم، وضعف الإيمان في نفوسهم، وأن دعوة الحسين عليه السلام بُنيت على المصالح والمنافع التي كانوا يتوقعونها في السبق إلى نصرته، وعلى استثمار هذا الموقف لتحقيق المكاسب عند الفوز، ولم يبنوا موقفهم على احتمال التضحية.

فهذا شبث بن ربعي الذي أرسل للإمام أن «قد اخضرَّ الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجندة»، يحاول التملص من القتال مع ابن زياد بالتمارض، وبعد الضغط يترأس فرقة لقتال الحسين عليه السلام. وهذا عمر بن سعد يحسم خياره بعد تردد، فيكون رئيس معسكر يزيد في كربلاء، طمعاً بملك الريّ، وغيرهما كثير.

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام مخدوعاً بكتبهم وهو الخبير بحالهم، لكن من الطبيعي أن يُجري الأمور بمجرياتها، فقد أجابهم عن استعداده للقيام بمسؤوليته: «أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلاَّ الحكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله». وتحرك من مكة المكرمة بعد رسالة مسلم بن عقيل.وقد جاءه خبر مقتل مسلم وهانيء أثناء الطريق في «زبالة»، لكن حركته ليست مرتبطة بموافقة أهل الكوفة أو عدمها، بل بالموقف الرافض للبيعة مع إصرار يزيد عليها: «قد ركز بين اثنتين بين السِّلَّة والذلة».

إن أهل الكوفة آنذاك نموذج لسطحية الإيمان في الأمة، ولتفريغ السلوك الإسلامي المجتمعي من مضمونه وفعاليته مع الاكتفاء بالعبادات الفردية المنعزلة عن التأثير في الدولة والمجتمع، فها هم يصلُّون جماعة خلف الحسين عليه السلام ثم يقاتلونه، وهذا الفرزدق يقول له: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية»، وكذلك المدينة ومكة اللتان لم تتحركا، وأما الشام فكانت غارقة في المعسكر الآخر. قد يتصور البعض أن المشكلة الموروثة من زمن الأمير عليه السلام وبعده الإمام الحسن عليه السلام وبعده الحسين عليه السلام، هي نتيجة عدم وجود القابلية بالخلق والتكوين، لكن الحقيقة ترتبط بالموروث التربوْي الخاطئ، ولو لم يكن تراكم هذا الموروث السلبي خطيراً لما استدعى هذا النموذج من الأداء الحسيني، ولو لم تكن إمكانية التغيير قائمة ومستمرة في حياة البشرية لما حصلت هذه التضحيات الكبرى.

مثلُ أهل الكوفة موجود في كل زمان ومكان، وأصحاب

الحسين عليه السلام نموذج قابل للتكرار، ومسار الحياة في الصراع الدائم بين الحق والباطل أن يتواجد أنصارٌ لكل منهما، والواجب هو العمل للتغيير بإعداد العدة وبذل الجهد، أما الثمار فهي حصيلة مجموعة من المعطيات المنسجمة مع سنن الله في الكون والحياة والإنسان، وما النصر إلاَّ من عند الله العزيز الحميد.

أخلاقية السلوك الحسيني

لماذا لم يستعجل سيد الشهداء عليه السلام مكان وزمان المعركة؟

تحدث الإمام عليه السلام في مواقع عديدة عن استعداده لتغيير خط سيره باتجاه المدينة أو أي مكان آخر، ما يؤكد خطَّته المبنيَّة على أن تكون المواجهة دفاعية، وأن يستنفد كل الوسع لتجنب أي مسؤولية في فتح المعركة، ففي إجابته على نصيحة زهير بن القين ببدء المعركة، قال: «ما كنت لأبدأهم بقتال».

وقال عليه السلام لجماعة الحر: «وإن كنتم لمقدمي كارهين، إنصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم».

وقال لهم قبل صلاة الجماعة: «فإن أبيتم إلاَّ الكراهية لنا، والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم انصرفت عنكم».

وقال في خطبته الأولى في كربلاء: «أيها الناس إذا كرهتموني، فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض».

هذا السلوك الحسيني هو التعبير عن الأخلاقية الإسلامية في نزع الذرائع، وتوفير أسباب حقن دماء المسلمين، وإعطاء الفرصة للآخرين

حتى يتأملوا ويفكروا بمسؤوليتهم الشرعية وحسابهم عند الله تعالى. إنه سلوك الحنوّ والعفو وحسن المعاملة في أصعب المواقع. فقد سقى أصحاب الحسين عليه السلام جند الحر ومن معه من الماء المملوء بالقِرَب وعلى الجمال، بينما منع جيش ابن سعد الماء عن النساء والأطفال في كربلاء. وقد ساعد الإمام عليه السلام بنفسه علي بن الطعان ليشرب ويسقي فرسه، بينما رمى معسكر يزيد الطفل الرضيع العطشان بسهم قاتل.

إنَّ قمة السمو في الاستعداد للشهادة، مترافقة مع قمة الأخلاق والحلم والتواضع والإنسانية، وهذه هي القوة بعينها. فالظالم المعتدي ضعيف، والمقاتل الحقود على أهله وعشيرته ساقط، والمتسلط المنتهك لحرمات الدين منحرف، أما المؤمن فعفوه عند المقدرة شرف، وعطاؤه لمن حرمه مكرمة، وسماحته في سلوكه قوة.

إنَّ الشهادة تربية على الاستعداد لأقصى العطاء، لكنها آخر خطوة بعد استنفاد كل الجهود، لتكون السلاح الأمضى في المواجهة مع عدم تكافؤ القوى، وهي نتيجة الدفاع المشروع عن الموقف وتحصين الهدف. ويُعتبر النزاع الداخلي أصعب بكثير من مواجهة العدو الخارجي، لأن ملامح المعركة الداخلية ملتبسة على الكثيرين وتقترب من الفتنة في كثير من محطاتها، بينما يُعتبر قتال العدو الخارجي والغاصب والمحتل أمراً واضحاً، لا يتطلب تحليلاً وإثباتاً، بل استعداداً للخطوات العملية بإعداد العدة، واختيار التنفيذ المناسب.

ليس مقبولاً التخلي عن مواجهة الظلم والانحراف بحجة درء الفتنة، فإذا وصل الحد إلى البغي فقاتلوا الفئة التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله. إن المحافظة على سلامة المجتمع الداخلي له الأولوية، وبذل

الجهد لإبعاد شبح الفتنة عمل ضروري، لكن لا يمكن تثبيت الانحراف وإعطاؤه المشروعية بغطاء الهروب من الفتنة. فعندما تتضح صورة الحق في مواجهةٍ ضرورية مع الظلم والانحراف والفساد، فالعمل مشروع بضوابط مشددة وعلى رأسها أهلية وشرعية القيادة التي تحسم مثل هذا الخيار الذي يؤدي إلى الشهادة.

وحشية الخليفة

ما هو تفسير قطع الرؤوس والتمثيل بالجثث؟

تصرَّف جند الخليفة بطريقة إجرامية في معركة كربلاء، ولم يراعوا حرمة المسلمين من آل البيت وأنصارهم، فوجَّه حرملة اللعين سهمه إلى عنق الطفل الرضيع فقتله، وتنافس القوم على قطع الرؤوس فوزَّعها ابن سعد على القبائل، وأُحرقت خيام النساء وسُلبت أمتعتهن وحليُّهن، وأُخِذن أسارى مع الرؤوس إلى قصر ابن زياد في الكوفة، ثم إلى يزيد في الشام. وكان قد قُطع قبل ذلك رأس مسلم ورُمي من أعلى القصر، وقُطع رأس هانيء في السوق، ثم حُمل الرأسان إلى الشام. ولم يكفهم ذلك فوضع يزيد رأس الحسين عليه السلام على طستٍ أمامه وبدأ ينكت شفتيه الشريفتين بقضيب خيزران.

لا تَمُتُّ هذه الأعمال الوحشية إلى الإسلام بِصِلة، فقد أوصى أمير المؤمنين علي عليه السلام كما ورد في نهج البلاغة، ولديه الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام أن لا يمثِّلوا بقاتله عبد الرحمن بن ملجم، وقال: «يا بني عبد المطلب، لا ألفينَّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قُتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتُلنَّ بي إلاَّ قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا يُمثَّل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

يقول: إياكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»[١]. إذاً ما هو سبب هذا السلوك؟ إنه النتيجة الطبيعية لابتعادهم عن تعاليم الإسلام، فهم مسلمون في الظاهر لكنهم من أتباع الشيطان بأعمالهم. وقد لجأ يزيد إلى هذا التنكيل والقسوة ليعطي درساً لكل من تُسوِّل له نفسه بالخروج على طاعة الخليفة. وهو الأسلوب الذي أُعتمد في الجاهلية، واعتمده سلاطين الجور في كل عصر، واعتمده الاستكبار العالمي وربيبته إسرائيل في العصر الحديث، لكنه استبدل السيف الذي يقطع الرأس والأعضاء، بالصواريخ والقذائف التي تحول الجسد أشلاء ممزقة، من دون رعاية لحرمة الطفولة أو الأنوثة أو البراءة، بل من دون مراعاة أبسط حقوق الإنسان.

كلما شعر الظالم بضعفه في الإقناع وقوة خصمه في المحاججة والموقف، لجأ إلى القسوة والإجرام ليقطع الطريق على أي كسب محتمل للطرف المقابل، وليوجِّه إنذاراً لكل المعارضين أو الطامحين. وهو لا يقبل إلاَّ منطق القوة والعنف واستخدام السلطة ومقدِّراتها في هذا المجال، كأسلوبٍ وحيد يتمكن من خلاله اسكات الأصوات المعارضة، ولا ينفصل هذا الأسلوب عن المسار البشري المنحرف والطاغوتي. ويكفي هذا السلوك الإجرامي شهادةً على تجذُّر الانحراف والآثام في كيان الدولة الإسلامية على عهد يزيد وسلسلته، الذي أراد تطويق ردَّات الفعل الناتجة عن قتل سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة، بإشاعة الرعب في الأمصار. لكن تبيَّن أن النتيجة عكس ذلك، وأنَّ ردات الفعل التي حصلت بعد كربلاء قد دكَّت الخلافة الأموية، وقضت على جميع المشاركين في قتل الحسين عليه السلام وأصحابه، فالإمام الحسين عليه السلام نجح في

(١) نهج البلاغة، كتاب ٤٧، ص: ٦٦٤.

اعتماد خطوات عملية هادفة، منذ الإنطلاق من المدينة وصولاً إلى كربلاء ونتائجها وما بعدها، فحقَّق الهدف بتحريك الأمة نحو معرفة وسلوك صلاحها.

نموذج المشاركين مع الحسين عليه السلام

ما الذي أضافه أنصار الحسين عليه السلام في موقعة الطف؟

برزت في المقابل صورة مشرقة لأصحاب الحسين عليه السلام، فهم الذين أقدموا على المعركة مع معرفتهم بنتائجها، وصمدوا في مواجهة الضغوطات والتحديات، وسلَّموا للقائد ليحسم الموقف ويتابع الطريق وهم جند مطيعون له. اختبرهم الإمام عليه السلام مرات عدة مع اقتراب الزمان من لحظة الشهادة. ففي «زبالة» خيَّرهم بالانصراف أو الاستمرار فاختاروا الاستمرار. وبذي حُسُم حدثهم عن لقاء الله تعالى: «فإني لا أرى الموت إلاَّ سعادة» فتحدث زهير بن القين مؤثِراً الخروج معه. وأعلن علي الأكبر موقف الشباب المجاهد: «ألسنا على الحق... إذاً لا نبالي نموت محقِّين». وخاطب الحسين عليه السلام أصحابه ليلة العاشر من محرم يأذن لهم بالذهاب ليلاً: «هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً» لكنهم مصرُّون على الاستمرار: «وإنما هي قتلة واحدة».

رضي الإمام عليه السلام بمشاركتهم في المعركة على قلة عددهم، وعدم إمكانيتهم لتحقيق النصر العسكري، ومعرفته أن القوم يريدونه ولا يريدون غيره، وقد قال: «فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري»، وذلك لتجنُّب تحويل المواجهة إلى عملية اغتيالٍ لفرد، ولأن المسؤولية تقع على عاتق الأمة، فمن الضروري أن تشارك القلَّة إثباتاً لهذه المسؤولية، حتى لو بقيت الكثرة بين متفرجة أو مساهمة في مشروع

السلطان. إن مشاركة الأصحاب تعني مسؤولية كل فرد لم يشارك من الناس ولم يكن معذوراً، وهي التي أسَّست لخطِّ وتيار مصلح في مقابل ظلم الخليفة وجماعته، والمسألة غير محصورة بشخص الإمام عليه السلام في رفض البيعة ليزيد، بل يوجد في الأمة من يرفض أيضاً، وهذا ما يؤدي إلى ازدياد الرفض تدريجياً مع المواجهة.

استحق آل البيت والأصحاب ثناء الإمام عليه السلام: «فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرَّ وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرا»، فهم المساهمون في إسقاط مشروعية يزيد والتأسيس لخط الاستقامة في الأمة.

إنَّ سيد الشهداء القدوة لا يُبقي عذراً لمعتذر، فهو الإمام المعصوم وقد أعطى الأكثر والأغلى. أما إذا اعتبر البعض شهادته استثنائية لخصوصية في شخصه، فماذا يقولون عن حبيب بن مظاهر، وعلي الأكبر، ومسلم بن عوسجة، والعباس بن علي؟ وماذا يقولون عن القاسم؟ وماذا يقولون عن السيدة زينب عليها السلام وسكينة وفاطمة والرباب وغيرهن؟ لقد مثَّل أنصار الحسين عليه السلام شرائح المجتمع كافة، وقام كل واحد منهم بتكليفه، وقدم نموذجاً رائداً في إعلاء كلمة الدين.

التذكير بالله تعالى

ما علاقة العبادة بالمعركة؟

تحتل العبادات مكانة هامة في التأهيل الروحي والصلة بالله تعالى، وكان طلب الحسين عليه السلام تأجيل القتال من تاسوعاء إلى عاشوراء من أجل العبادة التي يحبها: «لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم

أني أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»، وقد عاش مع أهل بيته وأصحابه ليلة حافلة بالعبادة.

إنَّ الصلة بالله تعالى هي التي رفعت مقام أنصار الحسين عليه السلام وجعلتهم بهذه الجرأة والروحية والتسليم لقضاء الله تعالى في سبيل نصرة الدين الحنيف. وإنَّ حركة الإمام الحسين عليه السلام تستهدف رضوان الله تعالى وتحقيق شريعته المقدسة، التي يأتي مددها من العبادة.

إنَّ رفض البيعة للحاكم الظالم الفاسق مرتبط بالصلاة والدعاء والاستغفار، وإنَّ الثبات على معسكر الحق والاستعداد للجهاد مرتبط بالخشوع لله تعالى، وإنَّ المدد أثناء الشدة يتطلب الاستعانة بالعلي القدير، وإنَّ مفتاح الإستقامة ينطلق من أداء العبادات التي تُربي على الإخلاص والصلاح.

لقد ذكَّر الإمام الحسين عليه السلام كل من التقاهم بالله تعالى واليوم الآخر والرسالة السمحاء، وربط نهضته بشكل واضح بالأسس الإسلامية وعلاقة الإنسان بربه. وقال عليه السلام قبل الصلاة مع جماعة الحر: «أيها الناس فإنكم إن تتَّقوا الله وتعرفوا الحق لأهله، يكن أرضى لله».

وخاطب عمر بن سعد: «ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى». وتحدث مع أصحابه ليلة العاشر فقال: «اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا، وعلَّمتنا القرآن، وفقَّهتنا في الدين».

وفي خطبته الأولى يوم عاشوراء قال: «أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».

وفي خطبته الثانية قال: «فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشُذَّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرِّفي الكلِم».

إحياء مجالس عاشوراء

لماذا يستمر إحياء المجالس العاشورائية حتى يومنا هذا؟

عاشوراء مددٌ دائم لا ينضب، وحيويةٌ مستمرة تعبئ النفوس، ومدرسةٌ تخرِّج الأبطال والشهداء، ومأساةٌ توقظ الضمائر، وموقفٌ يحمي استقامة الإسلام، ونهضةٌ تنير درب الحياة. عاشوراء مددٌ يعطي في كل آن، فهي عطاء الماضي والحاضر والمستقبل، وعاشوراء حياةٌ تحرِّك وتربي وتُحيي ليرقى الجميع إلى درجات التقوى، ومنها إلى السعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة.

نحن مسؤولون عن إقامتها وإحياء تعاليمها، وما المجالس العاشورائية إلاَّ سبيلٌ يساهم في هذا الاحياء. إنَّ هذه المجالس الحسينية هي التي ربَّت أجيالاً من الشباب والنساء، وهي التي أحيَت تعاليم الإسلام في نفوس كثيرة، وهي التي هيَّأت لثقافة إسلامية واعية وارتباطٍ بأهل البيت عليهم السلام. إنَّ استمرار إقامتها قد كرَّسها كاجتماع طبيعي للتداول في شؤون المسلمين، يُحضِّر فيه صغيرهم وكبيرهم، فقيرهم وغنيهم، ذكرهم وأنثاهم، ويستفيد كل منهم بمقدار تجاوبه واهتمامه. إنَّ لهذه المجالس دوراً تعبوياً نحو الجهاد والشهادة والسمو الإيماني لا تُهيِّؤه أية مجالس أخرى، وهي التي تساهم في حفظ وصون أهداف الثورة الحسينية لتحقيق صلاح الأمة.

حثَّ الأئمة عليهم السلام على إحياء هذه المجالس، بما تمثل من إحياء للثورة الحسينية، وإحياء للارتباط بمنهج أهل البيت عليهم السلام، فالإمام الصادق عليه السلام قال: «من جلس مجلساً يُحيى فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم

تموت القلوب»[1]. وقال للفضيل بن يسر: «إنَّ تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا»، قيل: كيف يحي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلِّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتَّبعونا»[3].

لولا هذه المجالس لخسرنا الكثير من التفاعل مع خط الإسلام المحمدي الأصيل، وقد عبَّر إمامنا الخميني(قده) عن أهميتها ودورها فقال: «ينبغي أن تقام مجالس العزاء لسيد المظلومين والأحرار عليه السلام، وهي مجالس غلبة العقل على الجهل، وغلبة العدل على الظلم، والأمانة على الخيانة، والحكومة الإسلامية على حكومة الطاغوت، بكل حفاوة وبكل عظمة وروعة، ويجب أن تنتشر بيارق عاشوراء الحمراء للدلالة على حلول يوم انتقام المظلوم من الظالم»[4].

البكاء

لماذا يتم التركيز على البكاء في مجالس عاشوراء؟

إنَّ البكاء على مأساة كربلاء عنوانٌ أساس لهذه المجالس، ويجب أن يستمر كعنوان محوري ومركزي حيث لا تقوم هذه المجالس من دون التركيز عليه والاهتمام به. ومن لم تتحرك مشاعره لمثل هذه الحادثة

(١) الراوندي، الدعوات، ص: ٢٧٨.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٨، ص: ٤١٠.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٨، ص: ٦٦.
(٤) الإمام الخميني(قده)، نهضة عاشوراء، ص: ١٠٤.

العظيمة فكيف يمكن أن يتحرك قلبه للأحداث والشجون والتضحيات في سبيل الله تعالى؟ ومن لم يتأثر بما جرى على الإمام الحسين عليه السلام فكيف يمكن أن نضمن تأثره بالمظلوميه الكبرى التي استهدفت الإسلام والمسلمين؟

روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام»[(١)]. وعنه أيضاً: «من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[(٢)]. فالأجر عظيم عند الله تعالى، لأن مجالس الحسين عليه السلام للطاعة وذكر المصيبة والتأسي بسيد الشهداء عليه السلام.

هذا البكاء العاشورائي هو بكاءٌ تعبوي وبكاءٌ تربوي، فالمؤمنون الحسينيون يتأثرون ويتفاعلون مع الإمام الحسين عليه السلام ليؤثِّروا في حياتهم العملية. يقول الإمام الخميني(قده): «لا تظنوا أن هدف هذه المآتم والمواكب وغاياتها تنتهي عند حد البكاء على سيد الشهداء عليه السلام! فلا سيد الشهداء عليه السلام بحاجة إلى هذا البكاء، ولا هذا البكاء ينتج شيئاً بحد ذاته. إنما الأهم من كل هذا هو أن هذه المجالس تجمع الناس وتوجههم إلى وجهة واحدة»[(٣)]، ويقول أيضاً: «في هذه المجالس يُقام العزاء، وتُلقى المراثي على شهادة سيد المظلومين، الذي ضحَّى بنفسه وبأولاده وأنصاره من أجل رضا الله، وبذلك دفع الشباب للتأثر به، وجعلهم

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ١٩٠.
(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص: ٢٦٤.
(٣) الإمام الخميني (قده)، نهضة عاشوراء، ص: ٨٢.

يسارعون إلى الجبهات ويتسابقون نحو نيل الشهادة ويفتخرون بها، وإذا ما حُرموا منها حزنوا وتأثروا، وبذلك أيضاً ظهرت أمهاتٌ يقدِّمن أبناءهن شهداء ثم يقلن إننا نملك المزيد من الأولاد ومستعدات لتقديمهم في سبيل الله»[١].

إنَّ تجربة شهداء المقاومة الإسلامية في لبنان دليلٌ ساطع على أثر هذا النهج الحسيني في الحياة، ولولا تربيتهم على حب الشهادة وعشق الإمام الحسين عليه السلام وذرف الدموع الطاهرة خشية لله وطاعة له في المجالس العاشورائية وفي صلواتهم وأدعيتهم، لما قدَّموا وجاهدوا في الميدان بكل صدق وإخلاص ولما نصرهم الله جلَّ وعلا.

الحسين للأمة جمعاء

ألا يسبِّب إحياء عاشوراء نعرات مذهبية بين المسلمين؟

إحياءُ عاشوراء وما حصل في كربلاء إحياءٌ لمواقف وجهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه. والحسين عليه السلام صاحب النسب المعروف، فهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي رعاه منذ الولادة، وواكبه فترة الطفولة، وسيد شباب أهل الجنة ببشارة رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وإمامٌ قائدٌ للمسلمين لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، يشهد له تاريخه بالعمل من أجل رسالة الإسلام المحمدي الأصيل، وقد وردت بحقه آيات وروايات عن مكانته ودوره، كما في آية إذهاب الرجس: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾، وفي حديث

(١) الإمام الخميني (قده)، نهضة عاشوراء، ص: ٩٤.

سفينة النجاة: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق». وما ذكرناه غيضٌ من فيضٍ ما ورد متواتراً في كتب السنة والشيعة على حدٍ سواء، وهذا ما يؤكد بأنَّ الإمام الحسين عليه السلام ليس مختصاً بفرقة دون غيرها. بل هو قائدٌ وسيدٌ لجميع المسلمين.

إنَّ مراجعةً سريعةً لحركة الإمام الحسين عليه السلام تبيِّن هدفه المركزي، وهو الإصلاحُ في كل الأمة ومن أجلها، «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله»، ورفضُ الانصياع للخليفة الظالم الفاسد الذي يريد أن يتأمَّر على المسلمين كافة، «ويزيد رجلٌ فاسق، شارب الخمر، قاتل للنفس المحرَّمة، معلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»، وقد جاء في مروج الذهب للمسعودي في أخبار يزيد، أنَّه كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب. أمَّا من التحق مع الإمام فلإيمانه بقيادته الشرعية، ومن خالفه هم أعوان السلطة والمنافقون والمنهزمون الذين أعلن بعضهم ولاءه ومناصرته للإمام الحسين عليه السلام عندما أرسلوا إليه الكتب من الكوفة، «فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحق»، و«فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقدم على جندٍ لكَ مجنَّدة»، ثم تراجعوا رغبة بالدنيا عن الآخرة. فالتصنيف لم يكن قائماً على أساس السنة والشيعة، إنما على أساس السلطة الجائرة الفاسدة في مقابل القيادة المُصْلِحة المستقيمة.

إنَّ إحياء عاشوراء مسؤوليةُ جميع المسلمين، للاستفادة من جهاد الإمام الحسين عليه السلام في التربية على مقارعة الظلم والانحراف، في كل زمان ومكان. فيزيد رمزٌ للفساد والطغيان، والحسين عليه السلام رمزٌ للصلاح والعدل، ونحن بحاجة للاقتداء بنموذج الصلاح والعدل في مقابل الفساد

والطغيان، وَمَنْ أولى بأن يكون قدوتنا من ابن بنت رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام؟!

لا بدَّ من العمل كي لا يكون إحياء عاشوراء مقتصراً على بعض المسلمين دون غيرهم، فهذا خطأ تاريخيٌ وتربويٌ فادح، ولا بدَّ من استحضار مفردات النهضة الحسينية التي تؤكد على شعاراتها الإسلامية العامَّة لتوجيه جميع المسلمين، ومن يعمل على مذهبة عاشوراء إنما يحاصر انتشار أهدافها، ويساهم في محاولة منع بث هذه الروحية العظيمة في الأمة، وستبقى كربلاء عزاً للإسلام وتعزيزاً لاستمرارية الرسالة الإسلامية بأصالتها وشموليتها ونقائها مما علق بها من ممارسات منحرفة لا يتحمَّل الإسلام مسؤوليتها، إنما يتحمَّلها المنحرفون والساكتون عن الحق.



محاضرات عاشورائيـة

المحاضرة الأولى

الاستقـــامـــة

السلام على الحسين عليه السلام وعلى جد الحسين عليه السلام وعلى أبي الحسين عليه السلام وعلى أم الحسين عليه السلام، وعلى علي بن الحسين، وعلى الشهداء من آل بيت وأنصار الإمام الحسين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلما بحثنا في خصوصيات الثورة الحسينية وجدنا أنها تعيش بيننا وأنها جزء لا يتجزأ من حياتنا، وكلما حاول البعض أن يقدمها كقصة من التاريخ وجدنا أنها تقهر هذا التفسير لتكون جزءاً من الحاضر والمستقبل، وكلما حاول البعض الآخر أن يشدَّها الى عصبياته ومذهبيته وانحرافه في نظرته الى الأمور رأيناها تتجلى كثورة للإنسان لا تعرف مذهباً أو طائفة أو جماعة إنما تعرف حقاً، من كان معه كان مع الحق ومن كان ضده كان مع الباطل، كلما أحييناها شعرنا أنها تحيينا، فإذا ظننا أننا نقيم مجالس عاشوراء لنحييها وجدنا أن عاشوراء تُحيينا وتتولَّد مجدداً في قلوبنا، وكأننا كنا غائبين عمّن يحيي ومن يحيا، ليتبيَّن أن الحسين عليه السلام يحيينا في كل آن ونحن الذين نحتاج إلى إحياء ذكراه فهو ليس بحاجة إلى إحياء منّا، إنه حي يعطي الحياة للراغبين والطامحين والذين يريدون دنياهم وآخرتهم على طريق الله جل وعلا.

إنَّ الإحياء لذكرى الإمام الحسين عليه السلام هو في حد ذاته مدرسة متكاملة.

سأتناول اليوم موضوعاً واحداً من جملة موضوعات تضج في ذهني وذاكرتي لتتسابق الى هذا المقام الطيب في كنف مدرسة أسسها المغفور له المجتهد الأكبر العلامة العلم السيد محسن الأمين طيب الله ثراه وهو موضوع الاستقامة.

أما المدخل فهو كلام للإمام الحسين عليه السلام في وصية كتبها لأخيه محمد ابن الحنفية، وذلك عندما عزم على الخروج من المدينة المنورة باتجاه مكة المكرمة بعدما رفض إعطاء البيعة ليزيد، حيث كتب قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أن الحسين يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب»[١].

الهدف واضح وهو: الإصلاح في أمة محمد صلى الله عليه وآله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمواجهة الحاكم الظالم ومواجهة الانحراف الذي

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٢٩.

سرى في الأمة فأساءت إلى تكليفها وأخطأت اختيارها. مَن هو هذا الحاكم الظالم؟ إنه يزيد. وما هي صفاته؟ لقد بيَّنها الإمام الحسين عليه السلام عند إجابته لوالي المدينة الوليد بن عتبة على طلب البيعة لابن معاوية بن أبي سفيان: «أيها الأمير!إنَّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة؟»[1]. إذاً ما الذي جعل الأمة تخضع له وتقبل ببيعته وتنحرف عن جادة الإسلام في اختيار الأصلح للخلافة؟!إنه الانحراف الذي لفَّ عرش الحكم وأحاط بالأمة .

أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يعيد الأمة إلى الاستقامة فقد أصبحت في خطر كبير، وبدأت الأصوات تعلو فيها لتبرير الاستكانة والاستسلام لظلم وفساد الحاكم. فالبعض يبحث عن معذِّرات شخصية ليكون مرتاحاً ومطمئناً في انحرافه، والبعض الآخر يدَّعي العجز عن المواجهة بحجة حماية العائلة والخوف على المستقبل وادخار طاقته للمستقبل، والبعض الثالث قاتل في جيش يزيد ومعسكره في مواجهة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه مدّعياً الاضطرار خوفاً على نفسه من غضب الخليفة وزبانيته ما يؤدي به إلى الموت، بل وصل الأمر ببعضهم إلى إدعاء قيامه بواجبه في طاعة الخليفة لأن الخروج عن طاعة الخليفة معصية! وهو لا يريد أن يقف بين يدي الله في يوم القيامة بسبب عصيان أمر الخليفة! أي أنَّه مطيع لله تعالى بمعصيته له في قتل الإمام الحسين عليه السلام! كيف تكون المعصية طاعة لله تعالى؟! .

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ١٧.

لقد فسَّر هؤلاء ـ خطأ أو تحريفاً ـ طاعة الخليفة بناء لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1]، مدَّعياً أن الخليفة من أولي الأمر براً كان أم فاجراً. لكن الآية واضحة في دعوتها للذين آمنوا بطاعة الله تعالى وهذا يعني طاعته في أوامره ونواهيه فهي طاعة في خط الاستقامة على طريق الإسلام، والطاعة للرسول ﷺ من طاعة الله تعالى لأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ وهي طاعة مطلقة في كل شيء لأنها تمثل طريق الصلاح، أما الطاعة لأولي الأمر فهي مرتبطة بما يمثلون من مسار على طريق طاعة الله وطاعة رسوله، وتؤكد هذا الأمر تتمة الآية التي تعيدنا عند التنازع في شيء إلى الله والرسول، فهم يمثلون الأئمة المعصومين ومن سار على دربهم من القادة المخلصين المؤمنين المستقيمين، ولا مجال لاعتبار يزيد من أولي الأمر لأنه مخالف لما ورد في هذه الآية القرآنية.

إن هذا الفهم الخاطئ للإسلام أمر خطير في كيان الأمة، فهو يزوِّر الحقائق، ويجعل الموازين مقلوبة، ما يحول الإسلام إلى عناوين وصور وأشكال مُفرغاً إياه من محتواه الحقيقي، ومع التطبيق الخاطئ والمتمادي، ستصل الأمة بالابتعاد عن عصر النص، عصر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، إلى إسلام آخر وتطبيقات أخرى. فكان لا بدَّ من نهضة الإمام الحسين عليه السلام ليرسم خطاً فاصلاً بين الإسلام الحق والإسلام المزوَّر. قد يستغرب البعض هذا التصنيف، لكن حقائق التاريخ تثبته. وهل سيعترف المنحرفون بابتعادهم عن جادة الاستقامة؟ فأساليب الشيطان لا

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

تعجز عن تصوير الحق باطلاً والباطل حقاً، وكم من مخدوع أو مكابر دافع عن الانحراف على أساس استقامته، ودلَّس على جماعته ليقنعهم بأنهم على حق حتى يطمئنوا ويسلكوا طريق الباطل دون وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1]. والمسؤولية تقع على أولئك الذين لا يدققون بأعمالهم ومنطلقاتهم وأهدافهم ويحاولون تعذير أنفسهم بأنهم يؤدون واجباتهم على أكمل وجه، لكنَّ العاقبة وخيمة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2].

لا يمكن فضح هذا الانحراف الخطير في الأمة إلاَّ بالوقوف والمواجهة حتى لو أدت إلى القتل، ولا يمكن تثبيت الاستقامة إلاَّ بالتضحيات الكبرى، وعندما يتعلق الأمر بالأمة تُبذل المهج، خاصة لأنَّ ما يُؤسس له في هذه المرحلة الحساسة في زمن الإمام الحسين عليه السلام، سيؤثر بشكل أساسي وجوهري على كل المسار الإسلامي من بعده في حياة الأمة. ولو لم تجر الأحداث باتجاه كربلاء لكان الإمام الحسين عليه السلام أمام أحد احتمالين:

الأول: البيعة ليزيد تحت عنوان المصلحة العامة، وحجب الدماء، وصعوبة الظروف المحيطة بعدم توفر الانصار للتغيير. لكن هذا الاحتمال خطير جداً، إذ أن الظروف المحيطة باختيار يزيد تؤشر لتثبيت منهجية تُسقط نصاعة التطبيق الإسلامي مستقبلاً، فيزيد معلن بالفسق والفجور ومرتكب للموبقات والمحرمات، وهو يؤسس لخلافة ملكية

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ ـ ١٠٤.

وراثية من الأب للابن، ويريد أخذ الشرعية بالموافقة على أعماله من الإمام الحسين عليه السلام، وإن بوادر انسياق الأمة نحو الفهم المنحرف عن الإسلام والتطبيق البعيد عن شرع الله يهدد بسقوط دعائم الإسلام في حياة الأمة، إنَّها نتائج متلازمة مع البيعة ويتحمل الإمام الحسين عليه السلام مسؤوليتها. لقد كان حاسماً في موقفه في حواره مع أخيه محمد بن الحنفية في المدينة المنورة حيث قال: «يا أخي. لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»[١].

الثاني: البقاء في مكة المكرمة وعدم الاتجاه إلى كربلاء، وهذا يعني ان يُقتل في مكة غيلة، بسبب إصرار يزيد على البيعة، فالتعليمات واضحة من بداية الطلب مع الوليد بن عتبة.

ففي رواية عن الإمام الحسين عليه السلام يوم قراره مغادرة مكة:

يقول ابن الزبير للإمام عليه السلام: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس.

أجاب الإمام: «والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليَّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيَّ حاجتهم، ووالله ليعتدنّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت»[٢]. وقال لأخيه محمد بن الحنفية: «قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت»[٣]. وما الذي يمنع يزيد بأن يرسل مَن يقتله ثم يحاكمه كقاتل،

---

(١) الخوارزمي، المقتل، ج١، ص: ١٨٨.
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٨٩.
(٣) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٠.

فيذهب دم الإمام الحسين عليه السلام في أمر فردي جزئي ويكون الخليفة بريئاً منه، فلا تبقى قضية للأمة .

إن حرص الإمام الحسين عليه السلام في المتابعة إلى كربلاء هو لتجنب هذين الاحتمالين، ومع ذلك فقد عرض على الحر الرياحي العودة عن المسير باتجاه الكوفة ليكشف آخر ورقة في أهداف يزيد، فرفض الحر قائلاً: «هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه وهذا رسوله، وقد أمره أن لا يفارقني حتى انفذ رأيه وأمره»[1]. فكانت النتيجة حصول المواجهة بعد ذلك في كربلاء، مما ثبَّت في الواقع خطان: خط حسيني وخط يزيدي، يحمل الأول كل معاني الإسلام المستقيمة والصادقة، ويحمل الثاني معاني الانحراف والتدليس والنفاق. وهذا يؤكد بأن الإسلام ليس شعاراً يُرفع، إنما هو ممارسة عملية في كل مواقع الحياة، إنه الاختبار بالقول والعمل لا بالقول فقط، بالتجربة في الحياة السياسية والمواقف والعلاقات والنظرة إلى الأصدقاء والأعداء، ولا يكفي النطق بالشهادتين ليكون الإنسان مستقيماً، نعم يكفي ليكون مسلماً لكنَّ الاستقامة أمر آخر، وكم من المسلمين ممن سيردون إلى النار، يكون ذلك بسبب انحرافهم واساءتهم للشريعة المقدسة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[2] .

إنطلق الإمام الحسين عليه السلام في خطابه وفضحه للحاكم الظالم وشهادته، لتستيقظ الأمة وتتعرف على الحق، فلا تكون نائمة ولا

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٩٣.
(٢) سورة الماعون، الآيات: ٤ ـ ٧.

مستسلمة ولا تخاف في الله لومة لائم. انطلق لتمييز الخط المستقيم عن الخط المنحرف كتأسيس للمستقبل وتدعيم لسلامة الدين في حياة الأمة. وقد قال عنه رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[1]، فحسين من الرسول ﷺ بالولادة من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والرسول ﷺ من الإمام الحسين عليه السلام باستمرارية رفع الصوت، والدفاع عن الحق، والوضوح في المواقف التي تُبعد الزيغ عن منهج الإسلام، سواء لما كان يحصل أو ما يمكن أن يطرأ في المستقبل. إنه طريق الحسين عليه السلام إلى المنهج الإسلامي المحمدي الأصيل. وهو لا يختص بفئة دون أخرى من المسلمين، فهو للجميع. هذه الرواية مروية عند جميع المسلمين، فقد رويت في مسند أحمد وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم وفي غيرها من الكتب، وكذلك الرواية الأخرى المتفق عليها: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[2]. ما يؤكد أن الإحياء لمواقف الإمام الحسين عليه السلام ليس إحياءً شيعياً بل هو إحياء إسلامي يقع على عاتق جميع علماء الإسلام والمسلمين. ولا يكون التمييز عند الله تعالى بين مسلم وآخر على أساس الانتماء المذهبي بالولادة، أو الانتماء إلى العائلة والبلد والمكان والزمان، بل على أساس التقوى في خط الاستقامة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3].

بعد وضوح الطريق فالأفضل أن نعمل لتثبيته وتعميمه، وليست وظيفتنا في تصنيف الناس إنما هي في العمل والتقوى، ولا يحق لأحد أن

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ١٢٧.
(٢) الأميني، الغدير، ج٧، ص: ١٢٥./ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص: ١١٤.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

يحتكر الجنة لنفسه ويرمي الآخرين في النار، ولا يحق لأحد أن يرمي المسلمين بالكفر والانحراف بطريقة جازمة على أساس الاختلاف، وانحصار الصواب بفئة دون أخرى أو شخص دون آخر. إن مسؤوليتنا أن نركز قواعد الاستقامة، أما الحساب والتفريق بين الناس فهو بيد الله تعالى يوم القيامة، حيث يشمل برحمته من يشاء ويحاسب من يشاء ويتحمل كل فرد مسؤوليته: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1] .

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تؤكد أهمية الاستقامة على مستوى الأمة وفق منهج الإسلام. فالاستقامة على مستوى الأمة أصعب بكثير من الاستقامة على مستوى الأداء الفردي. فاستقامة الفرد على مستوى الصلاة والصيام وبعض المعاملات يمكن تحقيقها بيسر، أما على مستوى الجماعة في الموقف السياسي أو مواجهة العدو أو نصرة المسلمين دفاعاً عن الحق فالصعوبة بارزة. إن دعوة الإمام الحسين عليه السلام للأمة كي تستقيم، ترتبط بتحويل الاستقامة الفردية إلى الاستقامة في حياة الأمة، فالأمة تسقط عندما تفصل بين السلوك الفردي والسلوك المجتمعي. فها هم أهل الكوفة، كانوا من المصلين والصائمين والمرتادين للمساجد، وكانت لحاهم طويلة وتعابيرهم الظاهرية إسلامية، وكانوا يبكون عند قراءة القرآن، لكنهم سقطوا في اختبار الولاء للحاكم والتضحية من أجل بقاء تعاليم الإسلام في الأمة، فحملوا السيوف وقتلوا الحسين عليه السلام ومن معه .

ليس سليماً أن يهتم البعض بإتقان وضوئه وصلاته، فيسأل الشيخ

(١) سورة عبس، الآيات: ٣٣ ـ ٣٧.

ويحرص على الدقة المتناهية التي يطمئن معها من حُسن أداء الصلاة، لكن لا يرف له جفن عند الدماء والقتال ولا يدقق في معرفة مسؤوليته الشرعية ليحدد موقعه وموقفه ودوره في استقامة الأمة، والأنكى من ذلك أن يشارك في الفتنة بدماء المسلمين، كيف يجمع هذا البعض بين استقامة فردية مدَّعاة ومعزولة عن الاستقامة على مستوى الأمة؟! إن الوحي قد نزل صريحاً وواضحاً، فقد قال تعالى في آيات من سورة هود: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[١]. قال ابن عباس عن آية ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله: «شيبتني هود والواقعة»[٢] في إشارة إلى سورتي هود والواقعة. لاحظوا الآية الكريمة: فاستقم كما أمرت ومن تاب معك، فالتوجه إلى الجماعة ودورها، ولا تطغوا كجماعة في مجتمعكم وفي أدائكم العام لكل ما يمس حياة المسلمين، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا لأنكم لن تكونوا معذورين، فباستسلامكم لهم تعينونهم وتتحملون المسؤولية معهم، وعندها تمسكم النار ولا يناصركم أحد لأنكم فرَّطتم بمسؤوليتكم.

الاستقامة المطلوبة من الجماعة هي استقامة الموقف العام، استقامة الرؤية من أجل مصلحة الأمة، استقامة اختيار القيادة لسلوك الدرب الطويل، استقامة التمييز بين أعداء الأمة وأصدقائها، ولا يكفي،

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٢ ـ ١١٣.
(٢) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١١، ص: ٦٦.

ما يعمله الفرد منّا في حياته الشخصية. على الجميع أن يعيشوا مشاعر الأمة وأن يشاركوا في قضاياها ومصيرها، وتتنوع مساهمات الأفراد في مواجهة الظالمين بحسب مواقعهم وقدراتهم، لكن لا يستطيع أحد أن يتنصل من المسؤولية ويدعي أن لا علاقة له بما يجري، فالكل مسؤول، وهذا دين ندين به، فكما تحتاج العبادات إلى دين يوجهها، وكما تحتاج المعاملات إلى دين يوجهها، تحتاج المواقف السياسية والمصيرية إلى دين يوجهها. قد تقتل الصديق دون العدو إذا لم يكن الدين حاكماً، وقد تعمل ضد مصلحة أمتك، أمَّا مع الدين فالاتجاه صحيح. الدين لم ينحصر في أداء الرسولﷺ في المسجد أو البيت أو العائلة، بل كان موجوداً في كل الساحات، إذ كل شيء يحتاج إلى الدين في حياتنا، فالنبي محمدﷺ كان عابداً زاهداً مصلياً صائماً، وكان قائداً للجيش ومقاتلاً ضد الأعداء وحاكماً في المدينة المنورة لتطبيق الشريعة المقدسة. فإذا كنا نتبع الرسولﷺ فهذا منهجه وهذا أداؤه.

عندما تكون مستقيماً فهذا يعني أن تعبر عنها بالطرق المختلفة، وقد لا تكون ظروف الموقف مؤدية إلى الشهادة، فالمهم هو الموقف الذي يحدد الضوابط ولا يوقع في دائرة الانحراف عن الطاعة، خاصة عندما يرتبط الأمر بالحاكم الظالم. فهذا إمامنا الصادق عليه السلام الذي كان يجلس في مجلس علمه في مسجد رسول اللهﷺ في المدينة المنورة أربعة آلاف عالم، كلهم يقول حدثني الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لا يذهب لاستقبال الخليفة العباسي المنصور عند عودته من السفر، ما يدفعه ليرسل إليه كتاباً ويقول فيه: لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟

فأجابه عليه السلام: «ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر

الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عندك؟».

أرسل له: تصحبنا لتنصحنا.

فأجابه عليه السلام: «من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك»[1].

إن أهمية هذا الموقف في مواجهة خليفة يعتقد بضرورة زيارة الجميع له، هو في تبيان ما يريده الإمام الصادق عليه السلام من تثبيت للخط المستقيم وما هو عليه المنصور، وهو جزء من حالة التوجيه للأمة لتعرف واقع الحاكم فيها.

إن التربية على منهج كربلاء يعطي قوةً ودفعاً في مواجهة الظالمين والمعتدين، وقد ثبّتت الثورة الحسينية هذا المعنى في عشق الشهادة ورفض الظلم، ما هيأ لتربية هذا الجيل وفق منهج الاستقامة، والنتيجة واضحة: إذا تمت الاستقامة في حياة الأمة، فإن الخيرات التي تحصل عليها أكثر من أن تُقدر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[2].

هذا كله عطاء رب العالمين للمستقيمين على طاعته، إنه عطاء دنيوي وأخروي، وخير دليل على ذلك انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان، فلا تظنوا أن المتدينين هم جماعة تصلي وتصوم وتريد الآخرة

---

(١) الإربلي، كشف الغمة، ص: ٤٢٧.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢.

فقط، لا، إنما تريد الدنيا التي يطاع الله فيها، أما إذا كان يُعصى الله فيها فهي ملعونة عندهم. نحن نرفض دنيا المعصية، ولكننا نريد دنيا الطاعة لأنها توصلنا الى آخرة أفضل ليكافئنا الله تعالى على دنيا الطاعة، ولن يكافئنا عندما نتخلى عن واجباتنا في دنيا الطاعة تحت عنوان الرغبة بالآخرة، لأن لا آخرة من دون معبر ومعبرها الدنيا الصالحة للصالحين الذين يعملون فيها بطاعة الله جل وعلا .

لا أكشف سراً إذا قلت لكم: اننا في لبنان نملك سلاحاً بسيطاً محدوداً لا قيمة له أمام سلاح إسرائيل، فبهذه الأسلحة المتواضعة وبهذا العدد القليل من الشباب وبهذه الأوضاع الصعبة التي تضيِّق على المقاومين من كل حدب وصوب، بهذا الجو التي تستخدم فيه أمريكا كل قوتها وسياستها ودعمها من أجل أن تقضي على المقاومين، انتصر المقاومون في جنوب لبنان لأنهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا. نحن لا نتكلم عن معنويات بل عن وقائع، إذ ليس معقولاً أن تنتصر مجموعة من الشباب على جيش جرار منظم لولا تسديد الله تعالى، أمَّا كيف تحقق الانتصار؟ وكيف نزل الملائكة؟ وكيف تم الدعم؟ وكيف تحققت الآية الكريمة ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾؟ فنحن لا نعرف أسرار الله تعالى ولكننا نؤمن أنه تدخَّل لينصرنا. لا يمكن أن ننتصر بالدليل العقلي، ولا يمكن أن ننتصر بالدليل المادي، وكذلك بالنسبة لحسابات الجيوش الشرقية والغربية مع اختلاف العلوم، إذاً كيف انتصرنا؟ إنه التسديد الإلهي .

سأذكر لكم حادثة حصلت في لبنان في عدوان إسرائيل في نيسان سنة ١٩٩٦، وأنتم تعرفون أن المناخ في لبنان هو فصل الربيع حيث تكون

السماء صافية، وهي مناسبة جداً للطيران الإسرائيلي ليبقى محلقاً في السماء، حيث لا يستطيع أحد أن يتحرك على الأرض الاَّ ويقصف. قصف المقاومون صواريخ الكاتيوشا الموجودة عندهم في المواقع الأمامية باتجاه شمال فلسطين رداً على العدوان الإسرائيلي، وبعد عدة أيام نفدت الصواريخ في المواقع الأمامية وبقي ما يكفي ليوم واحد. ماذا يفعلون؟ هل يُخفِّفون القصف أم يبقَون على الوتيره نفسها؟ إذا خففوا سيكتشف الإسرائيلي هذا التطور في الحسابات العسكرية وتظهر الثغرة، وإذا استمروا في إطلاق الصواريخ فسيأتي اليوم التالي ولا شيء جاهز للإطلاق؟ في هذا اليوم بالذات، ملأ الغيم السماء في لبنان، ولم يعد الطيران يرى ما تحته، فنقل المقاومون كل العدة التي يحتاجونها من الصواريخ من المواقع الخلفية الى المواقع الأمامية، وبقي توازن الرعب قائماً لينتصر المقاومون بعدها .

جرت حوادث كثيرة مشابهة، وهذا لا يعني أن الله ينصرنا دون أن نقوم بما هو واجب علينا، لكن يكفي: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ وقد أعددنا، ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ فهذه استطاعتنا، ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ وقد هيأنا بحسب التوفيق، فجاء الأمر الإلهي بإرهاب العدو حيث ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾. فالاستقامة هي التي تعطي النتائج الباهرة والعظيمة، ولو بقينا نفكر بحساباتنا المادية وإمكاناتنا وقدراتنا لما خطونا خطوة واحدة إلى الأمام .

كان البعض يقول للمقاومين أثناء مواجهة إسرائيل، أنتم مجانين، من يمكن أن يواجه هذا الجيش الذي لا يقهر! لكن القيام بالواجب والاتكال على الله هيأ ظروفاً كانت من أروع الظروف، فخرجت إسرائيل

من لبنان ذليلة ولم تأخذ مكسباً واحداً في السياسة ولا في الواقع العسكري ولا في تحقيق أهدافها، بل أكثر من هذا فقد تعبأت كل الأمة العربية والإسلامية بخروج إسرائيل من لبنان بحب الجهاد وطاعة الله تعالى والثقة بالنصر. ثم تحركت الانتفاضة المباركة في فلسطين المحتلة مؤمنة بأن ما تحقق في لبنان يمكن أن يتحقق في فلسطين، وهم في فلسطين يحملون روحية أهل الجهاد والعطاء وإن شاء الله ينصرهم باستمراريتهم في هذا الخط(*).

(*) أُلقيت هذه المحاضرة في المدرسة المحسنية ـ دمشق ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المحاضرة الثانية

مسؤوليتنا تجاه عاشوراء

١ ـــ عاشوراء بكل جوانبها

عاشوراء دخلت إلى قلوبنا وعقولنا وكل حياتنا، لم تعد قصة عابرة من التاريخ، بل أصبحت جزءاً لا يتجزأ من إيماننا وكل تصرفاتنا، عاشوراء تحولت الى مدرسة نتعلم من خلالها ونعلم الأجيال، عاشوراء قوة حملناها بين أيدينا وفي حياتنا، وأعطتنا دفعاً الى الإمام لنقف أمام الظالمين فنسقطهم، إننا في أعين الآخرين كأشخاص وجماعة محظوظة لأن عندها الحسين عليه السلام تقتدي بهديه، فعاشوراء هي المنارة التي يُفترض أن نبقيها مضيئة في حياتنا، على أن نحملها بكل جوانبها، فلا يحق لنا أن نختصر عاشوراء في جانب من الجوانب على حساب الجوانب الأخرى، بل يجب أن نعيش عاشوراء: القدوة، والعاطفة، والاستقامة، والقيادة، والعزة، والشهادة، والنصر، كل هذه المعاني يجب أن تكون حاضرة في عاشوراء. إن أكبر خطأ نرتكبه عندما نأخذ عاشوراء الى جانب واحد ونتخلّى عن الجوانب الأخرى، فأولئك الذين يحولون عاشوراء الى مأساة دون ان يلتفتوا إلى الجوانب الأخرى لن يستفيدوا من عاشوراء، وأولئك الذين يأخذون عاشوراء الى القيادة دون الالتفات إلى المأساة

وإلى الجوانب الأخرى لن يفلحوا، وهكذا عندما نأخذها الى التحليل والقصة بعيداً عن الجوانب الأخرى، فإننا نخسر قوتها في حياتنا.

لذا فمسؤوليتنا تجاه عاشوراء أن نعيشها بكل جوانبها، وأن نعيشها كموقف، فالإمام الحسين عليه السلام رفض البيعة ليزيد (لعنه الله) وهو يعلم أن هذا الرفض سيؤدي الى الشهادة والسبي والى كر بلاء وما يرافقها، ففي جوابه لأم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله قبل خروجه من المدينة وبعدما حدثته عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء. قال الإمام الحسين عليه السلام: يا أماه، وأنا والله أعلم ذلك، وأني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، واني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، واني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردتِ يا أمَّاه أريكِ حفرتي ومضجعي. ثم أشار إلى كربلاء»[١]. ولكنه الموقف الذي يجب أن يُتخذ، فإذا لم يتخذ هذا الموقف فهذا يعني أن يزيد سيحكم وسيكون مرتاحاً مطمئناً، وسيقول المسلمون بأن قائدهم قد سكت وسلَّم فلماذا يتحركون ويرفضون الظلم؟ ونحن نسمع حتى اليوم من يقول: إن ولي الأمر هو الحاكم، سواء أكان براً أو فاجراً، وأن على المسلمين أن يسمعوا لحاكمهم ولو كان ظالماً. أراد إمامنا عليه السلام في هذا الموقف أن يقول: لا بيعة لحاكم ظالم، فمثلي لا يبايع مثله، ولو أدى هذا الموقف إلى كربلاء، فكربلاء تربية على الموقف المبني على الأصالة، و على ضرورة أن نرفع الشعار ونطبقه عملياً في مواجهة الظالمين، لا أن نبقى في دائرة الاستسلام للحاكم الظالم أو للظلم من أي مصدر أتى .

(١) البحراني، العوالم، ص: ١٨١.

٢ ـــ عاشوراء مأساة

لا توجد مأساة في التاريخ شبيهة بمأساة عاشوراء، فالإمام الحسين عليه السلام وثلة من أهل بيته وخيرة أصحابه يقتلون في المعركة، وتسبى النساء وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وريحانة رسول الله، وهو سيد شباب أهل الجنة مع الإمام الحسن عليه السلام برواية متفق عليها بين جميع المسلمين، لقوله صلى الله عليه وآله «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». ومع ذلك يحصل القتل وقطع الرؤوس وحملها على الأسنة والرماح. هذا عمل بشع ولئيم من أولئك الظالمين بحق الإنسانية جمعاء، وهذا عمل مأساوي فيما يتعلق بالمحبين والذين يرتبطون بهذا المنهج وهذا الخط، إنها مأساة يجب أن نبكي لها وأن نتفاعل معا، أن نذرف الدموع لا من أجل أن نتوقف عندها، بل لننطلق من المأساة أقوياء حتى نحمل في قلوبنا كل الإنسانية وكل الحب للاستقامة لمنهج أهل البيت عليهم السلام، فنحولهما الى قوة ضاربة في مواجهة أعداء الله تعالى بكل جرأة.

عندما تربى شبابنا على مأساة الإمام الحسين عليه السلام بروحية حسينية صادقة، كانوا يبكون في مجالس عاشوراء، لكنهم ينطلقون الى سوح الجهاد بكل عزيمة وصلابة وقوة ويواجهون أعداء الله تعالى. ربما احتار المرء، كيف يملك هؤلاء أن يبكوا على الحسين عليه السلام وهم يتميزون بهذه الشجاعة؟ وكيف انتقلوا من مأساة كربلاء الى نصر المقاومة الإسلامية في مواجهة أعداء الله؟ وكيف استطاعوا أن يتفاعلوا مع مأساة ومصيبة سيد الشهداء عليه السلام ليحولوها الى راية نصر باسم أبي عبد الله، باسم الحسين، باسم الشهداء، باسم هؤلاء العظماء الذين قدموا عبر التاريخ؟إنه الإيمان الذي يتعاطى مع المصيبة بتسليم، لكن بتفاعل قلبي يحولها لخدمة سبيل الحق.

٣ ـــ عاشوراء النماذج المتنوعة

النماذج متنوعة في عاشوراء، فيها كبير السن حبيب بن مظاهر، والشاب علي الأكبر، والطفل الرضيع عبد الله، والنساء كزينب عليها السلام ومن معها، وعلى رأسهم القائد الإمام الحسين عليه السلام، حيث كانوا كلهم في كربلاء، ليعطونا نماذج تنسجم مع مفردات ما نجده في حياتنا اليومية. فإذا كنت تشعر بعجزك عن أن تكون في المستوى العالي والرفيع فاختر واحداً من أصحابه لتقتدي به،و لا تقل بأن الإمام لا يمكن اللحاق به، ألا يمكنك اللحاق بالأصحاب؟ كلهم نماذج موجودة، فهذا علي الأكبر يقول: «يا أبت، إذاً لا نبالي، نموت محقين»[١] وهذا مسلم بن عوسجة يقول: «والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى القى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»[٢]. وهذه زينب عليها السلام تهدئ النساء والأطفال وتصبر على هذه المصيبة الكبرى.

كانت هذه النماذج موجودة أيضاً في حياتنا في لبنان في مواجهة أعداء الله تعالى، نساؤنا من أروع النساء في مواجهة أعداء الله، وأهلنا ورجالنا من الذين ساندوا قضيتنا،وشبابنا المجاهد اقتحموا القلاع والحصون وأثبتوا جدارتهم، أجيالنا يعشقون الحسين من الصغر. إن في بيوتنا اليوم أطفالاً يتطلعون الى المستقبل، ويرغبون أن يكونوا في سوح

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٩٢.

الجهاد من الآن، فهم لا يخافون من الاستكبار، ولا من إسرائيل، ولا من الظالمين، لأن قلوبهم امتلأت بحب الحسين وآل الحسين عليهم السلام.

٤ ــ الأئمة عليهم السلام تنوع للأدوار

نجد في عاشوراء المأساة والشهادة، ونجد الصبر والتحمل والمعاناة عند الإمام الحسين عليه السلام، ونجد السجن والعذاب عند الإمام الكاظم عليه السلام، ونجد عند الإمام الرضا عليه السلام سطوة السلطان في واقع محرج جداً عندما عرضت عليه ولاية العهد ونتطلع إلى الأمل الكبير بنصر الإمام الحجة محمد بن الحسن المهدي(عج) وإقامة دولة العدل الإلهية. . . فلكل إمام خصوصياته في حياته وفي مرحلته، وعلينا أن نتطلع الى أئمتنا كوحدة كاملة، نأخذ منهم جميعاً ونتعلم منهم جميعاً. يجب أن نتعلم الأمر وما يعاكسه تماماً، لاعتبار الارتباط بهذا المنهج الإسلامي، فإننا في بعض الأوقات نكون مسؤولين في أن نقتحم الشهادة، وفي أوقات أخرى نكون معنيين بأن نصبر على الضيم، نفرح بالنصر أحياناً، ونتحمل المعاناة الداخلية ممن يفترض أن لا نعاني معهم أحياناً أخرى، نرى أعلام الحق ترفرف في مرحلة، ونواجه الضغوطات في مرحلة أخرى، هذا أمر يجب أن يكون عادياً وطبيعياً، وعلينا أن نتعلم من أئمتنا كيف نتحمل المراحل والمحطات المختلفة.

هذه القواعد الأربع التي نستلهمها من عاشوراء، نحملها ونعكسها مباشرة على حياتنا وعلى رصيدنا بأشكال مختلفة، لنحقق فوائد عديدة نذكر منها أربع:

الفائدة الأولى: ننقل عاشوراء من الماضي الى الحاضر، فعاشوراء ليست قصة من التاريخ، عاشوراء حياة، عاشوراء تربية، عاشوراء

مدرسة، و يجب أن نعيش عاشوراء، لا أن نقول: يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً كأمانٍ غير قابلة للتحقيق، بل بإمكاننا أن نكون معهم في حياتنا، وفي مواجهتنا للظلم، وفي قتالنا لأعداء الله تعالى. علينا أن لا نضيع الدماء التي بذلت، وأن نحافظ عليها، هكذا فعل شباب المقاومة الإسلامية.

أصبحت موقعية سيد الشهداء الإمام الحسينعليه السلام اليوم عند العرب والمسلمين في العالم عظيمة ومهمة، لأن شباب المقاومة كانوا دائماً يكررون بأنهم تلامذة هذا الإمام وفي مدرسة هذا الإمام، فإذا سئلنا كيف أقدمتم على المعركة؟ قلنا: تعلمنا من الإمام الحسينعليه السلام فهو المعلم والقائد والقدوة، وعلى الجميع أن يلتفتوا إليه حتى يأخذوا منه كي يحققوا نصراً مؤزراً كما تحقق للمجاهدين.

الفائدة الثانية: يجب أن نستفيد من الحالة التعبوية لهذه المجالس، وأن نعمل لاحيائها، وهي دعوة صريحة من الأئمة عليهم السلام لذلك، فالإمام الصادقعليه السلام يقول للفضيل بن يسار: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم. قالعليه السلام: «إنَّ تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل من ذكرنا فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[١] وهو القائل في مقام آخر: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا ودعا إلى ذكرنا»[٢].

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٨، ص: ٤١٠./الحميري القمي، قرب الإسناد، ص: ٣٦.

(٢) حسين عبد الوهاب، عيون المعجزات، ص: ٥.

كما ركّز الإمام الخميني(قده) على أهمية مجالس عاشوراء، وكان يكرر في كل مقام ضرورة التأسي بالإمام الحسين عليه السلام وأن كل ما عندنا من عاشوراء: «ولولا سيد الشهداء عليه السلام لما قامت هذه النهضة الإسلامية الحديثة ولما انتصرت، فالحسين عليه السلام حاضر في كل مكان، وآثار نهضته مشهورة (كل أرض كربلاء) وكل المنابر محل لذكر سيد الشهداء عليه السلام، وكل محراب مصدره سيد الشهداء. لقد أنقذ الإمام الحسين عليه السلام الإسلام، فهل نسكت على مقتل من نهض وانقذ الإسلام باستشهاده؟ علينا أن نبكيه كل يوم، وعلينا أن نرثيه من على المنبر كل يوم، من أجل حفظ هذا الدين والمحافظة على هذه النهضة، فهي مرهونة ومدينة للإمام الحسين عليه السلام»[١].

لسنا بحاجة للتفتيش عن روايات غريبة أو غير موثوقة من أجل تأجيج المشاعر عند الناس. ولطالما انتشرت قصص وأحاديث غير صحيحة وغير مسندة، بل لم ترد في أي من المقاتل وكتب السيرة، ومنها أن القاسم عليه السلام قد تخلى عن العرس وذهب الى القتال، بينما لا يوجد أساس لهذه القصة وهي ليست مروية في أي من الكتب المعتبرة، وقد أفتى المرجع الكلبايكاني(قده) باعتبار الصائم الذي يروي هذه الرواية عن عرس القاسم كاذباً على الله ورسوله فيكون مفطراً في يوم الصوم.

هنا أريد أن أسألكم سؤالاً، هل هناك أصعب وأشد ألماً من قطع رأس الإمام الحسين عليه السلام أو قتل الطفل الرضيع لتأجيج العاطفة، أو السبايا يخرجن حاسرات الرأس بسبب الأوغاد الذين يدّعون الارتباط

(١) الإمام الخميني (قده)، نهضة عاشوراء، ص: ٩٣

بالإسلام؟ عندما نذكر قصة عاشوراء كما جرت، فهي بحد ذاتها تؤجج العاطفة في نفوسنا، و لسنا بحاجة الى قصص وهمية، بل نحن بحاجة الى الأحداث التي حصلت فعلاً سواء أكانت واقعية بحكم العقل أو كانت واقعية بحكم النقل ولو كانت غيبية، لأننا نؤمن بأن أئمتنا عليهم السلام يحصل معهم أمور من الغيب، فإمامنا الحسين عليه السلام كان يعرف بأنه سيقتل في كربلاء، وروى هذا الأمر مراراً وتكراراً، وقد قال لأم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة قبل خروجه إلى مكة المكرمة: «يا أماه قد شاء الله عزَّ وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً»[1].

الفائدة الثالثة: ضرورة الإصلاح في الأمة، فعاشوراء حركة إصلاحية لمواجهة التفسير الخاطئ للإسلام، «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر». علينا أن نأمر بالمعروف وأن نعلم الناس و نربيهم، أن نعرض عليهم هذا الحق الذي آمنا به، فهذا تكليف، ولا يجوز أن نتلهى بمناقشات واهتمامات جانبية أو جزئية لا قيمة لها ولا فائدة منها، فلندخل الى صميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نعمل للتأثير على الآخرين. ولا يجوز لك أن تتصرف في النهي عن المنكر على مزاجك بخلاف ما أمرت به الشريعة المقدسة ضمن حدودها وضوابطها، وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يفعل البعض، حيث يكفِّر الناس جميعاً على أنه هو المؤمن، وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تستسهل إضرارك بالآخرين مع عدم الجواز بهذا الإضرار! لا، إنما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبدأ أولاً بشخصيتك أنت، لتكون نموذجاً للطاعة لله تعالى على درب

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٣١.

الحسين عليه السلام، عندها ستؤثر في جيرانك وأهل حيِّك وأقربائك بسلوكك ولو لم تتكلم كلمة واحدة .

سأذكر لكم أمراً لمسته أثناء الحج الى بيت الله الحرام، وسمعته من إخواني الذين ينقلون انطباعات العرب والمسلمين في مختلف أنحاء العالم .

كل العالم الإسلامي ينظر اليوم الى حزب الله كقدوة، ويطلب من أفراد وعلماء ونساء حزب الله أن يعلموهم كيف وصلوا الى هذا المستوى الرائع من الالتزام والتفاني في سبيل الإسلام وتحقيق الأهداف، فلو نشرنا عشرة آلاف عالم في العالم من أجل أن يبلغوا ويبشروا ويبّينوا عظمة الفكر الذي نحمله وعظمة الإيمان الذي آمنّا به ـ والعظمة ليست لنا هي عظمة الإسلام ـ لما استطعنا أن ننشر في العالم ما نشره المجاهدون بدمائهم وعطاءاتهم، لأنهم كانوا قدوة حقيقية، حيث سبقتهم أعمالهم قبل أن ينطقوا بحرف واحد، وتعرفنا عليهم قبل أن نقرأ وصاياهم عند الشهادة، هؤلاء هم الذين نشروا هذا الخط على مستوى كل العالم، الذي أصبح يتطلع إلى هذه القدوة ليقتدي بها. هذا يعني أننا نحتاج الى قدوة في العمل عندما نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وأن نتميز بسلوك يؤهلنا لنفوز في هذا المجال .

الفائدة الرابعة: الاهتمام بعزة الأمة، لأن ما أنجز من الثورة الحسينية ومن نتائجها الثورة الإسلامية على يد الإمام الخميني(قده) وانتصار المقاومة، هو أن الأمة برزت عزيزة، وأصبح رأسها شامخاً في العالم، لا على قاعدة الغرور والتكبر أبداً، فنحن أعزة في مقابل الكافرين، ولكن أذلة في مقابل المؤمنين، أي أننا متواضعون مع

المؤمنين، ولكن أشداء على الكافرين نشعرهم بالعزة والقوة والمعنويات العالية، فإذا هددوا هددنا، وإذا تصدوا تصدينا، وإذا أعلنوا أن بإمكانهم أن يصنعوا شيئاً استخففنا بهم، وإذا ابرزوا قوتهم أبرزنا قوتنا، لا لأننا نريد أن ننجرَّ الى ما يريدون، بل لأن رب العالمين قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. علينا أن نحافظ على هذه العزة، يجب أن يكون رأسنا عالياً في مواجهة الكفر، فلا يفكر أحد بأن يخضع. انتبهوا، فالثقافة والتربية تدخل الى البيوت أحيانا بطريقة غير مباشرة، ويقولون لنا بأن أمريكا قوية، ويكررونها عشرين مرة أو أكثر، ونحن نكررها ونجري مقارنة بيننا وبين أمريكا، فنقول: نحن لا نقدر على مواجهة متطلبات أمريكا، فنعيش حالة ضعف نفسي تهزمنا قبل أن نقدم على أي عمل. لقد صدَّق العرب مقولة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر واستسلموا لها، وقبلوا بقطعة من أرضهم ودعوا الله ليعينهم، فالمهم أن يبقوا على قيد الحياة. هذه ثقافة نشروها، ولكنَّ الإسلام غيّرها، الإمام الخميني (قدس) غيّرها، المقاومة غيرتها، السيد عباس الموسوي غيّرها، الشهداء غيّروها، أصبحنا نشعر بالعزة في مقابل الاعداء، و يجب أن نبقى كذلك، لأننا لن ننتصر إذا كنا أذلة في مواجهة الكافرين، بل يجب أن نكون أعزة، ويجب أن يشعروا هم بذلك وأن يخافوا منا وأن ترتعد فرائصهم. هذا جزء من تكليفنا وواجبنا في المحافظة على الانتصار. ويقول البعض: إن علماءنا يتحدثون دائماً بمعنويات عالية! نعم يجب أن نتحدث بمعنويات عالية! لأننا على الحق، وممَ نخشى؟ وممَ

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

نخاف؟ عندنا الارتباط بالله تعالى وعندهم الارتباط بحياة فانية، عندنا قيادة الرسول والأئمة والأولياء والصالحين وعندهم زعماء منحرفون رائحتهم تفوح في كل مكان، عندنا منهج هو الإسلام العظيم الذي يسعد حياتنا، وعندهم قوانين وضيعة وتجارب سيئة تسقط إنسانية ومعنويات الإنسان، إذا لماذا لا نكون أعزة؟ إن هذا ما يساعدنا على الاستمرار والاستقرار(*).

(*) أُلقيت هذه المحاضرة في قاعة ثانوية شاهد ـ ضاحية بيروت الجنوبية ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المحاضرة الثالثة

التكليف الشرعي

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام على علي بن الحسين، السلام على أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين وأهل بيت الحسين، السلام على المجاهدين الشرفاء الذين سطروا بدمائهم ملاحم الفداء والعطاء عبر التاريخ، السلام على قائد ومفجر الثورة الإسلامية في القرن العشرين الإمام الخميني المقدس، والسلام على ولي الأمر الإمام الخامنئي حفظه الله تعالى ورعاه وعلى سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي(رض) وعلى الشيخ راغب(رض)، وعلى جميع المجاهدين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

في البداية لا بدّ من طرح أسئلة عديدة:

لماذا انحرف المسلمون في الكوفة وفي باقي الأمصار الإسلامية عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في كربلاء، مع أنهم كانوا يصلّون ويتعبدون ويصومون وكانوا يقومون بالعبادات الإسلامية المعروفة؟ .

لماذا اختاروا درب يزيد ولم يختاروا درب الإمام الحسين عليه السلام؟

لماذا تراجعوا بسرعة، عند أول ضغط مارسه الحاكم عليهم، فكانوا مع الباطل في مواجهة الحق؟

أسئلة تحضرني عند الحديث عن واقعة كربلاء.

الجواب يرتبط بحدود التكليف الشرعي، وهو الواجب الذي يجب على المؤمن أن يتقيد به وان يلتزم به، وعندما نتحدث عن التكليف الشرعي، إنما نتحدث عن شاب وصل الى مرحلة البلوغ وأصبح مكلفاً، وعن بنت وصلت الى السنوات التسع وأصبحت مكلفة، وعندما يكون الشاب والفتاة مكلفين بحسب وجهة نظر الشريعة المقدسة، فهذا يعني أنهما مسؤولان عن حمل الشريعة، وعن تطبيق الأوامر الإلهية والانتهاء عن النواهي التي نهى عنها الله تعالى، وهذا هو التكليف الشرعي. عندما يقوم الفرد بهذا التكليف ويلتزم به يكون مؤمناً صادقاً بما أمر الله، وعندما يقصر ويتراجع عن مفردات هذا التكليف يكون على طريق الانحراف ويمكن أن يصل الى الابتعاد عن دين الله تعالى.

على ضوء ما تقدم، نرى أن أهل الكوفة لم يلتزموا بالتكليف الشرعي الذي أمرهم به الله تعالى، فعذَّروا أنفسهم بمجرد الصلاة والصوم، ولم يأتمروا بولي الأمر، ولم يواجهوا الظلم والانحراف.

إنَّ التكليف هو الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج، وفي الوقت نفسه هو الجهاد والسياسة والموقف والعمل الصالح والأخلاق والمعاملات بين الناس، ونصرة المظلوم والمستضعف والوقوف بوجه المستكبر، كل هذا يدخل في دائرة التكليف الشرعي. فالتكليف واسع بسعة حياة الإنسان، وهو شامل لكل نواحي حياة الإنسان من العبادات

الى المعاملات الى السياسة الى كل شيء يمكن أن يخطر على بالك كإنسان تعيش في الحياة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإمام الخميني(قده) صرح في وقت كان الالتباس قائماً عند كثير من المسلمين حول نظرتهم الى الإسلام، معلناً «أن عبادتنا عين سياستنا وسياستنا عين عبادتنا» ليربط بين الأمرين، ويقول بأنَّ التكليف الشرعي هو في كل موقع من المواقع، فالمصلي عندما يسجد لله خاشعاً يقوم بتكليفه، والمجاهد عندما يحمل بندقيته في مواجهة إسرائيل يقوم بتكليفه، والسياسي عندما يرفض الظلم ويطالب بحقوق المستضعفين يقوم بتكليفه. . . ومن قصّر في ناحية من هذه النواحي كان مقصراً في تكليفه وبعيداً عن الالتزام الذي أمر به الله جلَّ وعلا .

وقد أسس لذلك إمامنا الحسين عليه السلام حينما قال: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، أي أنه يريد أن يعمل داخل الأمة لينقلها من حكم الظالم الى حكم الصالح، من الفساد الى الاستقامة، من الانحراف الى طريق الله تعالى. أراد الإمام عليه السلام أن يكرس هذه المعادلة وأن يحمل الأمة لتستعيد دينها وتستعيد كرامتها وتستعيد سلامة التطبيق، ولو كلف الأمر دماء زكية تسقط في كربلاء قربة الى الله تعالى. وفي المقابل كان رجال ونساء يلتزمون بهذا التكليف ويعملون على أساسه، وهم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، قد قاتلوا معه، فهذا سعيد الحنفي يقول: «والله يا بن رسول الله لا نخليك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصية رسوله صلى الله عليه وآله»[1]، وزهير بن القين الذي التقى

---

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٥٦./ وروي القول عن مسلم بن عوسجة.

بالإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى كربلاء ولم يكن مقتنعاً بالسير معه، لكن زوجته الصالحة دفعته ليسمع كلام الإمام الحسين عليه السلام وبعد ذلك فليختر ما يشاء، ذهب إلى الإمام وسمع منه فاقتنع وجاء مبشراً زوجته بأنه سيكون مع الإمام الحسين عليه السلام، وهو الذي قال في كربلاء للإمام «والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أُقتل هكذا ألف مرة وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك»، أما زوجته الصالحة فعندما أتى إليها ليخبرها بموقفه، وأنه سيكون مع الإمام الحسين عليه السلام قالت له هذه العظيمة «خار الله لك وأسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين عليه السلام»[1] .

إن دائرة التكليف الشرعي تشمل كل حياة الإنسان، فلا يغتر أحد ببكائه أثناء الصلاة وهو لا يلتفت الى الجهاد والمجاهدين في مواجهة أعداء الله، ولا يكفي أحد التزامه ببعض الأدعية والقراءات دون أن يكون مع أمته في قضاياها وفي شؤونها. تعلمنا من الإمام الحسين عليه السلام أن دائرة التكليف هي دائرة كل الحياة، فليس الدين للمسجد فقط، إنه للمسجد والبيت والمدرسة والأسرة والشارع والحكم والعالم، ويفترض بنا أن نحمل هذه الشريعة المقدسة من أجل أن نعممها وننشرها و نعمل وفق أوامر الله ونواهيه، مفتخرين بذلك، مصممين على العمل، قائمين بدورنا وواجبنا، دون أن يثنينا أحد عن هذا الدور وعن هذا الواجب الذي أراده الله تعالى لنا .

مما تقدم نخلص إلى القول: إن دائرة التكليف الشرعي هي دائرة كل الحياة. هذا أولاً .

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٩٣.

ثانياً: إن دائرة التكليف هي ضمن قدرة الإنسان، وربما أشكل البعض وقال لكن التكاليف الشرعية صعبة ومعقدة، ولا يستطيع الإنسان أن ينفذها فلو خففتم عنّا، أو حذفتم نصفها، أو بحثتم بتعديلها، ربما أصبح عدد المتدينين أكثر على مستوى العالم؟

يطرح هذا التساؤل بينما يعلم أن الله هو الذي كلَّفه، وهو يعلم قدرته وإمكاناته، حيث قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1]، فلو لم يكن الإنسان قادراً على هذا التكليف لما كلفه به الله جلَّ وعلا. يقول الإمام الصادقعليه السلام «ما كلف الله العباد فوق ما يطيقون» ثم عدَّد الفرائض وتكلم عن الصوم وقال «إنما كلفهم صيام شهر من السنة وهم يطيقون أكثر من ذلك»[2]، فقدرة الإنسان على التحمل أكثر من التكاليف التي قررها الله تعالى، لكننا نشعر بصعوبة التكاليف بسبب عدم استيعابها ومعرفتها، وبسبب التشويش الذي يواجهنا والأجواء التربوية التي تؤثر علينا، وبسبب هوى النفس الذي يحيط بنا، إلاَّ أن التكليف منسجم تماماً مع قدراتنا، فعندما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[3] فهو يعلم أنهم قادرون على البيع ولا يمكن أن يشتري منهم وهم عاجزون، وهو يعلم بأن الإنسان إذا آمن وتفاعل وأطاع الله، يمكنه أن يكون عظيماً وأن يقدم في ساحة الجهاد وفي كل الساحات، بدليل أن المجاهدين قد أعطوا أنفسهم وأموالهم، ولم يسألوا عن شيء، وبرعوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٢) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٤، ص١٥٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

وحلَّقوا، وتبين أن عطاءاتهم لا حدود لها ولا إمكانية لوضع إطار لها، بل هي تنطلق بدوافع مشرقة وعظيمة .

أرأيتم كيف أصبح المجاهدون عظماء وفرضوا أنفسهم على العالم عندما باعوا أنفسهم لله تعالى؟ لأنهم قالوا ربنا الله وتخلوا عن الهوى، وأعطوا دماءهم فأصبحوا عظماء الحاضر وعظماء المستقبل وعظماء التاريخ، مثلهم كمثل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، حيث كانت كل النماذج حاضرة في كربلاء وهي كذلك اليوم حاضرة، فهذا حبيب بن مظاهر الذي كان موجوداً في كربلاء وقدم نموذجاً رائعاً في تضحية الرجل الكبير، وكذلك رجالنا اليوم يتحملون ويدفعون أبناءهم إلى ساحات الشرف، وهذا علي الأكبر الذي تقدم إلى الميدان بكل جرأة، وهكذا شبابنا يقدمون في ساحة الجهاد، وهذه زينب نموذج المرأة المجاهدة المعطاء العاملة القوية المخلصة، نزلت إلى ساحة الميدان وتحملت الجراح والآلام والسبي وشهادة الأحبة، ووقفت بوجه الظالمين وكشفت زيف المدَّعين والمنافقين، ونساؤنا المحجبات المؤمنات في جبل عامل والبقاع الغربي كنّ يواجهن كل أسباب الانحراف، وتفتخر الواحدة أن زوجها شهيد أو إبنها شهيد أو أخاها شهيد، كل واحدة منهن كانت تعمل بالقدرة التي أودعها الله تعالى فيها، فلو لم تكن قادرة لما كلفها الله، ولما كان بيننا الرجال والنساء والشباب والأطفال الذين قدموا في كربلاء و يقدمون في كل حين .

ثالثاً: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، وما نفعله ضمن الوسع، لكن السر هو في الأمر الثالث، عندما يمتلىء قلب الإنسان بالإيمان والإرادة عندها يتمكن من صنع كل شيء، أما إذا كان بعيداً

عن الإيمان ومقبلاً على الهوى فهذا يعني أنه عاجز عن صنع شيء، إضافة إلى ذلك فإن الإيمان يحتاج إلى بناء وإعداد وقوة وقدرة وهي أمور لا تكون بمجرد الرغبة. يجب على الإنسان أن يضع برنامجاً حتى يتمكن من تقوية قلبه بالإيمان وتقوية إرادته للثبات. عندما تحدث الله تعالى عن الأمر بالقتال باعتباره أصعب الأمور في حياة الإنسان قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾، وهنا نسأل: لماذا هو كره لنا؟ لأن مشاعرنا وعواطفنا وأهواءنا لا تريد أن تزج بهذه الأنفس في المعركة وفي الجراح والتضحيات، لكننا قادرون على هذا، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فهذا يعني أن لا يستعجل أحد ولا يسقط إذا واجهته نفسه أو طلبت منه أن يتراجع عن جو الجهاد والإيمان والاستقامة أو أن يستسلم بسرعة، إن الإيمان يتطلب جهداً وقناعة وتفاعلاً، فإذا أصبح الإنسان مؤمناً عظيماً شريفاً ملتزماً فإنه يصنع المعجزات .

نذكر قصة تتضمن العبر لمن يتردد في الإيمان ولا يثبت عليه. جاء رجل إلى الإمام الحسين عليه السلام، فقال له: يا بن رسول الله أنا أعصي ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظة أنتفع بها يا بن رسول الله؟

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت:

١ ـ لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، فقال له يا بن رسول الله فكل رزق في الأرض لله فمن أين آكل؟؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

٢ ـ أخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، قال هذه أعظم من الأولى فالأرض كلها لله، والله تعالى هو الذي خلقها فكيف أخرج من أرض الله؟

٣ ـ أطلب موضعاً لا يراك الله وأذنب ما شئت، قال وهل تخفى على الله خافية،؟ وهو الذي يقول وهو معكم أينما كنتم، فهذه مستحيلة.

٤ ـ إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، قال لا أستطيعها.

٥ ـ إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت، عندها قال الرجل: حسبي يا بن رسول الله لن يراني الله بعد اليوم حيث يكره، فإني آمنت بالله جل وعلا[1].

هل يمكن للإنسان أن ينفذ هذه الأمور الخمسة أو واحدة منها فقط؟

الجواب: لا يمكن للإنسان أن يهرب من الله، فما عليه إلاَّ أن يؤمن ويلتزم ويسير على خطى الإسلام والإيمان، دون الركون إلى ما يُقال بوجود فترة شباب تستدعي حيوية في المعصية وفتوراً في الالتزام: ! وهنا نتساءل هل أن حيوية الشباب تستدعي الانحراف ولا تستدعي الاستقامة والبطولة؟ ولماذا تستدعي حيوية الشباب المراقص والخمارات، ولا تستدعي تلال صافي والبقاع الغربي والصمود والتصدي؟ ولماذا تستدعي حيوية الشباب أن يضيع وقته ويتلهى ولا تكون من أجل استقلال الوطن وكرامة الإنسان؟ لماذا تكون حيوية الشباب مسخرة لتقليد الغرب واتباع الأجانب ولا تكون حيويتهم من

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص: ١٢٦.

أجل الالتزام بدين الله لإثبات الحق على وجه الأرض؟ لماذا تكون حيوية الشباب مسخرة للانحرافات والمنكرات ولا تكون من أجل عظائم الأمور حتى يستعيدوا كرامتهم وعزتهم؟ فهؤلاء شباب المقاومة الإسلامية كلهم حيوية، كلهم طاقة، وكلهم عنفوان، وقد فجروها بوجه الأعداء، وذهبوا عاشقين للشهادة لا يخشون الموت، لأنهم يعلمون أن ما عند الله يبقى ولا يفنى، وهو أكبر بكثير من هذه الملذات الفانية، فإذا أين تدفعون الشباب؟ فالحيوية يمكنها أن تكون في الإيمان ويمكنها أن تصنع المعجزات؟!

رابعاً: إنَّ التكليف يتطلب التضحية، لأن الإيمان لا يمنع الرغبات الدنيوية والمغريات اليومية، والانحراف الذي يشدُّ الإنسان إليه، والشيطان يعمل ويبث الدعايات، وهو يروج حتى يكون الناس معه، وكذلك يروج جماعة الإيمان حتى يكون الناس مع الله تعالى.

الشيطان له أدواته وله طبله وانحرافاته، وطريق الرحمن يحملها ثلة من المؤمنين يقدمون النماذج ويعرضونها أمام الناس. والحق يُقال إن تجربة الإمام الحسين عليه السلام هي من التجارب الرائدة العظيمة التي فتحت خيرات كبيرة للبشرية حتى يتعلم الشباب منها، لكن هذا يتطلب تضحيات كبرى ولا يظن أحد بأن الوصول يكون سهلاً.

قد تمنى البعض أن تزول إسرائيل بالدعاء، هنا نسأل: هل تفكرون أن إسرائيل تنتهي بالدعاء؟ لا، إن المواجهة تحتاج إلى دعاء، وتحتاج إلى سلاح وإلى قيام بالتكليف، وعندما نقدّم قليلاً يقدّم الله لنا كثيراً ويعيننا وينصرنا، وهذا ما حصل مع المسلمين في بدر حيث سدّدهم الله

تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

إن الله تعالى يعلمنا بوضوح في كلامه معنا: أن الطريق صعب ومحفوفة بالأخطار، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2] هذا أمر كان يحصل مع المؤمنين في السابق وسيحصل اليوم وسيحصل في المستقبل، وهذا يعني أن هناك معاناة. لقد عانينا في عام ١٩٩٣ وكانت نتيجة المعاناة الانتصار، وكذلك في عدوان ١٩٩٦ فانتصرنا على إسرائيل رغم كل المعاناة والمخاطر التي كانت تحيط بنا من كل جانب، إضافة إلى استخدام العدو لكل إمكاناته من أجل أن يسقطنا. كما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء حتى يبتعد عن ثورته، كي لا يسجل في التاريخ أنه فضح هذا النظام الحاكم. توجد أخطار كثيرة ستواجهنا في حياتنا، كما توجد صعوبات سنتعرض لها، فهناك أكثر من ١٢٨١ شهيداً للمقاومة الإسلامية عدا عن آلاف الجرحى والأسرى والكثير من العذابات والخسائر والمرارات دُفعت قبل أن يتحقق هذا النصر، يعني ذلك أن طريق الحق صعب وأن طريق الخير صعب.

نحن اليوم نجني واحدة من ثمرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، إذ لولا هذه العطاءات وهذه الدماء لما سمعنا بمقاومة إسلامية، ولما سمعنا بانتصارات على إسرائيل، لأن شبابنا لو لم يتربوا على مثل

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

تربية أصحاب وأنصار الإمام الحسين عليه السلام بروحية الشهادة لما استطعنا أن نقف أمام هذه الأخطار التي واجهتنا من كل حدب وصوب، نحن لم نكن نواجه إسرائيل فقط كنا نواجه إسرائيل ومن ورائها الاستكبار وكل الأسلحة المتقدمة وكل الخبث العالمي، كنا نواجه هؤلاء جميعاً بقلة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام وانتصر الحسين في كربلاء لبنان كما انتصر في كربلاء العراق .

إذاً، عندما يقوم الإنسان بتكليفه الشرعي فإنه سيربح في الدنيا وسيربح في الآخرة، ولا توجد خسارة مع الله تعالى، إن قُتل الإنسان فإلى الجنة وإن قَتل فإلى نصر مؤزر ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[1]، إذا ضحى الإنسان بملذاته فسيعيش سعيداً بسبب انتصاره على نفسه، وسيكافأ في الآخرة بسبب مواجهة هذه الملذات، سيتحمل مع المؤمنين بعض الصعوبات من الكافرين لكن سيشعر بعد ذلك أن الطهارة والقداسة التي يعيشها معهم هي أثمن بكثير من كل الانحرافات وسيأخذ مكافأته في الآخرة. إذاً سيربح المؤمن على كل حال وسينتصر على كل حال في الدنيا وفي الآخرة، وفي الوقت نفسه لا ننسَ مدد ودعم الله تعالى للمؤمنين في كل المجالات، ولا يظننَّ أحد أن الانتصار الذي تحقق هو انتصارنا نحن! أبداً نحن قمنا بما كلفنا الله تعالى به وعملنا بالآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾[2]، وإذا كنا قد استطعنا أن نهيء بعض الإمكانات، وأن نجمع بعض الشباب، وأن نقاتل ببعض العمليات، وأن نؤلف القلوب حولنا في لبنان، وأن نخدم أهلنا وأحبتنا، وأن نقوم ببعض الأمور البسيطة والعادية التي تمكّنا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

منها، فقد استطعنا القيام به بتوفيق الله،حيث جمعنا ما عندنا من قوة بحسب قدرتنا، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ كجزء من القوة، ومع أنَّ قدرتنا ضعيفة ومتواضعة ولا يمكن أن تقاس بالقوى العالمية، كانت النتيجة ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وبالفعل وجدنا أن ما جمعناه باستطاعتنا أمده الله تعالى بقوة من عنده ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، فتحقق نصر عظيم نموذجي باهر بتوفيق وتسديد الله تعالى للمؤمنين الذين قالوا ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، وهو خارج المعادلات المادية المعروفة .

في هذا السياق لن أتحدث عن تفاصيل كثيرة، لكن سأذكر حادثة واحدة فقط جرت أثناء المواجهة في جنوب لبنان مع العدو الإسرائيلي، ففي يوم من الأيام قرر الأخوة أن يفجروا عبوة بمجموعة تأتي الى الموقع، وكانوا يتمنون أن تكون إسرائيلية ولكن إذا لم ينجح الأمر فلا مانع لو كانت المجموعة لحدية، فهم سيفجرون العبوة بهذه المجموعة اللحدية العميلة لإسرائيل، اقتربت المجموعة اللحدية وفجر الأخوة العبوة فلم تنفجر، أصلحوا العبوة مجدداً بعد أن مرت المجموعة، في المرة الثانية انتظروا أن تأتي دورية فأتت مجموعة لحدية، فجروا العبوة فلم تنفجر، أصلحوها للمرة الثالثة، ويبدو أن الإسرائيليين أرسلوا هاتين المجموعتين ليتأكدوا وليطمئنوا مائة بالمائة أنه لا يوجد عبوة، فأتى الإسرائيليون فانفجرت العبوة، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، هذا تسديد الله وتوفيق الله تعالى .

إذا قمنا بعمل جيد فإن الله يعطينا الكثير، من كان يتصور وجود شباب مجاهد طاهر مؤمن طيب ونساء محجبات في لبنان، حيث كانوا

يقولون بأن المطلوب من لبنان أن يكون متغرباً (يعني على الطريقة الغربية) لكن لبنان يتصدر أخبار العالم، لا لأنه مصدر الفساد الغربي بل لأنه مصدر الأخلاق والإيمان والصلاح والثورة والعنفوان والدماء في طاعة الله تعالى، ويعلِّم العرب والعجم وكل العالم كيف يسير في مسار ترتفع به رؤوسهم ليصبحوا منتصرين على أعداء الله تعالى وخاصة على إسرائيل، ونحن نسمع أن إسرائيل مرتعبة وخائفة ومشوشة ومرتبكة! ممّن، من حزب الله؟ لماذا؟ مع أنكم تقولون: إن الجبهة هادئة في الجنوب لكنهم يقولون بأن حزب الله لا يهدأ، ونحن نقول: إننا لا نقعد ساكتين ونحن معترفون بهذا، لأنكم أعداء ولأنكم محتلون ولأنكم غاصبون. هذه الروحية التي ثبتت في لبنان كروحية حسينية، لا تمنعها حدود ولا تمنعها أنظمة ولا استكبار ولا تمنعها قرارات دولية، هي روحية تدخل الى كل قلب وعقل، تدخل إلى كل طفل وامرأة وشاب، تدخل إلى كل حر ضمير في كل عالمنا وتؤثر أثرها وخاصة على العدو الإسرائيلي، وهذا أمر طبيعي فيما أنتجته هذه الثورة الحسينية العظيمة .

مع إيماننا والتزامنا بالتكليف الشرعي يمكننا أن نحقق الكثير، أولاً نؤمن، ثانياً نُعدُّ ونبني، ثالثاً نصبر، رابعاً نجاهد ونضحي، فإذا تحققت هذه العناوين الأربعة فإن الانتصارات ستكون عظيمة وان الأهداف الحسينية ستتحقق بإذن الله تعالى في كل موقع من مواقعنا. لولا هذا الإيمان وهذه الروحية لما تحقق الانتصار على إسرائيل، ولو كانت إسرائيل قادرة على البقاء في لبنان لما خرجت، ولو كانت إسرائيل قادرة على الاستثمار السياسي لبقائها لحصلت عليه، ولو كانت قادرة على الاستفادة من الرصيد الدولي المستكبر لأخذت

المنافع الكثيرة لمصلحة مشروعها، فكل الدول المستكبرة كانت مع إسرائيل، كل العملاء الذين خانوا الوطن كانوا مع إسرائيل، كل المجموعات الأمنية التي فتكت بالأطفال في بلدنا كانت مع إسرائيل، كل النفوس الضعيفة التي تخشى أو تتأمل بإسرائيل كانت مع إسرائيل، ومع ذلك انتصر المؤمنون بإيمانهم على هذا العدو الإسرائيلي، هذا كله بفعل الجهاد وبفعل التضحية(*).

(*) ألقيت المحاضرة في المجلس المركزي ـ حارة حريك ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المحاضرة الرابعة

العاطفـة

السلام على الحسين وعلى جد الحسين ﷺ، وعلى أبي الحسين عليه السلام، وعلى أم الحسين عليها السلام، وعلى علي بن الحسين، وعلى أبناء الحسين، وعلى أهل بيت الحسين، وعلى أصحاب الحسين، وعلى الشهداء والمجاهدين الذين زرعوا هذه الطريق بدمائهم وجهادهم وعطاءاتهم حتى وصلت إلينا نقية طاهرة، والسلام على محيي الإسلام في القرن العشرين الإمام الخميني (قده)، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تزداد الثورة الحسينية المباركة اشتعالاً سنة بعد سنة، وكلما أحييناها عشنا معها المعاني الجديدة، وكأننا نتعرف عليها من جديد مع أن السيرة لم تختلف، والأفكار التي يمكن الاستفادة منها موجودة فيها منذ قامت هذه الثورة، إذاً ما الذي يجعلها متجددة ومربية وفاعلة في حياتنا اليومية؟ أعتقد أن الأمر يرتبط بمسألتين :

الأولى لها علاقة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام، فهي تملك من الحيوية والفاعلية ما يمكنها من أن تتجدد وتضخ الأفكار والعواطف والمشاعر، وكلما نهل الإنسان منها، شعر أنه توصل إلى فهم جديد واكتشف خصوصيات جديدة .

الثانية ترتبط بنا، إذ كلما ازدادت قابليتنا للتفاعل مع الإمام الحسين عليه السلام، ازداد حبنا وتفاعلنا وتعاطفنا مع هذه الثورة المباركة. فنحن الذين استجدت عندنا أفكار نفهم من خلالها الحسين عليه السلام وعواطف تتفاعل مع الحسين عليه السلام.

ركز أئمتنا عليهم السلام على إحياء المجالس العاشورائية لتكون مجالس بكاء ومصيبة وفكر وفهم ووعي واطلاع، أي أن المطلوب من المجالس العاشورائية أن تعيِّشنا كل جوانب الثورة الحسينية، وعلى رأسها جانب المأساة والحالة العاطفية، التي يُفترض أن نركِّز عليها ونهتم بها. هنا تأتينا الملاحظات، أنتم تبكون على الرغم من مرور ١٣٦١سنة، وانتم تؤججون العواطف والمشاعر على الرغم من المدة الطويلة، والأمر لا يتطلب هذا النوع من الإثارة ومن التصعيد العاطفي. بعضهم يدعو إلى عقلانية تؤدي الى فهم لثورة الإمام الحسين عليه السلام بطريقة مجردة تماماً عن العاطفة، والبعض الآخر يدعو الى اختصار هذه المجالس على قاعدة الوعي الإسلامي، وعلى قاعدة العودة الى مصادر الشريعة المقدسة، دون أن نتعلق بالحادثة نفسها وبالمصيبة نفسها!

هذه الآراء لم تلامس الخصوصيات التي أرادها أئمتنا عليهم السلام من التركيز على الحالة العاطفية التي تحيط بكربلاء، وعلى الحالة المأساوية التي رافقت موقعة الطف، كي نعيش معها بكاء مراً متألماً بسبب هذه الحادثة العظيمة، لأهداف ترتبط ببناء شخصياتنا على حب الحسين وآل البيت عليهم السلام.

انظروا إلى الآيات والروايات التي تتحدث عن خشية الله، وعن

البكاء مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[(١)]، وقال أيضاً: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[(٢)].

قال رسول الله ﷺ: «سبعة في ظل عرش الله عزَّ وجل يوم القيامة يوم لا ظل إلاَّ ظله: . . . ورجل ذكر الله عزَّ وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله»[(٣)].

وعنه ﷺ: «من خرج من عينيه مثل الذباب من الدمع من خشية الله آمنه الله به يوم الفزع الأكبر»[(٤)].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة»[(٥)].

وقال أيضاً عليه السلام: «البكاء من خشية الله ينير القلب، ويعصم من معاودة الذنب»[(٦)].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله»[(٧)].

إن خشية الله تتطلب منّا أن نعيش الإيمان، والإيمان يتطلب منّا

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.
(٣) الصدوق، الخصال، ص: ٣٤٣.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٠، ص: ٣٣٦.
(٥) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١١، ص: ٢٤٥.
(٦) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص: ٢٨٤.
(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧، ص: ١٩٥.

أن نعيش قضاياه ومسائله ومنها ما جرى مع الإمام الحسين عليه السلام. إننا عندما نبكي الإمام الحسين عليه السلام، إنما نبكي على حال المسلمين الذين تركوا الإمام المعصوم وساروا مع الانحراف فقتلوه وخسروا دنياهم وآخرتهم، في الوقت الذي كان يجب عليهم أن يكونوا مع الإمام الحسين عليه السلام. نحن نتأثر ونبكي مما جرى قربة الى الله تعالى، وتأسياً بالإمام الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في مجال إظهار أهمية البكاء على الحسين ودرجة الأجر العظيمة: «مَن ذرفت عيناه على مصاب الحسين عليه السلام ولو مثل جناح بعوضة غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[1]. وهذه النتيجة ليست معزولة بالطبع عن الصلاح والاستقامة، لأنها تندرج في دائرة السير في سبيل الله تعالى. إننا نبكي من أجل أن نصعِّد من روحيتنا في عشق الشهادة، ونرتبط بعمل يؤدي إلى إصلاح هذه الأمة الإسلامية، هذا هو العنوان للتصعيد العاطفي.

انظروا كيف نركز في الدعاء على البكاء مع أننا نستطيع قراءة الدعاء من دون بكاء، لماذا البكاء أثناء قراءة الدعاء مع الله تعالى؟ من أجل الاعتراف أننا ضعفاء وأننا محتاجون، وأننا نريد مدد الله تعالى، من أجل أن نغسل بالدعاء بعض خطايانا بالتوبة، من أجل أن يعزز الدعاء والبكاء حالتنا الروحية لنتغلب على جسدنا ومتطلباتنا ونعيش حالة من الخشوع لا يمكن أن تحصل إلا في جو خاص يساعد البكاء في إيجاده. لذلك نبكي عندما نتذكر الآخرة، ونبكي عندما نتذكر معاصينا راجين الله تعالى أن يأخذ بأيدينا، نبكي لنُشعر أنفسنا بأننا

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٢٩٣.

ضعفاء ونقول لرب العالمين بأننا سلّمنا له بالكامل وعبَّرنا عن الضعف بالبكاء ليتقبلنا. فالبكاء وإثارة المشاعر أمران تربويان يؤثران في بناء شخصية الإنسان .

عندما نحيي عاشوراء بهذه الروحية، ونبكي في عاشوراء إنما نبكي من أجل الإسلام، من أجل أن نكون مع هذا الخط، من أجل استدرار رحمة الله، لكننا نخرج من عاشوراء أبطالاً شجعاناً نواجه أعداء الله تعالى، لنطبق ما قاله رب العالمين: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1] فالشدة مع البكاء لا يجتمعان إلا عند المؤمن، لأنه يبكي لله فيأخذ منه القوة التي تجعله شديداً على الكافرين، إنه يخرج من البكاء فاعلاً مؤثراً لتتأجج هذه العاطفة في التحريك والتغيير في المجتمع. هكذا نفهم البكاء وهكذا نفهم التصعيد العاطفي .

لن أتحدث فقط عن أهل بيت رسول الله ﷺ، وعن الصحابة وأصحاب الحسين عليه السلام، فربما تصور البعض أنهم أشخاص مميزون لا نستطيع اللحاق بهم، لكن سأتحدث عن الحاضر الذي تعلم من مدرستهم وتعلم من روحيتهم، فشبابنا في المقاومة الإسلامية كانوا يسجدون ويبكون ويتفاعلون مع مجالس العزاء، فإذا رأيتم الواحد منهم فإنكم ترون دموعه تنهمر في سبيل الله، وهو نفسه الذي يقف في مواجهة أعداء الله تعالى ليقاتلهم بكل جرأة وشجاعة، فيتحول بكاء قيام الليل، وبكاء مجالس العزاء الى عزيمة يعيش معها العشق لله تعالى، ليقبل على الموت وعلى السعادة الأبدية التي لا يمكن أن

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

يحصل عليها إلا في هذا الطريق، وهذا يؤكد أن التصعيد العاطفي هنا ليس تصعيداً منكراً، إنَّه تصعيد تعبوي ومعنوي ومؤثر.

لا نريد المقارنة ببعض مجالس العزاء التي تقام في بعض البيوت أو الحسينيات وفي بعض الأزمنة، والتي تكون ضعيفة بسبب شخصية القارئ أو طريقة الأداء أو بعض الشرح، أو التي لا تفسح في المجال أمام الواعين والمطلعين والقادرين على أن يبلغوا هذه الرسالة الحسينية بصفائها، فالقاعدة الأساس هي حاجتنا للعاطفة المحركة لمجتمعنا، مع ضرورة السعي لسد الثغرات الأخرى. من قال بأن تفعيل العاطفة لا ضرورة له، نسأله لماذا يتعاطى رب العالمين بطريقة عاطفية معنا؟ إنَّه يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3] أليس الحب الإلهي تعبيراً عن عاطفة يريد أن يبثها الله تعالى إلينا ليشعرنا بأن علاقة ما يجب أن تنشأ بيننا وبينه، فالأمر لا يقتصر على الالتزام بأمر أطلقه الخالق للعبد، إنه يريد أن يوصلنا الى حب نعيش معه الطاعة لله تعالى، لا لأنه السيد ونحن العبيد! بل لأنه الأجدر بالحب والطاعة، ونحن نُنفِّذ أوامره ونُطيعه بتفاعل ممزوج بالحب، لنرقى بعبادتنا إلى عبادة الأحرار لا أن نقتصر على عبادة الخائفين أو الراغبين، إنها عبادة المحبين لله تعالى وهذه أرقى أنواع العبادات التي يمكن أن يعيشها الإنسان. يقول الرسول ﷺ بلسان القرآن: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤.
(٣) سورة الصف، الآية: ٤.

﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)]، لاحظوا الربط بين الحالة العاطفية في الحب والالتزام بالخط الإسلامي الصحيح، حيث يتجسد حب الله تعالى باتباع أوامر الرسول ﷺ التي جاء بها عبر القرآن الكريم، أو باتباع الأحاديث الشريفة أو الأفعال التي قام بها، وهذا أكبر تأكيد على أهمية العاطفة وعلى ضرورة أن تكون المشاعر موجودة لتكتمل صورة الحياة المستقيمة، وليكون الاستعداد قائماً عندنا على أعلى المستويات، حتى نستقيم و نتخلى عن الملذات ونعود إلى طاعة الله .

نحن نريد عقلاً ونؤمن بالعقل والإسلام دين العقل ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[(٢)]، والكل يعلم أننا لا نستطيع الإيمان بالعقيدة الإسلامية إلا عن طريق العقل، فالإيمان بالتوحيد والنبوة والإمامة والمعاد والعدل يجب أن يكون إيمانا عقلياً عن قناعة، وليس عن وراثة عادية دون فهم وإدراك، لأن الله تعالى يريدنا أن نفهم طريقه، ويريدنا أن نتعلم ونتعرف وفق أسس وأدلة، حتى نكون متمسكين بهذا الدين عن طريق الالتزام الواعي، وليس عن طريق التقليد الأعمى الذي يرد كل شيء الى التقاليد والأعراف والى وراثة الآباء والأجداد. لكن يجب أن لا ننسى العاطفة مع العقل والتوازن بين الاثنين، فالإسلام دين العقل، والإسلام دين العاطفة والمشاعر، والذي يأخذ من الإسلام عقلاً دون عاطفة يُسقط قسماً من الإسلام ويهز تعاليمه، والذي يأخذ عاطفة دون عقل يُسقط قسماً من الإسلام ويهز مفاهيمه، نحن نريد إسلاما متكاملاً فيه العقل وفيه العاطفة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) سورة النمل، الآية: ٦٤.

فيه الوعي وفيه التفاعل النفسي، فيه تحريك لقدرة الإنسان على استشراف الضوابط، وفيه تحريك لقلب الإنسان حتى يعيش المشاعر، فيه الضوابط التي تضع أمامنا الأدلة والإثباتات، وفيه الإيمان بالغيبيات التي نؤمن بها ونلتزم بها .

هذا الأمر هو الذي يربينا على طريق الاستقامة، وهو الذي يساعدنا في أن نكون متوازنين في كيفية فهمنا وتفاعلنا، هكذا تعلمنا من الثورة الحسينية. عرض إمامنا أهداف ثورته قائلاً: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي ﷺ وأبي علي عليه السلام»[1]، وبيّن موقفه من الحاكم بقوله: «يزيد رجل فاسق شارب للخمر قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله»[2]. فهو لا يمكنه أن يبايع الحاكم الظالم، وقد وضّح أسباب موقفه بكشف أعمال يزيد المترافقة مع أحداث القتل والإيذاء ومنع الماء، وسبي النساء، التي يجب أن نعيشها في تأثيرها العاطفي بكل ما للكلمة من معنى من أجل أن نتعبأ، عندها تكتمل الصورة بين العقل والعاطفة. لذلك أقول لكم عندما تجدون الأطفال راغبين بلبس السواد فألبسوهم السواد بل دربوهم على لبس السواد للتعبير عن الحزن، وعندما تجدونهم يدخلون إلى المجالس ويبكون متأثرين فدعوهم يبكون. البعض يقول: لكن الطفل لا يفهم شيئاً مما يسمع! أقول لهم: فليفهم شيئاً واحداً من كل الذي حصل، إنه يبكي على الإمام الحسين عليه السلام، فمع التكرار ومن سنة إلى سنة، يصبح هذا

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص: ٣٢٩.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٠.

الطفل عاشقاً للإمام الحسين عليه السلام قبل أن يفهم شيئاً عنه وعن ثورته، إنها خطوة تربوية مهمة، فليعش الحالة العاطفية فليعشِ المشاعر ثم ساعدوه ليفهم تدريجياً .

كيف يحبك ولدكِ؟ ليس لأنك دكتورة أو مثقفة أو صاحبة مركز اجتماعي، بل لأنك أمه التي أرضعته وملأت حياته الخ. . ليس من الضروري أن تكوني مقنعة بالنسبة له لأنك أمه. نحن نريد أن نربي أولادنا وأطفالنا على أن يكون الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيت الحسين عليهم السلام قادة بالنسبة لهم يحبونهم ويتعلقون بهم، وبعد ذلك نعلمهم ونثقفهم ونقرأ لهم السيرة ونشرح لهم التفاصيل، ولكن دعوهم يبكون، ودعوهم يحبون الإمام الحسين عليه السلام ويتعلقون به، فهذا جزء لا يتجزأ من عملية التربية التي يجب أن نقوم بها من أجل أن نبني على أهداف هذه الثورة، ومن أجل أن نبني على هذا الخط المستقيم وأن نستحضر ثورة الإمام الحسين عليه السلام في حياتنا، وإلا كيف يمكن أن نبني إنساناً محباً لله تعالى، إذا أردنا أن نعيش العقلانية الكاملة المجردة في كل شيء؟! لا يمكننا أن نبني من دون عاطفة .

إن أهم أسباب الدعوة الى جعل المجالس العاشورائية عشرة أيام والبعض يمددها الى ثلاثة عشر يوماً والبعض الى الأربعين، هو أن تكون الفترة كافية لإحداث التفاعل النفسي والعاطفي عند الإنسان، فلا تمر الذكرى في احتفال يوم سرعان ما ينتهي، ثم بعد ذلك لا يتذكر الإنسان منه شيئاً، ولكن في عشرة أيام يتحقق التفاعل النفسي والعاطفي، وتتهيأ ظروف المعرفة أيضاً .

العاطفة الموجهة باتجاه أهل البيت عليهم السلام، هي عاطفة موجهة باتجاه

الاستقامة، والطاعة لله تعالى والجهاد والأخلاق والعطاء والارتباط بالخط، إذاً هي عاطفة مشكورة وعظيمة. وما هي المشكلة بوجود هذا الحب والتعلق بهذا المنهج الإسلامي العظيم، فمن دون حب لا يمكن أن ننشئ شيئاً. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فالربط الموجود في هذه المحبة بين هؤلاء المؤمنين وبين الله تعالى هي عاطفة متأججة، وحب كبير ينتج «أذلة على المؤمنين» أي تواضعاً مع المؤمنين، «وأعزة على الكافرين» من موقع القوة والشدة، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. إذا لاحظوا العاطفة التي يريدها الله تعالى، يريدها موجهة تنعكس ذلة مع المؤمنين وعزة مع الكافرين، وجهاداً في سبيل الله تعالى وعدم الخوف من لوم أي لائم، إنَّها نتائج العاطفة التي يريدها الله تعالى، والمنعكسة من الإيمان، وإلاَّ فالبديل هو استبدال القوم بآخرين .

العاطفة التي تنطلق من الإنسان وتكون منسجمة مع أهوائه ومع أمور يريدها وإن كانت في معصية الله، هي عاطفة مستنكرة ومذمومة، أما العاطفة الموجهة في الإسلام فهي التي تنسجم مع فطرة الإنسان وتوجهه بالاتجاه الأفضل. إذاً نحن نعيش المأساة مع الحسين عليه السلام، نعيش الحزن والبكاء ولا نبقى حيث نحن، بل ننطلق من بكائنا الى العمل، ومن حزننا الى القوة، ومن جلوسنا ونحن نستمع الى المجالس العاشورائية الى خوض الحياة بقوة الإسلام من أجل أن نغير الواقع القائم. نحن لا نبكي لنرفع العتب عنّا، أو نقول للإمام الحسين عليه السلام بكيناك فنحن معذورون،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

نحن نبكي لنحمِّل أنفسنا مسؤولية جديدة، حتى نتمكن من صنع مستقبل زاهر لمصلحة هذا الخط. من هنا تكون عاطفتنا جزءاً لا يتجزأ من تربيتنا، فعاطفتنا مرتبطة بعقلانيتنا من أجل منهج الإسلام الحق، والإسلام كلٌّ متكامل لا يمكن أن نأخذ جزءاً منه ونترك الأجزاء الأخرى.

إحدى مشاكل المسلمين أنهم يأخذون جزءاً من الإسلام ويتركون الأجزاء الأخرى، فمنهم من أهتم بالعبادات وترك كل شيء، ومنهم من أهتم بالسياسة وترك كل شيء، ومنهم من أهتم بالعاطفة وترك العقلانية، ومنهم من أهتم بالعقل وترك العاطفة، لذلك واجهنا نماذج مختلفة، لكنها لا تعبر عن المضمون الإسلامي الدقيق والصحيح. أما الترابط بين هذه الأمور عقلاً وعاطفة، عبادة ومعاملات، سياسة وجهاداً، أخلاقاً وعلماً وإطلاعاً، فهو الذي يحقق الطريقة المتوازنة، ثم نلتزم ضمن الضوابط التي أمرنا بها الله عزَّ وجل، كما هو الدين الكامل حتى نتمكن من تحقيق الأهـــداف ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾(١).

لقد عاش شبابنا حالة روحية متقدمة، حيث كان الواحد منهم يعيش عشق الحسين عليه السلام، ويتمنى اللحظة التي يكون فيها شهيداً في سبيل الله، فإذا قلت له اصبر قليلاً فأنت في طور الشباب، واجهك بالقول: أريد أن أذهب شاباً إلى الله تعالى دون أن أبتلي بالمعاصي، فهو عاشق للشهادة يريد الله تعالى. وعندما اندحرت إسرائيل من لبنان، بكى بعض الشباب، لكن ليس فرحاً باندحار إسرائيل، فسألناهم لماذا تبكون؟قالوا: لقد قلَّت بالنسبة لنا فرص الشهادة، فنحن نبكي لأننا خسرنا فرصة من فرص

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

الشهادة في سبيل الله تعالى. كيف يمكن أن يتمكن أعداء الله تعالى من أن يتغلبوا على هذه الروحية؟ إنها عاطفة جياشة صنعت نصراً، صنعت نموذجاً راقياً وعطاءً فريداً من نوعه في طاعة الله تعالى .

نحن ندعو الى إحياء عاشوراء القلب، وعاشوراء العاطفة، وعاشوراء البكاء، بروحية القلب الذي يتوجه لطاعة الله تعالى، فيكون مقداماً مستفيداً من تجربة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، مع زينب عليها السلام ومع الزهراء عليها السلام، ومع هذه الثلة الطاهرة التي ربتنا وعلمتنا كيف نصنع عزاً وفخراً للإسلام(*).

(*) ألقيت المحاضرة في المدرسة المحسنية ـ دمشق ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المحاضرة الخامسة

كربلاء والنصر

كربلاء والنصر عنوانان متلازمان، وهما يوحيان للوهلة الأولى بالتباين، لأن كربلاء هي الشهادة، والنصر هو التفوق العسكري المباشر على الأعداء، والربط بينهما يحتاج إلى دقّة توصلنا إلى حقيقة هذين المفهومين المترابطين. فكربلاء شهادة، وهذا أمر واضح لا لبس فيه، وهذه الشهادة تحمل أرقى معاني الإنسانية، لأنها تعبير عن فناء الذات في خالقها، فلا يمكن أن يصل المرء إلى درجة التضحية بالنفس دون سؤال أو تردد أو ريبة أو خشية، إلا إذا وصلت صلته بالله تعالى إلى أرقى المستويات، بحيث ينسى نفسه مع الله جل وعلا. وفي كربلاء شاركت النخبة من المؤمنين المجاهدين والمؤمنات المجاهدات، فلكل واحد من المشاركين قصة وموقف، وقد كانت المشاركة متنوعة لمختلف شرائح الأمة، من الطفل إلى الشاب إلى الشيخ إلى المرأة إلى القائد، كلهم كانوا في كربلاء كتعبير مباشر عن أن الشهادة بمعناها الأرقى يمكن أن تلامس قائد المسيرة، كما يمكن أن تلامس كل فرد من الأفراد الذين ارتقوا في ايمانهم إلى درجة واكبوا فيها بشهادتهم شهادة المعصوم في كربلاء، وهذا يضعنا أمام الشهادة التي تكون برسم الأمة بكل أفرادها، ولا يضعنا أمام شهادة مقتصرة على إمام معصوم أو مقتصرة على شريحة خاصة دون الشرائح

الأخرى. كربلاء هذه هي التي أسست، وهي التي بنت، وهي التي علمتنا الكثير، مما انعكس فيما بعد على واقع الأمة الإسلامية، وعلى مفاهيمها وأفكارها. فالإمام الحسين عليه السلام كفرد انتصر في كربلاء، وحبيب بن مظاهر كفرد أنتصر في كر بلاء، ولكن الجماعة لم تنتصر عسكرياً، إلا أنها حققت انتصارات بمعنى آخر، سنتعرض لها. ولكن كيف انتصر الفرد في كربلاء؟ كيف انتصر الإمام الحسين كفرد في كربلاء؟ وكيف انتصر حبيب بن مظاهر كفرد؟ وكيف انتصر علي الأكبر في كربلاء؟ يمكننا أن نتلمس هذا النصر من خلال معان ثلاث:

أولاً: انتصر الفرد بشهادته التي أوصلته إلى جنان الخلد والى رضوان الله تعالى، وكل واحد منا يسعى كي يتقبله الله تعالى، فيعمل لتحقيق رضوانه. إنَّ شهادة الحسين عليه السلام، وشهادة من معه أوصلتهم إلى رضوان الله تعالى وجنته، فهم فازوا كأفراد، وغادروا الحياة الدنيا مأجورين مشكورين، ووصلوا إلى الرفيق الأعلى في أعلى مقامات الجنة وفي أرقى مستوياتها التي خصصت للأنبياء والأئمة والشهداء، هذا النصر قد تحقق، وقد عبّر الله تعالى عن هذا المعنى من معاني النصر بقوله تعالى في القرآن الكريم ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ فاعُتبرت الشهادة توأماً في الحسنى للنصر، وهذا يؤكد أن الانتصار على مستوى الفرد قد تحقق وهو توأم النصر على مستوى الأمة، وهو إحدى الحسنيين ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[1]، أمّا الطرف الآخر فهو خاسر على

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

كل حال، إما في الدنيا بالهزيمة، وإما في الآخرة بجهنم. وأما الطرف الأول فهو رابح على كل حال، إما بالنصر المادي المباشر، وإما بالشهادة التي تدخله إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

ثانياً: ملامسة الإمام الحسين عليه السلام لمفهوم الأجل بالمعنى الإسلامي فموت الإنسان يكون في وقته المحدد، أياً كانت ظروف هذا الأجل، ألم يقل تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1] ففهم الإمام عليه السلام يختلف عمّا كان البعض ينصحه به فهو ذاهب إلى أجله بطريق اختاره لتنتهي حياته بنموذج مميز، دون أن تقدم الشهادة وقت الأجل ودون أن يؤخر غيرها وقت الأجل، وهذا المفهوم هو نصر حقيقي. فانتصار الإمام عليه السلام هو انتصار بالإقدام على الأجل دون أن يعيقه شيء، ودون أن يغير من مساره أي شيء، مهما كانت الظروف صعبة، ومهما كانت الظروف معقدة .

ثالثاً: انتصار المبدأ، لأنه بموقفه عليه السلام نصر الإسلام، وبموقفه ثبت مَعْلماً تاريخياً بقي مضيئاً لكل الأجيال التي أتت من بعده، وحفظ بذلك مضمون الإسلام المحمدي الأصيل، الذي لولا هذه الشهادة لما حفظ بهذه الطريقة التي وصلت إلينا، وهذا يفسر لنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله «حسين مني وأنا من حسين»، لأن الاستمرارية إنما حصلت بهذه الشهادة، وبهذه التضحية وبهذا العطاء، ومن ذاك الوقت أصبح الأمر واضحاً بأن الإمام الحسين عليه السلام إنما قتل في كربلاء

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

للإصلاح في أمة محمدﷺ، «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي» .

بهذا يكون الإمام الحسينعليه السلام قد انتصر على المستوى الفردي، سواء كان الأمر بشهادته أو بالأجل أو بنصرة المبدأ، لكن لم يحصل انتصار على المستوى العسكري، فالانتصار العسكري له مقومات لا بدَّ أن تتوفر قبل أن يأتي دعم الله وتسديده للجماعة. يمكن للفرد أن ينتصر حتى ولو تخلفت الجماعة، ولكن الجماعة لا يمكنها أن تنتصر إذا تخلف عدد من أفرادها وسببوا بتخلفهم نقصاً في العدد والعدّة التي يجب إعدادها، والتي تكون سبباً لدعم وتسديد وتأييد الله تعالى. وهنا لا يتحمل كل فرد مسؤولية الجماعة، ولكن كل واحد من الجماعة يتحمل مسؤوليته كفرد إذا لم يقم بواجبه في الانتصار، وعلى أقل تقدير من خلال سعيه كفرد، وبناءً لتكليفه الشرعي في إطار هذه العناوين الحسينية الثلاثة، ولو لم يتمكن من الانتصار في دائرة الجماعة (على أساس التفاصيل التي سوف نذكرها). نحن في كربلاء أمام انتصار حسيني فردي لكل واحد من أنصار الإمام الحسينعليه السلام بكل المعاني دون شك ولا ريب، ويبقى الحديث عن انتصار الأمة .

هذا العمل في كربلاء أسس في الواقع لانتصار الأمة، صحيح أنه لم يحصل انتصار عسكري مباشر، لكن هناك تأسيس لقواعد تساعد الأمة على انتصارها، وهي خمسة:

القاعدة الأولى: تعبئة الأمة على أقصى روحية في العطاء، بحيث تبدأ بالبحث عن أقصى الشهادة قبل أن تتدرج في عطاءاتها، حتى لا تبقى خائفة وجلة أو مترددة بالشهادة القصوى، بمعنًى آخر: ثورة كربلاء

عبأت باتجاه الاستشهاد ولم تعبئ باتجاه النصر، ولو كانت ساحتنا معبأة باتجاه النصر فقط فمن الصعب أن تنتصر، ولكن عندما تُعبأ الساحة باتجاه الشهادة، وتبغي حلماً عظيماً وتسديداً إلهياً في أن تحصل على شهادتها، عندها وفي أثناء السعي للقيام بالواجب، قد يحصل الناس على شهادتهم وقد يحصلون على نصر الله تعالى، أما الإنسان الذي يتوقع المكافأة ولا يتوقع البلاء يفشل ويقع في عقبات وعثرات أثناء الطريق. لاحظوا كيفية التربية الإسلامية على النصر، فهو غير مؤكد ويرتبط بمقدمات إذا توفرت توفر النصر، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]، ولكن كيف ننصر الله؟ هنا ندخل في تفاصيل مسؤوليتنا مع كل ما يحيط بها من تضحيات، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾[2]، هذا يعني إما الشهادة وإما النصر، فإذا كان الإنسان متأملاً بالنصر دون أن يتوقع تقديماً وتضحية وشهادة واقداماً، فهو يعمل لفوز دنيوي مباشر، بينما عليه أن يعمل لفوز أخروي يؤدي عادة إلى فوز دنيوي في أغلب الحالات، ولكن إذا لم تساعد الظروف فالفوز الأخروي مضمون، أما الفوز الدنيوي فهو غير مضمون. هذه الروحية نشرتها كربلاء في الأمة، وعبأت باتجاه الإيمان بالبذل إلى أقصى درجات العطاء.

ليست الإمكانات المادية سبباً لنصر المقاومة الإسلامية في لبنان، فالكل يعلم أنها أضعف بكثير من إمكانات العدو الإسرائيلي، ولا يتصورنَّ أحد أن الظروف السياسية هي التي سببت النصر، فالظروف

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

كانت معقدة في مواجهة المؤمنين، ولكن الإسرائيليين لم يتحملوا موقفاً بطولياً أسقط سلاحهم، واسقط قدرتهم على الفتك، فهم يستخدمون أسلحتهم وتفوقهم العسكري ليقتلوا ويخيفوا بالموت، لكنَّ الذين يواجهونهم يبحثون عن الموت، فالإخافة بالقتل لا تنفع مع محبي الشهادة، ما حوَّل سلاح العدو إلى وسيلة غير فعَّالة، وفاقدة لقدرتها على تحقيق الهدف، وهذا ما أسقط قدرة العدو على المواجهة، ليجد نفسه أمام جماعة ملكت كل أسباب القوة المعنوية والروحية، وكل مقومات البقاء في الدنيا أعزاء أو العبور إلى الآخرة شهداء، عندها وقف العدو مذعوراً مدهوشاً، ورأى أن الهرب من المعركة أيسر الخيارات، وأفضل السبل، ففرّ سريعاً لأنه عجز عن المواجهة، بل عجز عن فهم ما يواجه، وأقول لكم بأنه سيبقى عاجزاً عن فهم ما يواجه .

القاعدة الثانية: كسر هيبة الظالم والفاسد سواء أكان حاكماً متغطرساً يحكم المسلمين أو عدواً يواجههم، كائناً من كان هذا الظالم في موقعه. فالواقع الذي عاشه المسلمون آنذاك هو واقع الاستسلام للحاكم والخوف منه والخضوع له، سواء برَّروا هذا الأمر بتبريرات شرعية معتبرين أن طاعة أولي الأمر الذين هم الحكام مؤمنين كانوا أو ظلمة، هي واجبة بحسب فهمهم وتحليلاتهم فيكونوا بذلك قد عذَّروا أنفسهم ليلتحقوا بيزيد، أو كان السبب هو دنيا فانية أو مصالح آنية ارتضوها لأنفسهم، فهؤلاء كانوا خائفين أو مستسلمين أو معينين للحاكم الظالم. أتى الإمام الحسين عليه السلام ليسقط هيبة الحاكم الظالم، وليكشف للأمة حقيقته وحقيقة قدرته، وأنَّه يمكن إسقاط هذا الحاكم وكشف زيفه. لا يوجد حاكم مقدس، إنما القداسة تأتي من العمل

والصلاح، ولا تأتي من المنصب، فمن ادّعى أنه خليفة الله على الأرض باسم الإسلام فهو ادعاء باطل، لأن الخلافة لا تمنح للفاسدين المفسدين، وعليه يجب إسقاط الظالم وإسقاط مشروعيته، وهي مسؤولية شرعية وليس عملاً طوعياً، فقد خطب الإمام الحسين عليه السلام في جماعة الحر الرياحي عندما وصل إلى «البيضة» مبيناً تكليفهم: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله»[١]. إن هذه التربية تساعد الأمة في أن لا تستسلم لأي ظالم يتسلط عليها في المستقبل، وهذه قاعدة من قواعد الانتصار على الباطل في أي زمن.

القاعدة الثالثة: مسؤولية الأمة في إعداد العدّة، لأن النصر يحتاج إلى مقومات، ولو كانت العدّة كافية في كربلاء لحصل انتصار عسكري أيضاً، ولكن العدة لم تكن كافية بسبب انحراف أهل الكوفة ومن معهم، وتراجع المناصرين، وبسبب هؤلاء الذين لم يأخذوا موقفاً شرعياً من يزيد، وكانوا مع خطه وسيرته. فإذا أرادت الأمة أن تنتصر عليها أن تعد العدة، وعليها أن توفر المقومات، ولكن أي عدة تعد، هل تعد عدة تتشابه مع عدة الخصم؟ أو تعد غدة أقل من عدة الخصم؟ لم يحدد رب العالمين لنا شكل العدة، قال ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٢] الأمر الذي جميع المسلمين أمام المسؤولية الشرعية، لأنه لو

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٣٠٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

قال لهم اعدوا عدة كعدتهم حينها سيكون الكل معذورين لأنهم يحتاجون إلى وقت طويل لإعداد عدة العدو وقد لا يتمكنون أو لا يمكنهم العدو من ذلك، وأما ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ فكل واحد عنده استطاعة معينة ويجب أن يعد العدة بمقدار استطاعته، أي أن كل واحد من المسلمين مسؤول في أن يعد بمقدار استطاعته، ليحقق مساهمة تساعد في صنع نصر الأمة، عندما تجتمع المساهمات مع بعضها البعض، لا أن ينتظر الآخرين حتى يهيئوا مساهماتهم. فإعدادك للعدة قبل غيرك مسؤولية، وعلى كل واحد أن يفتش عن مسؤوليته حتى تتظافر الجهود، فإذا سارت الأمة بأكملها لإعداد العدة، توفرت شروط النصر بسرعة، وتوفرت المقومات التي تساعد كي يقوم كل واحد منا بدوره فيتحقق الانتصار على أعداء الله تعالى.

ولتأكيد هذا الموقف نرى أن الرسول ﷺ عندما تحدث عن نصرة الأمة قال: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، وبدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم»[1] وللوهلة الأولى يتساءل الإنسان المهزوم: إن الأمة تنتصر بالقوة إذا واجهت أعداء الله تعالى فكيف تنتصر بضعيفها؟ وهل يمكن للضعيف أن يعطي إمكانية للنصر على مستوى الأمة؟ الهدف الأساس أن لا يبقى أي فرد دون مشاركة في صنع النصر ودون حمل همومها، فلو قدم هذا الضعيف دعاء، فإن الدعاء يعبئه كجزء لا يتجزأ من العمل لتحقيق النصر، فتكون كل الأمة مشاركة في عملها وفي جهادها، فكما يكون السلاح عاملاً من عوامل القوة، يكون دعاء الضعيف واخلاصه هو عامل من عوامل القوة، حتى لا تستهتر الأمة بأي فرد من أفرادها، أو تعتبر أنها

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج٢، ص: ٢٣٧.

مثقلة بطاقة من الطاقات الموجودة فيها، لتكون بأجمعها متجهة إلى ساحة المواجهة، هذا بسلاحه، وذاك بتربيته، وثالث بدعائه، والرابع بسجوده، والخامس بانتظار أن يكبر حتى يكون مساهماً ومشاركاً، وعندما يرى الله تعالى إخلاص الأمة، وتقديمها بما تستطيع ينصرها بإذنه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). لقد كانت كربلاء مدرسة في استثمار كل الطاقات، سواء في الدائرة العسكرية بقتال الحسين عليه السلام وأصحابه، أو في الدائرة العاطفية بمقتل الطفل الرضيع وما تركه من آثار في إسقاط نموذج جماعة يزيد، أو في الدائرة الإعلامية التعبوية وما قامت به السيدة زينب عليها السلام في مسار السبايا وخطبها وتبيانها لأهداف الثورة.

القاعدة الرابعة: في تحمل عقبات النصر وامتحاناته وبلاءاته قبل أن يحصل، لأن الله يريد أن يختبر المستحقين للنصر بأعمالهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(٢)، إذاً الصبر وتحمل الأذية التي يواجهها المسلمون خطوة على طريق النصر، وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣) فهناك صبر ومرابطة، وبعد أن تصبروا وترابطوا وتتحملوا لعّلكم تفلحون، ولا أحد يضمنها مئة بالمئة، فقد يكون التقديم من الناس دون المستوى المطلوب فلا يتحقق النصر الإلهي للأمة، فالبلاءات والصعوبات والأزمات التي يمر بها المؤمنون هي من المقدمات الطبيعية للاختبار والامتحان حتى يحصل نصر الأمة، فالأمة

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

لا يمكن أن تنتصر من دون هذه المقدمات، وقد رأينا كيف انتصر المؤمنون في إيران الإسلام بعد أن دفعوا الكثير من الشهداء، وبعد أن تحملوا الكثير من المعاناة، وقادهم فاتح الإسلام في القرن العشرين الإمام الخميني(قده) إلى فلاحهم ونجاحهم بعد أن تحملوا العقبات والصعوبات، وكانوا مؤهلين ليتحقق على يديه حلم الأنبياء، كما قال الشهيد الصدر (رضوان الله عليه)، وهذا أمر له علاقة بوجوب أن تقدم الأمة ما عليها. ومع كل مأساة كربلاء فالإمام الخميني(قده) يقول: «كل ما عندنا من عاشوراء «أي أن هذا الانتصار الذي نراه على مستوى الأمة هو من بركة التعبئة والتربية والعطاءات والتضحيات التي حصلت على قاعدة كربلاء وعلى قاعدة عاشوراء. وقد تحقق نصرنا في لبنان أيضاً بفعل هذه الروحية، لكن تذكروا تماماً عدد الشهداء ١٢٨١شهيداً وعدد الجرحى والأسرى والمعاناة، وكانت تمر بعض الحروب التي كان يشعر الكثير من الناس أنها آخر المطاف،بحيث لا يبقى شخص أو جماعة على هذه الأرض، ثم ينقذ الله تعالى ويوفق وينصر بتسديد منه، لمعرفته ورقابته أن بين هؤلاء من أخلص لله تعالى، وأن مقدار ما قدّموه يؤهلهم لينصرهم الله، فنصرهم الله نصراً عزيزاً.

كربلاء نعيشها حياة ولا نعيشها موتاً، فكربلاء حية بدليل أنه بعد ١٣٦١ سنة لا زالت تعرض بيننا وكأنها حصلت بالأمس، وهي في الوقت نفسه تمتلك من الحيوية ما يساعد في التربية والتعبئة المستديمة، ليكون ما حصل في سنة ٦١هـ مقدمة تتصل برسول الله ﷺ للتواصل عبر التاريخ مع هذا المنهج الذي يحمله المؤمنون، فيتراكم عدد المناصرين وتصبح الأمة مؤهلة لتكون بمجموعها قد وفرت شروطاً للمهدي المنتظر(عج) حتى يخرج بعد انتظارنا له، وكما ننتظره فهو ينتظرنا، إننا بأعمالنا نكون

قد هيأنا القاعدة لنقل كربلاء النصر إلى مقدمات جند الإمام المهدي (عج) ليتحقق النصر الأكبر ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[١].

نحن واثقون أن النصر الإلهي يلاحقنا ويتحقق في كل موقع من مواقعنا، ولكن المهم أن نعرف كيف نقدم على مستوى الأمة لا على مستوى الأفراد فقط، إذ عندما نقدم على مستوى الأفراد نساهم في صنع النصر المستقبلي للأمة، ولكن عندما نقدم كجماعة وكأمة نصنع نصراً حالياً ونهيئ لانتصارات جديدة، وهذا يحملنا مسؤولية متابعة هذا الخط بكل جرأة، ولا حاجة لأن نستعجل الأمور. إنَّ الذين تعبوا هم أولئك الذي ظنوا أننا نسير لهدف محدد ثم نتوقف عنده، لكن نقول لهم: إن هدفنا لا يتحقق الا بعد أن نولي من هذه الدنيا، لأن هدفنا إقامة الحق، والحق في صراع دائم مع الباطل والباطل موجود ما دامت الحياة، وهو يتطلب استمراراً في المواجهة، فلنقلع عن التفكير المحدود الذي ينحصر بمزرعة أو قرية أو قطعة أرض أو كسب رخيص أو حياة هانئة دنيوية. . هذا تفكير بسيط جداً ومحدود جداً. . علينا أن نفكر كيف ننصر الإنسان والإنسانية، هذه النصرة لا تكون إلاَّ بدَكِّ الباطل حتى يسقط، إنها مهمة عظيمة وجليلة، تتطلب منا عطاءات كثيرة. إن الاستكبار والانحراف الثقافي والسياسي واغتصاب الأرض وغيرها عناوين الظلم والفساد والعدوان، وعندما ننتهي من كل الظلم والعدوان على هذه الأرض نتحدث إذا كان بالإمكان الاستراحة أم لا. إن علينا أن نستمر بانتظار الإمام المهدي (عج) ليملأ الأرض قسطاً

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

وعدلاً، ويريحنا من كل البلاءات التي نواجهها في حياتنا اليومية، ولكن الآن لا يوجد استراحة ولا يمكن ذلك، وإذا أردنا أن نستريح لن يدعنا الخصم نتوقف، فالأجدر بنا أن نبادر، فالفرق كبير بين مدافع عن نفسه اضطر للدفاع بغتة، وبين مقبل على الشهادة قام بردّة فعل احتياطية وأقبل على الموت دون خوف وكان جاهزاً للدفاع ويقوم بواجبه للتحرير.

الشهادة الحسينية هي شهادة المبادرة في صنع مستقبل الأمة، وليست شهادة الضرورة التي يئست من الواقع ووقفت أمامه جامدة، شهادة الإمام الحسين عليه السلام هي عمل هادف يؤسس لمستقبل الأمة بكل المعاني، ويجب أن نفكر كيف نؤسس دائماً لمستقبلنا ونكون في مورد المخطط للفعل لا في مواقع ردَّات الفعل. وعندما نقول للناس نحن متأملون بأن تنتصر الانتفاضة في فلسطين ولو بعد حين، فلأننا نعلم أن الانتفاضة عندما تستخدم نمط سلاح المقاومة الإسلامية نفسه وهو الاستشهاد في مقابل أعداء الله، فإنها ستزلزل الأرض تحت أقدام الصهاينة، وهؤلاء لن يمكثوا طويلاً، إنهم سيجدون أنفسهم في ورطة فيتراجعون تدريجياً ويخسرون مواقعهم.

القاعدة الخامسة: تتمثل في مشروعية النصر على أعداء الله تعالى وعلى الظالمين في هذه الحياة الدنيا، فالنصر من الأهداف التي حثَّ عليها الإسلام. وهو أمر مشروع وطموح مقبول، وقد وعد الله تعالى المؤمنين به عندما يستحقون ذلك لينعموا ببركاته: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا

﴿يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١). بل شجعهم على طلبه: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

من حق المؤمنين أن يفرحوا بالنصر، فهو نصر لمبدئهم وعقيدتهم، وهو نصر لثمرة جهادهم وتضحياتهم، وهو إثبات لعظمة منهجهم وارتباطهم بالله جلَّ وعلا، طالما أن دينهم هو الأكمل والأتم ومحل الرضا الإلهي وهو الأصلح لحياة البشرية. ومن الطبيعي أن يتوقعوا هذا النصر لأنهم يحملون الإسلام وهو خلاصة استقرار وصلاح واستقامة الإنسانية.

لكن لا يجوز أن نتعلق بالنصر إلى درجة نسقط معها عندما ننهزم، فالهزيمة مرتبطة بمقومات لم تتوفر، وهي لا تعني انهزام المبدأ الذي نحمله. إن علينا القيام بواجبنا في تهيئة شروط النصر، وليس بيدنا أن ننتصر، فعلى العبد السعي وعلى الله تعالى التوفيق والتسديد. وإذا لم تعط التضحية ثماراً آنية ومباشرة فهذا لا يعني التوقف عن البذل، لأن الثمن جاهز عند الله تعالى في آخرة أفضل عند الخسارة في هذه الحياة الدنيا، ولأن تراكم البذل عبر عطاءات الأمة يحقق نصرها المستقبلي.

ورب سائل: لماذا تركزون كثيراً على الشهادة؟ لأن من تربى على الشهادة أعطى أقصى ما عنده، فإذا حصل النصر فإنما يحصل للجدير والمضحي الذي يحافظ عليه، وإن لم يحصل فلا تغيير في الموقف المستقيم. ليست الشهادة هروباً من مسؤولية النصر وطلبه، إنما هي طريق

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.

تربوي وعملي يساعد عليه. وهي سلاح قوي لمواجهة قوة الأعداء، وهي فرصة لتحقيق الانتصار في مقابل الإمكانات المادية المعادية، إنها تمثل سلوكاً إيمانياً في المحافظة على المبادئ وتهيء لمواجهة المنطق المادي الذي يخيفنا بهذه الحياة الدنيا، إذ عندما يملك الظالمون قدرة مهيمنة فهم يستخدمونها ويهددون بها لإنهاء حياة الإنسان حتى يخضع، فإذا كانت استعدادات الشهادة موجودة عنده فإن الاخافة تسقط والهيمنة تبوء بالفشل، وتتوازن المواجهة أكثر بل تعطي فرصة لقلب المعادلة والتغيير لمصلحة منطق الشهادة في مقابل منطق القوة المادية الظالمة .

علمتنا الثورة الحسينية كيف ننتصر في داخل أنفسنا أولاً، بتسليمنا لله لننتصر، وبعد ذلك في الخارج على أعداء الله تعالى، فمن كان يفكر أن يُعدَّ لنصر خارجي دون أن يلتفت إلى نصره في الداخل فلن ينتصر، أما من فكر كيف ينتصر في داخل نفسه على شيطانه وآثامه وانحرافاته، ليقرر بيع النفس لله، عندها فالطريق ممهدة للنصر بإذنه تعالى(*).

(*) ألقيت المحاضرة في قاعة الجنان ـ طريق المطار ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المحاضرة السادسة

الإمام الحسين عليه السلام
النموذج الحي المتجدد

عندما نحيي ذكرى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فإننا نتعاطى معها على أساس أنها تمثل النموذج القدوة للإنسانية جمعاء وليست قدوة خاصة محصورة في دائرة ضيقة، فالإمام الحسين عليه السلام للبشرية جمعاء، بناء عليه فإننا ندعو لمناقشة سيرته والاطلاع على أدائه وحياته والتعرف على أفكاره ومواقفه، حتى تهتدي البشرية إلى هذا النموذج القائد الذي يصلح للإنسانية جمعاء.

هو سيد الشهداء لأنه الأبرز في كيفية عطائه واستشهاده، ولأن الظروف التي أحاطت بشهادته لا تشبه أي ظروف أخرى، ولأن الأهداف التي سعى لتحقيقها هي الأهداف الإلهية لمصلحة الإنسان، إنها الأهداف الأنبل والأسمى. ويتجاوز سيد الشهداء مسرح الشهادة في كربلاء ليصل إلى مفاعيلها في الآخرة، فهو سيد شباب أهل الجنة كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1]. إنه الإمام

(١) الفتوح، ج٥، ص: ٣٣./ الخوارزمي، المقتل، ج١، ص: ١٨٨.

القدوة للشباب وللبشرية، والقدوة لجميع المتقين والعارفين والباحثين عن الحقيقة في العالم. إنه نموذج حيٌّ متجدد، لا يتوقف عند اللحظة التي حصل فيها الاستشهاد، وإنما يتجاوزها إلى كل الحياة عبر الزمن، فهو الذي قاد الإصلاح داخل المجتمع الإسلاميّ ولم يخشَ في الله لومة لائم، ولم يبحث عن منصب أو دور، ولم تمنعه الاعتبارات التقليدية التي حاول الخليفة إشاعتها في وجوب طاعة الحاكم، أو تخاذل الأمة عن التحرك. من هنا كانت نهضته عليه السلام نهضة إصلاح حقيقية في داخل المجتمع، فلا رتابة مع الانحراف، ولا تسليم للواقع ولا قبول به.

لقد أعلنها في المدينة المنورة ويهمُ في الخروج مكاتباً أخاه محمد ابن الحنفية: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»، فهو إذاً يريد الإصلاح، لا يريد المرح في خروجه فهو ليس أشرا، ولا يريد إزهاق النعمة فهو ليس بطراً، ولا يريد ظلم أحد فهو ليس ظالماً، ولا يريد تخريب شؤون الناس فهو ليس مفسداً، إنما هو المصلح الذي يريد تغيير الواقع، هذا التغيير مطلوب من خلال مفردتين أساسيتين: الأولى تتعلق بالحاكم، والثانية تتعلق بالناس، فهو يريد الإصلاح في الأمة.

وقف الإمام الحسين عليه السلام بوجه الحاكم الظالم ليقول للناس: الحاكم ليس مقدساً ولو حمل شعار الإسلام، والحاكم ليس مطاعاً عندما يكون منحرفاً، والحاكم لا يستطيع استخدام قوته لفرض شروطه فهناك من يقف ليرفض تسلطه ولا يحصل التغيير بالسكوت عن الحاكم الظالم،

فالأمر الأول الذي توجه له بالإصلاح هو كشف وفضح الحاكم الظالم ورفض الاستسلام لبيعته .

أما الأمر الثاني فيرتبط بالناس، كان يعلم عليه السلام أن الثلَّة القليلة جداً هي التي ستكون معه، ولكنه تابع مسيرته وأعلن موقفه وتحمَّل نتائجه، ليحدث الصدمة في الأمة وليقول للناس أنتم مسؤولون عندما لا تقومون بدوركم ولا تتحملون مسؤولياتكم، وقد عبَّر الإمام الحسين عليه السلام عن إنغماس الأمة بشهواتها بقوله: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محِّصوا بالبلاء قلَّ الديانون »[1]. كثير من الناس يسقطون أمام تجربة الحياة وأمام مغرياتها، وكثير من الناس يؤثرون الدَّعة والسلامة على العزة والتضحيات، وكثير من الناس يبحثون عن حياتهم الخاصة حتى لو أدت إلى خسارة مبادئ الحق، وكثير من الناس يسايرون الظلم من أجل حياة شخصية مهما كان الظلم مؤثراً ومهما كان الظلم مدمراً، فالناس هم الذين يتحملون المسؤولية في أي مجتمع من المجتمعات. أمَّا أن نحمل المسؤولية للحاكم وللمسؤولين ونجعلها بعيدة عنَّا فهذا مخالف للواقع، نحن مسؤولون كما الحاكم مسؤول وكما القادة يتحملون المسؤولية، من هنا فالناس في أي مجتمع من المجتمعات لهم دور في تثبيت دعائم الحق، ولهم دور في الانحراف الكبير الذي يحصل في المجتمع، لهم دور في حريتهم كما لهم دور في خنق الحرية التي يرغبونها، لهم دور في مستقبلهم وفي استقلالهم كما لهم دور في تبعيتهم وانجرافهم أمام سطوة المستكبرين، لا يستطيع الناس أن يعفوا أنفسهم من مسؤوليتهم في أي مجتمع كان .

(١) الحراني، تحف العقول، ص: ٢٤٥.

عندما تفرَّج أهل الكوفة والمسلمون على صنيعة الحاكم الظالم، بل عندما ساهموا مع الحاكم الظالم لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام بذريعة العجز عن الرفض للمواجهة أو بذريعة الأطماع التي وُعِدوا بها أو لأي سبب آخر من أسبابهم المنحرفة، فهم قد واجهوا الحق و آثروا الدنيا، فكان لا بدَّ من إيقاظهم فكانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي المنقذة، لأنها فضحت هؤلاء الناس وكشفتهم، وأثبتت لهم أنهم عندما يسايرون الظلم فالدمار على مجتمعهم بأيديهم. إنَّ مسؤوليتنا من خلال ثورة الإمام الحسين عليه السلام أن نوضح للناس ونعرفهم على الحقائق، وأن نكشف لهم ما في مجتمعهم، وأن نبين لهم طريق الحق من الباطل، وكل واحد من هؤلاء الناس قادر أن يكون لبنةً بنَّاءةً في رصيد المجتمع الكبير من أجل تحقيق النصر في القضايا الداخلية وعلى الأعداء.

الذين يحيون ذكرى عاشوراء إنما يحيونها ليتعرفوا عليها، يحيونها ليرفضوا الظلم، ويحيونها ليقدموا الولاء والبيعة حتى يكونوا في الخط الحسيني مصلحين في مجتمعهم ومغيرين لواقعهم، هذا الإصلاح لا يمكن أن يتم إلاَّ إذا توفرت مفردتان أساسيتان:

المفردة الأولى: تتمثل في فهم الواقع، والمفردة الثانية تتمثل في معرفة الطريق الصحيح الذي يجب سلوكه. أمَّا فهم الواقع، فهو عامل أساسي لتشخيص الداء، إذ لا يمكن للطبيب أن يصف دواء للمريض دون أن يشخصّ داءه، ولا يصلح كل دواء لأي داء، فلكل مشكلة اجتماعية طريق للحل ولكل مشكلة سياسية طريق للحل، لكنَّ علينا أن نعرف الداء أولاً وأن نعرف مشاكلنا السياسية والاجتماعية والثقافية

التي نعيشها، من أجل تشخيص الأمراض التي تعصف بمجتمعنا ثم بعد ذلك نستطيع المعالجة، ونستطيع تقديم الحلول المناسبة ضمن الخط الصحيح .

نحن اليوم بحاجة إلى فهم واقعنا، لماذا نحيي ذكرى الإمام الحسين عليه السلام بينما ينظر الكثيرون بأنهم غير معنيين بهذه الذكرى. نقول لهم: ادرسوا شخصية الإمام الحسين عليه السلام تعرفوا عليه، اقرأوا قصته، لماذا يفترض بالمسلم أن لا يفهم شيئاً مما عند المسيحي وبالمسيحي أن لا يفهم شيئاً مما عند المسلم، وأن توضع الحواجز الثقافية بمجرد أن فلاناً ينتمي إلى طائفة معينة، هذا مرض نعيشه في لبنان يمنع التلاقح الفكري، ويمنع تشخيص الأمراض الحقيقية. يجب أن نفهم الواقع وأن نعمل لمعالجته لنحدد الصديق من العدو والخطأ من الصواب، والاستقلال من التبعية، والعمل السليم من العمل الفاسد، ويجب أن نفهم طريق الخط الصحيح الذي نسلكه من أجل المعالجة. نحن نعتبر أن الخط السليم هو الخط الإلهي، أوليس الله خالق البشر؟ ألم يرسل الرسالات السماوية ليعلمهم ويدربهم ويثقفهم ويوجههم؟ هل قرأ الناس هذه الرسالات السماوية بدقة وتعرفوا على مضمونها وعلى حقائقها؟ البعض قرأ رسالته السماوية من خلال بعض الزعماء والمسؤولين وبعض التقليديين، وكل من يقرأها بهذا المعنى وبهذا المنطق لن يقبل بها ولن يتفاعل معها بطريقة تطور حياته. بمعنى آخر لسنا مضطرين لنطلع من خلال الأشخاص الذين أساؤوا وأضروا بل يجب أن نطلع من التجربة الحقيقية.

هذا الخط السليم الذي عبَّر عنه الإمام الحسين عليه السلام هو تعبير يصل

إلى محمد ﷺ «حسين مني وأنا من حسين»[١] ومحمد ﷺ يصل إلى الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٢]، والله يقول ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣]، هذا الاتجاه الحسيني هو اتجاه إلهي موجه للبشرية جمعاء﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٤] وليس موجهاً للشيعة فحسب أو للمسلمين فحسب أو لفريق من الناس، بل هو موجه لكل العالم حتى يتعرفوا ويقرأوا ويدرسوا. نأسف لأولئك الذين يعيشون عقدة التعليب للأفكار، ويعيشون ما نشأوا عليه في أجوائهم، فإذا كان منذ طفولته قد عاش في أجواء طائفية أو حزبية أو ثقافية أو روحية معينة، فإنه ينشأ على هذا الأساس ويرفض مناقشة ما يحيط به دون أن يُحكِّم عقله الذي أعطاه الله تعالى إياه، مع العلم أننا يجب أن ننفتح للتعرف على رسالة الله وعلى رسالة الإسلام التي تبني قواعد الحياة الإنسانية الفضلى. هذه الرسالة لا تعني أننا أمام طائفة تحمل لوناً معيناً، فالطائفة تجمع مَن ينتسب إليها بالولادة، ويُسجَّل في دارة الأحوال الشخصية بانتسابه إليها، من دون أن يعني ذلك التزاماً بتعاليم طائفته، أمّا الرسالية فتجمع من آمن بالاسلام وتبنّاه كمنهج للحياة في مجالاتها كافة على المستوى العملي. تعودنا في لبنان أن تقاس الأمور بالحصص الطائفية، ولذا يقولون مباشرة بأن الحسين لمذهبٍ معين ولا علاقة له بالآخرين، لماذا؟ اطّلعوا وتعرفوا. نحن نعلم أن هذه الدعوة اليوم تزعج البعض لأنهم يعتبرون أن المطلوب هو

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ١٢٧.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ ـ ٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

المحافظة على تلك الأطواق المذهبية أو الحزبية أو الثقافية التي تحصن الناس من أن يفهموا ما هو موجود عند الآخر، كي لا يختاروا اختياراً عُقلائياً سليماً ليتجردوا من عصبية عمياء إذا وجدوا الحق في مكان ما؟!

إلتقيت بمجموعة من اللبنانيين كانوا يعيشون في أمريكا، في لقاء دام نحو الساعتين، وقالوا في اللقاء: رغبنا المجيء للتعرف عليكم ولكن قبل ذلك لم نكن نتجرأ أن نلتقي معكم خوفاً منكم.

قلت لهم: الحمد لله، أصبحنا الآن في وضع يسمح لنا أن لا نخيفكم.

قال أحدهم: ولكن لي عليك شرط.

قلت: ما هو؟

قال: أتمنى أن تترك الإسلام جانباً وأن تترك مسيرتكم الشعارات الإسلامية، وعندها لا يكون عليكم أيُّ غبار وتكونون مقبولين محلياً ودولياً، لأنكم بذلك تنزعون الخوف والخشية من قلوب الناس جميعاً، فتكونون قدوة حقيقية.

قلت له: فلأكن صريحاً معك، ما الذي جعلك تنتقل من الخوف منّا إلى الرغبة باللقاء معنا؟ قال: تجربتكم في المقاومة.

قلت: ولماذا حملتم صورة سيئة عنّا في السابق وكنتم تخافون منّا؟

قال: لا أعلم، ولكن أشعر وكأن الإعلام والأحاديث التي كانت تجري حولكم كانت مخيفة. قلت له: إذاً تبين لكم أنها دعايات مغرضة.

قال: نعم.

قلت له: ولماذا تشترط علينا أن نترك الإسلام جانباً طالما أنك

أحببتنا ووثقت بنا على الرغم من كل الدعايات والمؤامرات، فتحولت المقاومة المنبوذة في نظركم إلى مقاومة شريفة عظيمة! ما الذي يدريك إذا ما تعرفت على شبابنا وهم يسجدون لله تعالى ببركة هذا الإسلام أنك لن تؤمن بهم أكثر؟ ولولا هذه التعاليم الإلهية لما كانوا ولما كانت تجربتهم المشرقة، فما الذي يمنعك من التعرف على هذه التعاليم قبل أن تحكم عليها؟! كفانا وضع الحواجز الطائفية التي تمنع الشخص أن يتعرف على الآخر، وبما أننا استطعنا أن ندخل إلى قلوبكم من خلال مقاومة آمنت بالله تعالى حق الإيمان، فأتوقع أن ندخل إلى قلوبكم عندما تتعرفون على هذا المحرك العظيم الذي علَّمنا كيف نكون شهداء على درب الإمام الحسين عليه السلام. لا تلتفتوا للدعايات التي تمنع الإنسان من التفكير وتقيده، فلنناقش ونحاور قبل أن نرفض، لا نريد أن نتذكر الجاهليين على عهد رسول الله والذين كانوا يمنعون جماعتهم من سماع النبيّ محمد صلى الله عليه وآله لأنه يؤثر فيهم بسحره! إنه لا يؤثر فيهم بسحره بل بمنطقه وبما يتكلم عنه. أمّا التجارب الإسلامية التي حصلت في أمكنة مختلفة من العالم، فهناك تجارب سيئة نرفضها وننبذها كما توجد تجارب إيجابية نحترمها، أمَّا أن يتم نعت الإسلاميين في العالم بصفة موحدة، ويُحمَّل الجميع مسؤولية البعض ومسؤولية التصرفات التي لا يقرُّها الإسلام الأصيل، فهو جزء لا يتجزأ من الدعاية البغيضة التي تريد أن تخلط الحق بالباطل، وأن تسقط القدرة العظيمة للعطاء الإسلامي الصحيح بذريعة أولئك الذين أساؤوا أو أخطأوا، وهو هدف استكباري لئيم يريد تحطيم الصورة التي أثبتت نفسها ودخلت إلى القلوب، تمهيداً لعزلها مجدداً عن واقع الحياة.

إنَّ الرسالة التي نحملها هي رسالة عالمية، إنها تؤسس للمجتمع الصالح. ما الذي يخيف في أن نقول بأننا مسلمون نعرض الإسلام في

لبنان وفي غير لبنان؟ وماذا يصنع الإسلام؟ إنه ينظم المجتمع المدني ويعطي كل ذي حق حقه، إنه يبين البناء الأصيل والمتوازن في الحياة. انظروا إلى الإسلام كيف يتحدث عن الإنسان، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1] فالإسلام يعطي قيمة كبيرة للإنسان، ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن آدم لم يلد عبداً ولا أمَةً، وإنَّ الناس كلهم أحرار»[2]، فلا يمكن أن يستعبد أحد هؤلاء الناس، هؤلاء ولدوا أحراراً ولهم حق الاختيار وحق الحياة وحق العيش. في المقابل يمنع الإسلام التبعية السيئة التي يلجأ إليها بعض الناس بذريعة التسليم للمسؤولين، حيث توجد شريحة من الناس يسلمون أمرهم للزعيم وهم يعلمون خطأ مساره أو لا يدققون بتفاصيله، رافضين تحميلهم المسؤولية، لكن هؤلاء يؤدون باتباعهم إلى الهاوية، وماذا سيقولون يوم القيامة عند الحساب، فلا مناص من تحملهم للمسؤولية بأكملها، فلا أحد يتعرف على أحد يوم القيامة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3]، ولا ينفع قولكم: لا علاقة لنا فارجعوا إلى زعمائنا وقياداتنا والمسؤولين عنَّا! ها قد تعرفتم على القيادات الحقة، على النبي والأئمة عليهم السلام وعلى الأنبياء والصالحين والشهداء، وتعرفتم من خلال شخصياتهم على كيفية الوصول إلى المستوى الأرقى في العمل الإنساني، فاعملوا لضمان آخرتكم.

عندما ندعو إلى الرسالة الحقة فإنما ندعو إلى وعيها وإلى وعي

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص: ٨٢.
(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

آثارها في المجتمع، تعلمنا من الإسلام أن ندافع عن الأرض، وقد روي: «حب الأوطان من الإيمان»[(١)]، أحببنا وطننا لأن إيماننا وقناعاتنا هي التي علَّمتنا أن لا نفرط بأرضٍ نسكن عليها، فهي رصيد لنا وأمانة في أعناقنا ولا يجوز لنا أن نتخلى عنها لمُحتل أو مستكبرٍ، فهي أمانة بين أيدينا وهي تعبير عن كرامتنا وعزتنا.

عندما ندعِو إلى اعتبار الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً وقائداً للإنسانية، إنما نقرأه من هذه الزاوية وبهذه الطريقة، إنه المصلح الذي انتفض على مجتمعه لمصلحة الاستقامة، إنه الخط الإلهي الممتد عبر التاريخ وعبر الأنبياء، إنه الخط الصحيح الذي يُعالج شؤوننا وقضايانا، إنه العنوان الإنساني في كل مفرداته وكل تفاصيله، هذه امور نلمسها في حياتنا اليومية، فالتجربة الإنسانية لكل الناس وهي تتجاوز كل الاعتبارات. ألا يتساءل البعض عما يجعل هؤلاء الشباب المجاهدين يضحون بهذا المستوى من التضحية بينما لا يقوم غيرهم بهذا الأداء؟ لأنه يوجد فارق تربوي أساسي له علاقة بالإيمان، وله علاقة بالارتباط بالله تعالى، وله علاقة بالاقتداء بالنبي والأئمة عليهم السلام، وله علاقة بكل هذا المضمون الثقافي والروحي الذي يؤثر على حركتنا. إذاً لماذا لا تعيد بعض الجهات النظر في طريقة تفكيرها وأدائها وحياتها؟! لسنا بحاجة أن نبحث خارجاً عن الأفكار والقناعات لمجرد أنهم أضافوا إليها كلمة حديثة(التربية الحديثة، الأفكار الحديثة، . .) فهناك أشياء كثيرة حديثة جربوها فينا وبعد فترة اعتذروا لعدم نجاحها، وبعدما تضرر مئات الملايين من الناس بسبب ما يدَّعونه. نحن نحمل فكراً أنقذنا ورفعنا

(١) الحر العاملي، أمل الآمل، ج١، ص: ١١.

وجعلنا في الموقع الرفيع ببركة هذه التربية وهذا الدعم وهذا التوجه الذي أثر في شبابنا ونسائنا، ودخل إلى كل قلب رغم الحواجز الجغرافية والسياسية، لأنه حاكى ضمير الإنسان ولم يُبرز فئة متعصبة، وإنما مثل رصيداً إنسانياً لا يستطيع معه أي إنسان على الأرض إلاَّ أن يعترف بآثاره الإيجابية. فالرصيد الحسيني هو رصيد عالمي لرفع الاستضعاف إلى مصاف الانتصار، على أساس الحق واستعادة الأرض والكرامة.

لقد سما المجاهدون ببركة نموذج الإمام الحسين عليه السلام، وقدموا أفضل تضحية، وأقول لكم هذه التجربة الإسلامية في لبنان هي تجربة لا تقتصر على المجاهدين الذين يقاتلون في الثغور ويدافعون عن الوطن و المنطقة وعن الإنسانية وعن الحق، بل عن نبض كل إنسان حيّ يريد أن يقول لا للمستكبرين، إنهم يدافعون عن كل فكرٍ أصيل يحاول أن يثبت نفسه أمام الانحرافات الضخمة، ويدافعون عن نظام الإنسانية التي هدرت في نظام العولمة وفي كل خطوات الاستكبار، فهؤلاء ليسوا وحدهم على خطوط المواجهة، إن النساء والأمهات والأطفال يعبرون أيضاً عن هذا الطهر وعن هذا الأداء وعن هذا الرمز، بالرايات التي يرفعونها لتجتمع مع شهادة المجاهدين ما ينتج مجتمعاً مقاوماً متفاعلاً يعطي فيه الصغير والكبير، والمرأة والرجل، والجاهل والعالم، والكاتب والمثقف، وحامل السلاح والداعي لهؤلاء بالنصر والتوفيق، هؤلاء جميعاً شكلوا كتلة رفعها النهج الحسيني لتتحول إلى رمزٍ في عالمنا العربي والإسلامي، بل إلى رمزٍ واستنهاض في كل العالم المستضعف لتكون تجربة رائدة أمام البشرية ليتعلموا منها كتجربة حسينية(*).

(*) ألقيت المحاضرة في المجلس المركزي ـ حارة حريك ـ محرم ١٤٢١هـ.

المحاضرة السابعة

العزة والذلة

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أبناء الحسين وعلى أهل بيت الحسين وعلى أصحاب الحسين وعلى الشهداء والمجاهدين الذين قدموا منذ آدم ويقدمون إلى يوم الدين، والسلام على محيي هذه المسيرة في القرن العشرين الإمام الخميني(قده)، والسلام على شهداء هذه الأرض الطيبة في جبل عامل والبقاع الغربي من أبناء المقاومة الإسلامية وعلى رأسهم السيد عباس الموسوي(رض) والشيخ راغب حرب(رض) وشهداء هذه البلدة الطيبة في بنت جبيل و البلدان المحيطة والمجاورة التي قدمت، والسلام عليكم أيها الحفل الكريم ورحمة الله وبركاته .

كل كلمة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام تختصر مفهوماً ومضموناً إسلامياً يعلمنا كيفية التعاطي مع هذه الحياة، وكل موقف من مواقفه يختزن خلفية فكرية وإيمانية وجهادية وتعبوية تصلح لأن تكون مدرسة ومعلماً لنا في حياتنا، لذا ليس غريبا أننا كلما أحيينا ذكرى عاشوراء في كل عام وفي كل مناسبة حزن أو مأساة أو محاولة منا لتذكر عطاءات هذا الإمام العظيم مع أهل بيته وأصحابه اكتشفنا أننا نتعلم من جديد ونتربى من جديد. هذا لأن ثورة كربلاء هي ثورة حية ومربية ومعلمة،

فإذا لم نتعلم في مرحلة من المراحل فالتقصير منا، وإذا استفدنا في مرحلة متقدمة فهذا يعني أن إدراكنا لهذه الثورة قد ازداد، نحن الذين نتفاعل معها فنأخذ من حيويتها وحياتها أو نخسر هذه الحيوية والحياة. من ظن أننا نحيي هذه الذكرى لنتذكر فقط ولنكون أوفياء في إحياء المجالس فقط فهو مخطئ، لأن الإمام الحسين عليه السلام لا يحتاج الى أن نحيي ذكراه بل نحن الذين نحتاج الى إحياء ذكراه، نحيا من ضيائها وعطاءاتها وثوريتها كي نحمل في قلوبنا ما حمله مع الأبناء والأهل والأصحاب فنتحرك في الحياة بتعبئة حسينية وروحية جهادية ونقدم نموذجاً متواصلاً مع الإمام الحسين عليه السلام، فتحيا حياتنا بالإمام الحسين عليه السلام.

علَّمنا الإمام الحسين عليه السلام أن نكون أعزة في خط الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وعبَّرت مواقفه الجريئة عن خط المسار نحو العزة في أصعب الظروف. عندما أقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين ألفاً، وعظهم بقوله: «الحمد الله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلَّ بكم نقمته، وجنَّبكم رحمته، فنعم الرب ربنا وبئس العباد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ثم أنتم رجعتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين»[١].

وفي رواية أخرى حدَّثهم عن نسبه وعن الصحابة الذين يشهدون بفضله وفضل العترة الطاهرة، ليكون هذا الكلام موقظاً لمن عنده ضمير حيّ، ولمن يتذكر يوم يقف للحساب. ثم وجه خطابه مباشرة إلى قيادات من أهل الكوفة كانوا قد أرسلوا إليه كتبهم ليأتي فيقودهم، فنادى: «يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أن أقدم قد أينعت الثمار وأخضرَّ الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجندة؟!

قالوا: لم نفعل.

قال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم.

ثم قال: أيها الناس، إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلاَّ ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد، عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون. أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»[٢].

---

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ٢٥٠.
(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص: ١١٨.

وخطب الإمام الحسين عليه السلام خطبة ثانية بعد أن أكد القوم طاعتهم لأميرهم عبيد الله بن زياد على باطله، ومما جاء فيها: «ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلَّة والذلَّة، وهيهات منَّا الذلَّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيَّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلة الناصر»[1].

إن المنهجية واضحة، فعندما يكون الخيار بين سل السيف للقتال والذلة في البيعة، لن يكون غير السيف مهما كانت التضحيات فهو يريد العزة لهذه الأمة ولنفسه، والمؤمن عزيز فلا يمكن أن يكون ذليلاً، والمؤمن مرفوع الرأس فلا يمكن أن يكون منسحقاً أومحبطاً أو مستسلماً أو متخاذلاً عن نصرة الحق، فهو عزيز وعزته من الله جل وعلا، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنها سلسلة من العزة تبدأ بالله جل وعلا وتمر بالرسول صلى الله عليه وآله وتتوج بحركة المؤمنين الذين ينسجمون مع هذه العزة، فمن قبل الذلة خرج عن هذه السلسلة، ومن ارتضى أن يسقط ويتنازل وينحرف ويقبل بالظلم ويتفاعل معه فهو خارج عن دائرة العزة التي يريدها الله تعالى للمؤمنين. يقول إمامنا الحسين عليه السلام في مجال آخر أيضاً: «موت في عز خير من حياة في ذل»[2] لأن العز هو المطلوب، ولا يرضى الله للناس أن يكونوا عبيداً لبعضهم البعض، ولا يرضى الله لهم أن يكونوا مسحوقين لأي إنسان على وجه الأرض، فالخطاب موجه لكل إنسان

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٥٩.
(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص: ٢٢٤.

في العالم لأن يكون عزيزاً. قال إمامنا علي عليه السلام: «فالموت في حياتكم مقهورين و الحياة في موتكم قاهرين»[١]، بعض الناس يكونون في هذه الحياة أمواتاً ولم يقبروا بعد، لأن قلوبهم ميتة وعواطفهم ميتة وكرامتهم ميتة وأخلاقيتهم ميتة ومستواهم ميت وإنسانيتهم ميتة، فهم يركنون للظالمين .

بعض الناس يعتقدون أن قربهم من الظلمة يعزهم في الحياة، ويكون لهم مقاماً عظيماً ومهماً، في الحديث القدسي قال تعالى: «يا داوود إني وضعت العز في طاعتي وهم يطلبونه في خدمة السلطان فلا يجدونه»[٢]. هؤلاء متوهمون إذا كانوا يظنون أنهم مع السلطان الظالم والمستكبر يمكن أن يرتفعوا أو أن يكون لهم دور أو مكانة، هؤلاء مخطئون والتجارب موجودة أمامنا. الحاكم الظالم يستخدم الذين يسيرون معه و هم يظنون أنهم يستفيدون منه، لكنه يستخدمهم ثم يرميهم إذا اعترضوا ،لقد خضعوا وذلوا من أجل مصالحهم ومن حقه أن يتعامل معهم بمصالحه. فهذا عمر بن سعد باع آخرته بدنياه ليحصل على ملك الري بقتال الإمام الحسين عليه السلام وخسر كل شيء ثم قتله المختار في زمن ليس ببعيد. وهذه تجربة زعيم العملاء أنطوان لحد الذي كان عنده بالحد الأدنى نحو خمسة آلاف عميل، وكان يبرز كشخص معتمد من قبل العدو الإسرائيلي، و كانت لديه طموحات كثيرة جداً، وبعد أن اندحر الجيش الإسرائيلي وهرب ليلاً من لبنان .ولحقه جماعته، نظر الإسرائيليون الى أنطوان لحد فوجدوه عبئاً عليهم، احتقروه ورموه، وأظنكم شاهدتم

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٥١، ص: ١١٤.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص: ٤٥٣.

مقابلته كيف يتكلم بأسى وألم ويشعر بالحقارة هو ومن كان معه من العملاء، لأن أسياده كانوا يعرفون حجمه ويعرفون مكانته، كان ذليلاً من أجل منصب ومال، ومن كان يحمل هذا الهدف لا يستحق أن يحترم حتى من العدو، وقد بصق أحد نواب الكنيست الإسرائيلي في وجهه عندما دخل إليه أثناء الاحتلال الإسرائيلي للبنان وقال له: أنت خائن ماذا تفعل هنا؟ لأن من خان لك خانك بعد ذلك، ومن كان يعمل لمصلحته كعميل لك يمكن أن يكون عميلاً لغيرك.

لا يمكن أن يحصل الإنسان على العز من خلال السلطان الجائر ومن خلال الحاكم الظالم ومن خلال العدو المتغطرس. العز في طاعة الله تعالى، العز في الاستقامة، العز عندما يكون الإنسان في دائرة إنسانيته التي أرادها الله تعالى له، وبغير ذلك لا يوجد عز. قال الإمام علي عليه السلام: «العزيز بغير الله ذليل»[1] فإذا كان يعتقد أنه عزيز بغير طاعة الله فهو موهوم، أين عزته وأين كرامته وأين مكانته؟ إنَّ قوة الإنسان وعظمته أن يكون منسجماً مع فطرته التي خلقه الله تعالى عليها، ليعيش مستقيماً في هذه الحياة الدنيا، وإلا فلا عزة من دون الطاعة لله. سُئل أمير المؤمنين علي عليه السلام «أي ذل أذل؟ قال عليه السلام: الحرص على الدنيا»[2]. عندما نتحدث عن الدنيا المذمومة إنما نتحدث عن الدنيا بحرامها لا بحلالها، أي أن الدنيا التي لا طاعة لله فيها، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3] فلا

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص: ١٩٥٧.
(٢) الصدوق، الأمالي، ج٤، ص: ٢٢٣.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

تنس حصتك من الدنيا فالدنيا هي مسرح الآخرة، والعمل في هذه الدنيا هو الذي يوصل الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. لكن المذموم هو الدنيا المنحرفة التي تدور مع المعصية و التي تؤدي الى انحراف الإنسان في حياته، عن الإمام علي عليه السلام قال: «رأس الآفات الوله بالدنيا» والارتباط وثيق بين المعصية والآثام وطريق الذل.

علَّمنا الإمام الحسين عليه السلام أن نكون أعزة، وتحدث عن العزة في ساحة الجهاد، إنَّها تكون في كل الساحات ويعبر عنها في ساحة الجهاد. إنَّ العزة لا يصل إليها الإنسان إلا إذا كان عزيزاً في نفسه وطاعته لله، وعزيزاً في إخلاصه وسلوك درب الحق ليصل بعد ذلك الى ساحة الجهاد إذا استلزم الأمر ذلك، فالعزة في كل شؤون الحياة وليست في شأن واحد. يمكن أن تكون عزيزاً عندما تقول كلمة الحق ولو خسرت موقعاً أو دوراً، ويمكن أن تكون عزيزاً إذا أنصفت من له عندك شيء حتى إذا كنت ترغب بعدم إنصافه، يمكن أن تكون عزيزاً إذا كنت مستقيماً لا يجرك الآخرون الى الانحراف، فكل موارد الحياة فيها عزة وفيها ذلة، أن تكون عزيزاً يعني أن تعيش إنسانيتك كما أرادها الله تعالى بشكل كامل، وهذا يرتبط بالمعنويات العالية والخشوع لله والسجود لله والبناء الطويل للفناء في الطاعة لله تعالى.

العزة ليست درساً ثقافياً أو محاضرة نقولها، فالعزة تربية، العزة لا تأتي بين ليلة وضحاها بل تحتاج الى فترة من الزمن وجملة من المقدمات. إذا لم تثق بأن الله هو الموجه، وأن الله هو الآمر، وأن الله هو الناهي، وأن الله هو الذي يقيد حياتك، فلا يمكن أن تصل

الى العزة. المسألة ليست نظرية، فالعزة تظهر بالتطبيق العملي و ليس بكثرة الكلام، وعند التطبيق هل يكون الإنسان مع الله أو يكون مع شياطينه. هذه العزة تتراكم في كل الحياة وتتفاعل في كل الحياة حتى تصل الى هذا المستوى الحسيني. عندما نتحدث عن صلة بالله تؤدي الى العزة يعني أن يصل الإنسان الى قناعة راسخة والى إيمان عملي أن الله معه حقاً، وأنه يتفاعل معه بكل ما أوتي من قوة، وأن يسلم أمره الى الله دون سواه كلما لاحت أمامه صعوبات وعقبات. فهذا إمامنا الحسين عليه السلام يقول عن وضعية نساء بيت النبوة بعد كربلاء: «إن الله قد شاء أن يراهُنَّ سبايا»[1] كذلك بكل قلب منفتح وبكل اطمئنان، فهو يعلم بأنه ذاهب الى القتل لكنه لا يسأل لأنه يقوم بتكليفه وبرسالته لإحقاق هذا الدين الذي يريده لمصلحة البشرية، هذه هي العزة التي نريدها، والتي يجب أن نتربى عليها في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام.

علينا أن نشعر أعداءنا وأخصامنا أننا أقوياء وأعزة بالله تعالى، إذ لا رحمة عندهم بالضعفاء، ويجب وضع حد لتماديهم، فعندما نتمتع بالشجاعة والجرأة نخيف أعداءنا ونسقطهم، وإلاَّ أسقطونا بتهديداتهم باستخدامهم لقوتهم، وعندما لا نخاف مع هذه العزة تنقلب تهديداتهم إلى سراب، ويتحول إيماننا الى رعب في قلوبهم فتسقط أسلحتهم وإمكاناتهم بعزة المؤمنين، هذا هو معنى ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، من خلال موقف شريف بوجه أعداء الله تعالى.

يجب أن نعمل كثيراً في العملية التعبوية، لأن مشكلتنا تكمن في

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٠.

القلب الذي نملكه، فإذا مددنا السلك مع الله عز وجل خلال دورة اليوم الكاملة فالنتائج مضمونة،لكن إذا تواصلنا بدقائق مع الله وساعات مع الشيطان فستكون الحياة ظلام وظلمة. إذا صليت دقائق مع الله وصرفت باقي الوقت في دنياك ورغباتك فقد شغلتك الحياة الدنيا بآثامها، وعندها لن تكون النتائج مرضية. هذا القلب هو سر النجاح، وهذا العشق لله تعالى يُحدث متغيرات كثيرة في حياتنا، فتنمو العزة في القلب والنفس، وهذه العزة هي التي ترفعنا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾(١).

لكن حذار من الخلط بين العزة والتكبر، ففي دعاء مكارم الأخلاق يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأعزني ولا تبتلني بالكبر» وأين الفرق؟ أن تكون عزيزاً مقابل الأعداء المستكبرين فهي قوة تجعلك تصمد، وإذا أخفيت نقاط ضعفك الموجودة فهذا يساعدك في نجاح المواجهة، بينما يعتبر التكبر حالة نفسية مَرضِيَّة تظهر نقاط الضعف في الشخصية أثناء التعاطي مع الأهل والناس، وتُسقط صاحبها. إذا كان لديك معلومات أكثر مني فاخدم بها البشرية ولا حاجة للتكبر! وإذا كانت عندك قوة فاستخدمها في محلها بمواجهة أعداء الله تعالى، وإذا كنت ذكياً فاشكر الله على هذا العطاء، فالنعمة لا تكون إلا من الله تعالى. دلوني على نعمة واحدة لم يعطها الله للإنسان وتكبروا بعد ذلك. إمامنا زين العابدين عليه السلام يربينا كي لا نتكبر: «اللهم لا ترفعني في الناس درجة إلا وحططتني عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلة باطنة عن نفسي

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

بقدرها» وهذا ما يُحدث التوازن، فإذا مدحك الناس فتواضع واشكر الله على عطائه وادعه ليعينك على التوازن النفسي والعملي. إننا نريد أن نكون أعزاء ولا نريد أن نكون أذلة، ولكن الله تعالى استخدم في القرآن الكريم عبارة الذلة، وطلب منّا أن نكون أذلة، ولكن كيف؟ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

إن الفرق كبير في التعاطي مع المؤمنين مقابل الكافرين، وعندما نتحدث عن عزة محمودة ومطلوبة في مواجهة الكافرين، فالمطلوب هو الذلة والرحمة مع المؤمنين. إذ أن موقع كل منهما يختلف عن الآخر، فالأصل مع المؤمنين هو حسن المعاملة والتسامح والعلاقات المستمرة، أما مع الظالمين والمعتدين فالأصل هو الصمود والقوة ورفض التنازل والاستسلام.

يقول تعالى في حديثه عن الفرق في النظرة والتعامل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ...﴾[١] وفي آية أخرى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٢]. ففي مجتمع المؤمنين يعتبر التنازل والتسامح والرحمة والذلة والتواضع معياراً أرقى وأفضل، فإذا لم تتعامل بفوقية وتنازلت فأنت الأفضل، وإذا بادرت للمصافحة بعد خصام فأنت الأفضل، وإذا عفوت بعد إساءة فأنت الأفضل. فعن النبي ﷺ قوله: «إذا عنَّت لكم غضبة فادرؤوها بالعفو، إنه ينادي مناد يوم القيامة: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلاَّ العافون، ألم تسمعوا قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[٣]، والعفو مورد للعز، قال

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص: ٢٠١٢./ أعلام الدين، ص: ٣٣٧.

رسول اللهﷺ: «عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلاَّ عزاً، فتعافوا يعزكم الله»[١].

يعيش البعض تربية إسلامية خاطئة عندما يعتبر العزة في مقابل المؤمنين، أو عندما تتوتر الأمور في الحياة الزوجية بسبب خلاف بين الزوجين ويكون المانع من الإصلاح هو المعنويات، ولكن ليعلما أن الأفضل عند الله تعالى هو المبادر للإصلاح ولو لم يكن مخطئاً. فالرحمة مطلوبة والحلم مطلوب. يقول الإمام الصادقعليه السلام: «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك»[٢].

نحن مأمورون في أن يكون مجتمعنا مجتمعاً متماسكاً محباً ومتعاوناً، فلا تجعلوا الأمور الصغيرة في البيت أو القرية أو المدرسة أو أي مكان تخلف بينكم وتكبر لتتحول إلى قضايا محورية وهي لا تستحق ذلك، فلنحتسب الأجر على الله تعالى. وكلما تذللت لإخوانك في طاعة الله تعالى كلما ارتفعت قيمتك ومكانتك عند الله تعالى. يقول الرسولﷺ: «من أذل نفسه في طاعة الله كان أعزَّ ممن تعزز بمعصية الله»[٣]، فمهما كانت الأعمال صعبة ومعقدة لا بدَّ أن تحصد النتائج الخيرة والعزيزة. فالعز مع الله ومع أولياء الله في مواجهة الظلمة والمعتدين، ولا عز في معصية الله سواء أكانت في الحياة الفردية أو الاجتماعية أو السياسية أو العسكرية أو أي ميدان من الميادين.

---

(١) الكليني، الكافي، ج٢، ص: ١٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ١٠٧.
(٣) كنز العمال، ٤٣٠٨٤.

إن الانتصار الكبير لا يكون بالسلاح ولكنه بهذه التعاليم السمحاء، فالإمام الحسين عليه السلام انتصر بموقفه، وانتصر عندما سمح للقوم بشرب الماء وهم عطاشى. فقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام عندما وصل في طريقه إلى الكوفة قريباً من ذي حُسُم، اعترضه الحر الرياحي مع ألف من عسكره، وكانوا عطاشى مع خيلهم، فأمر الإمام عليه السلام أصحابه أن يُسقوا القوم من قُرَبِ الماء المملوءة، حتى أنه عليه السلام ساعد علي بن الطعان المحاربي أحد جند الحر بأن أشربه وأشرب فرسه بنفسه[١]. ولم يبدأهم بالحرب، فقد روي أن ابن زياد أرسل إلى الحر أن يجعجع بالحسين عليه السلام وأصحابه ليكونوا في العراء بغير حصن ولا ماء، وكان ذلك مع اقترابهم من نينوى ونزولهم في كربلاء، عندها أشار زهير بن القين على الإمام الحسين عليه السلام بقتال القوم فهو أهون من قتال من يأتي بعدهم، فأجابه الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال[٢]، لكنهم بادلوه بمنع الماء وقتل الرضيع وسبي النساء والتمثيل بالشهداء وقطع الرؤوس.

إن الخط الرساليّ يربي المؤمنين على أخلاقية المعركة، لأن السلوك فيها معبر عن إنسانية هذه التعاليم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلاَّ أن تضطروا إليها»[٣]. وتوجيهات أمير

---

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٨٤.
(٣) الكليني، الكافي، ج٥، ص: ٢٧.

المؤمنين علي عليه السلام: «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا مُعوِراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تَهِيجوا النساء بأذى»[١].

في المقابل هذا العالم المتحضر في أوروبا ماذا فعل في كوسوفو؟ وماذا فعل في البوسنة والهرسك؟ في البوسنة والهرسك، أُغتصبت ثلاثون ألف امرأة بحسب إحصاءات الأمم المتحدة، وهؤلاء يدَّعون أنهم يحملون حضارة القرن العشرين، كانت المجازر بالمئات حيث يجمعون الأطفال والشيوخ والرجال والشباب فيقتلونهم دون سبب سوى التصفية العرقية! أهؤلاء متحضرون! يسمون إسرائيل في الغرب بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في محيط العالم العربي بل في الدول النامية، و يعتبرونها نموذجاً حضارياً مهماً، ولقد رأينا هذا النموذج الحضاري في صبرا وشاتيلا ومجازرهما أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢، وفي مجزرة قانا أثناء عدوان إسرائيل على لبنان سنة ١٩٩٦، وفي قتل وجرح العشرات من الفلسطينيين يومياً، هذا هو نموذجهم الحضاري. كلما أرادوا أن يتحدثوا مع العالم تحدثوا عن القوة وتصرفوا بعدوان وإجرام ومجازر، ولم يتحدثوا مرة واحدة عن حق وأخلاق وإنسانية، فهم يتحدثون عن القوة لفرض الشروط التي يريدونها، ولولا أنهم ضعفاء لما لجأوا الى القوة العسكرية ليستعينوا بها وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، فلو كانوا أقوياء بحقهم لأقنعوا العالم بمنطقهم، ولجذبوا القلوب والتعاطف، لكنهم ضعفاء لذا يستخدمون السلاح والغصب والاعتداء وأخذ الأرض بالقوة وقتل الأطفال وإرهاب المنطقة.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ١٤، ص: ٥٨٤.

إن الأخلاقية الحقيقية لا تبرز من خلال الكلام المعسول وإنما من خلال السلوك أثناء المحطات الكبرى والهامة وخاصة في ساحات التحدي والأخطار. إن النظريات التي تفتقر إلى التطبيق العملي وإلى القدوة المعبرة عنها هي نظريات ساقطة وغير قابلة للحياة. إننا مع الحسين عليه السلام نرى القدوة والسلوك في لحظات الشدة كما نراها بين الأهل والأصحاب وكما نراها في مواجهة المنحرفين، لأنه يمثل الخط المتكامل الذي يعطي دروس الحياة للإنسانية في كل مواقع الحياة(*).

(*) ألقيت المحاضرة في بلدة بنت جبيل ـ جنوب لبنان ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المحاضرة الثامنة

دور المرأة في كربلاء

السيدة زينب عليها السلام نموذجاً

إن التحاق السيدة زينب بنت علي عليهما السلام بحركة الإمام الحسين عليه السلام منذ انطلاقتها من المدينة المنورة هو جزء لا يتجزأ من خطة تحقيق الهدف، فهي أخت الإمام عليه السلام المتزوجة من عبد الله بن جعفر وليست جزءاً من عياله كزوجته وأولاده ليكون وجودها عادياً وضرورياً، وهي تعلم نتيجة هذا المسار للروايات المعروفة عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وما ذكره الإمام الحسين عليه السلام في جوابه لأخيه محمد بن الحنفية: «إن الله شاء أن يراهن سبايا»[1]، وهي قادرة على تقديم مساهمة كبيرة في إيضاح أهداف الإمام عليه السلام وكشف انحراف الحكم بسبب سعة علمها وقوة منطقها وتبنيها لهذا المنهج.

وقد بدأ دورها من اللحظة الأولى في كونها محوراً للنساء والأطفال لتخفف بذلك عن الحسين عليه السلام، وفي تشجيعها لأولادها بالمشاركة في كربلاء. ولم تبرز مواقفها ما قبل كربلاء لأنها ارتبطت بالأداء الداخلي للموكب الحسيني، ولم تنقل لنا كتب السيرة ما جرى من تفاصيل إلاَّ ما

---

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٠.

ارتبط بالبارز منها، والذي انعكس من التواصل مع الآخرين، أو شكل مجالاً لاطلاع يمكن نقله، أو لأحداث يعتبر ذكرها عاملاً مساعداً في فهم خطوات النهضة الحسينية .

كانت العقيلة زينب عليها السلام تملك تلك العاطفة الجياشة للأخت والأم والإنسانة النبيلة، وقد عبَّرت عنها بكلماتها وبكائها، لكنها لم تقع أسر تلك العاطفة ولم تسقطها المأساة، إنما استجمعت عقلها وإيمانها وعلمها ورساليتها وتابعت المسيرة، لتكون حلقة الاتصال بين عاشوراء وما بعدها، فيتحقق للإمام عليه السلام ما أراده بنقل كربلاء من محطة في التاريخ إلى إشعاع متواصل يسري في الأمة ويصلح حالها ويؤثر في مستقبلها .

إن هدف الخليفة الجائر يتحقق باسقاط أهداف الثورة وذلك بقتل رمزها والمشاركين فيها، لكنه لم يتحقق بسبب ما أدَّته زينب عليها السلام ومن معها، وكما قال بعضهم: لقد انتصرت الثورة الحسينية بدماء سيد الشهداء عليه السلام وإعلام زينب عليها السلام، بما شكلت هذه السيدة الجليلة من رمزية نسائية تصعب مواجهتها من قبل جماعة يزيد، ومن أداء تعبوي وصل إلى كل الأقطار ولم يكن بإمكان السلطة منعه .

إن إجرام الحاكم وزبانيته لم يتوقف عند مأساة كربلاء بل تواصل بعده، فعندما أحضر القوم السبايا وآل الحسين عليه السلام إلى قصر الإمارة سأل ابن زياد الإمام زين العابدين عليه السلام عن اسمه، فقال: أنا عليُّ بن الحسين .

فقال: أليس قد قتل الله عليَّ بن الحسين؟

فقال: قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس .

فقال: بل الله قتله .

فقال الإمام عليه السلام: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فأشار ابن زياد لقتله، فتعلقت به زينب عليها السلام وقالت: يا بن زياد، حسبك من دمائنا، والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه؟ فتركه.

وأراد ابن زياد أن يعلن نتيجة المعركة فجمع الناس في مسجد الكوفة، وقال: الحمد الله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل «الكذاب» الحسين بن علي وشيعته. فتصدى له عبد الله بن عفيف الأزدي وقال له: يا بن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين. فأمر ابن زياد بقتله وصلبه[1].

من هنا فإن أهمية الدور الزينبي يتمثل في قدرتها على التصريح والتوضيح والتعبئة، فهي شاهدة على ما جرى، وهي تملك شجاعة تؤهلها للتصدي، وهي عالمة يمكنها شرح الموقف وتحليل أبعاده ونتائجه، وهي صاحبة النسب الشريف المؤثر في النفوس، وهي امرأة يصعب على السلطة قتلها ولا يمنعها الأسر والتضييق من إيصال صوتها.

كانت رحلة السبايا طويلة وشاقة، بدأت من نقلهم أسارى إلى الكوفة في الحادي عشر من محرم وإدخالهم إلى قصر الإمارة عند واليها عبيد الله بن زياد، ثم إرسالهم إلى الشام في مسير شاق ومتعب ومأساوي مع الرؤوس المقطوعة وإدخالهم إلى قصر الخلافة عند يزيد بن معاوية، ثم إعادتهم إلى المدينة المنورة وقد مروا في طريقهم إلى كربلاء في العشرين من صفر سنة احدى وستين للهجرة. وكان قصد

(١) الطبري، ج٤، ص: ٣٥١.

السلطة المزيد من الإذلال، وإعطاء العبرة للناس، لكن السيدة زينب عليها السلام أسقطت هذا الهدف بمواقفها الجريئة في كل المحطات، فقد خطبت في أهل الكوفة ثم في مجلس ابن زياد ثم في مجلس يزيد، واتضح ليزيد أن المزيد من الضغط لن ينفع، فترك لآل الحسين عليه السلام مجالاً للإقامة في دار قريبة وتقبل العزاء لثلاثة أيام، لكن تردد الناس عليهم سبب إرباكا للخليفة، ما دفعه أن يكلف من يصحبهم ليعيدهم إلى المدينة المنورة، ولم تدع العقيلة مجلساً منها أو اجتماعاً أو فرصة إلاَّ وشرحت فيه أهداف الثورة ومأساة كربلاء .

إنَّ تتبع كلمات العقيلة زينب عليها السلام في المواقع المختلفة، والمضامين المتينة، يجعلنا نتلمس بوضوح ما أرادت إيصاله وتحقيقه. وأول خطبها بعد كربلاء كانت في أهل الكوفة، حيث اجتمعوا حول موكب السبايا وجعلوا يبكون ويظهرون الحزن، فأومأت لهم بالسكوت، وقالت:

«أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعدة قوة أنكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم، وهل فيكم إلاّ الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الاماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون» .

واجهتهم السيدة زينب عليها السلام بسلوكهم فهم أهل غدر، ودعت عليهم بأن لا تجف دمعتهم ولا يهدأ نواحهم بالتعرض لبلاءات مختلفة، ومثَّلت واقعهم بامرأة تغزل لصنع ثوب وإنهاءه تنقضه فتخربه وتعيده خيطاناً إلى

أصله، فعملهم تخريبي، وإيمانهم خيانة بينهم. أما مواصفاتهم ففيهم الصلف الذي يتكبر ويدَّعي ما ليس عنده، والنطِف البارز بعيوبه، وصاحب الصدر المملوء بغضاً، والمتملق المداهن كما الإماء مع أسيادهن، والذي يطعن في الظهر كما الأعداء، أو كمن يرعى على مزبلة، أو كقطعة براقة توضع على القبر لكن ما تحتها ميت، هذه المواصفات تُنتج أعمالاً سيئة تسجل في صحيفة أعمالهم، وهم مسؤولون عنها، وهي تغضب الله تعالى وتدخلهم إلى جهنم.

ثم قالت: «أتبكون وتنتحبون! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها (تزيلوها) بغسل بعدها أبداً، وأنَّى ترحضون قتل سليل النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ(ملجأ) حيرتكم، ومفزع نازلتكم(الذي تلجأون إليه في المحنة)، ومنار حجتكم، ومدرة (بنية) سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً. فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم! لقد جئتم بها(بعملكم) صلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء شوهاء، كطلاع(ما حوته) الأرض أو كملء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون. فلا يستخفنكم المهل(الفرص)، فإنه لا يحفزه(يدفعه) البدار (المسارعة)، ولا يخاف فوت الثأر، وإنَّ ربكم لبالمرصاد»[1].

---

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٨٧.

بينت العقيلة زينب عليها السلام لأهل الكوفة أن مساندتهم للحاكم الظالم بقتلهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يتمتع بمواصفات جليلة، ألحق بهم عاراً لا يُغسل، وأدى إلى خسارة لا تمحى، وأوصل إلى الذلة والمسكنة. لكنَّ الله يمهل ولا يهمل، فلا يحل عذابه مباشرة على المسيئين، لكنه لهم بالمرصاد لمعاقبتهم على ما فعلوا.

يتضح التحريض وتحميل المسؤولية لأهل الكوفة من كلامها عليها السلام، فلا ينفع البكاء، وهم سيجنون نتيجة أعمالهم في المستقبل، وستكون حياتهم جحيماً بخلاف ما توقعوا. إنها دعوة لمحاسبة الذات، ومرآة لكشف الحقائق، كي لا يبقى عذر لمعتذر، وكي تؤتي ثورة الحسين عليه السلام نتائجها في إثارة ردات الفعل عندهم من أجل التغيير.

أما موقفها في قصر الإمارة بمواجهة ابن زياد، فقد تميز بالجرأة وتصحيح المفاهيم ووضع الأمور في نصابها الصحيح، كي لا يشعر الوالي بالإنجاز المدَّعى، وكي يعلم أن المعركة طويلة.

قال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بحمد وطهرنا تطهيرا، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر.

قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

فقالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده[1].

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص: ١١٥.

ما أروع كلمة الحق عند سلطان جائر، وما أمتن وقعها عندما تطلقها عالمة مجاهدة كالسيدة زينب عليها السلام في محضر يزيد. لم تخش بنت بيت النبوة من الطاغية، ولم تثنها آلامها عن إتمام الرسالة وإلقاء الحجة، وهي التي قدمت أفكاراً دقيقة ورؤية متكاملة لما فعله يزيد، طلبت الكلام وقالت: «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾. أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة، وإن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

إنها نظرة خاطئة في اعتبار كربلاء معركة رابحة ليزيد، وذلك بميزان الحساب الإلهي والنتائج المستقبلية، وأن الإمساك بالأمور وأسر السبايا لا تدل على كرامة للفاعل عند الله تعالى، فالله يعطي المؤمن والكافر، أما المؤمن فليبتليه بلاءً حسناً بتكريمه أو بلاءً سلبياً لامتحان ثباته ثم يكافئه في يوم القيامة، وأما الكافر فليبتليه بلاءً حسناً بإعطائه في الدنيا حتى لا يحمل أي مكرمة يطالب بها في الآخرة أو بلاء سيئاً علّه يستيقظ وتكون له عبرة ولإلقاء الحجة عليه. فكسب يزيد هو زيادة عطاء من الله تعالى ليزداد إثماً لأنه لم يعمل وفق أوامر الله تعالى.

إلى أن قالت زينب عليها السلام: «ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلاَّ ما قدمت وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى وعليه المعول».

«فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلاَّ فند، وأيامك إلاَّ عدد، وجمعك إلاَّ بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين».

«فالحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، حسبنا الله ونعم الوكيل»[1].

فالعبرة بيوم الحساب، وشكوى المظلومية لا تكون إلاَّ لله تعالى. ومهما فعل يزيد من كيد وعداء فليس باستطاعته محو ذكر محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله المرتبط بالرسالة الإسلامية الخالدة، وعطاءاتهم التي تعتبر أنواراً ساطعة في تاريخ البشرية، وسيكون عطاء الله تعالى أكبر بالشهادة والرحمة، ولا كسب إلاَّ مع الله تعالى.

وقد تابعت السيدة زينب عليها السلام حركتها في المدينة المنورة، واستمرت في لقاءاتها وحواراتها وتوجيهاتها لتوضيح ما جرى وأهداف الثورة الحسينية.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٥، ص: ١٣٥.

نساء مجاهدات

إن الدور النسائي في كربلاء لم يقتصر على السيدة زينب عليها السلام، وإن كانت الشخصية المحورية والأبرز وذلك لخصوصيات في شخصيتها ودورها وموقعها. وقد روت كتب السيرة لقطات معبِّرة عن الشخصيات النسائية المشاركة في كربلاء.

فزوجة زهير بن القين حرضت زوجها على اللقاء مع الإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى الكوفة بعدما كان رافضاً للّقاء، وعندما عاد إليها مقتنعاً ومصمماً على السير مع الإمام الحسين عليه السلام، شجعته مجدداً وقالت له: «خار الله لك وأسألك أن تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين عليه السلام»[1].

وطوعة[2] التي أعتقها الأشعث بن قيس وتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، فقد سقت مسلم بن عقيل واستضافته خفية عن ولدها بلال في بيت قريب من بيتها حين لم يبق معه أحد من أهل الكوفة، وكان ملاحقاً من جماعة ابن زياد، ولم تخبر ولدها إلاَّ عندما لاحظ انتقالها المتتالي إلى المكان الآخر مع الطعام والشراب وحلف لها بالكتمان، لكنه أخلف حلفه، وكان ما كان من اعتقال مسلم من هذا البيت.

وأم وهب زوجة عبد الله بن عمير الكلبي الذي رأى في النخيلة أناساً يلتحقون بالإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى الكوفة فأعلم زوجته برغبته الالتحاق بركب الحسين عليه السلام فقالت له: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك افعل وأخرجني معك. وفي بداية معركة كربلاء برز

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٤٥.
(٢) المفيد، الإرشاد، ج٢، ص٥٤.

زوجها للقتال، فلحقت به أم وهب وحملت عاموداً بيدها وقالت: فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين ذرية محمد. فأقبل إليها يردها نحو النساء فأخذت تجذب ثوبها وتقول: إني لن أدعك دون أن أموت معك. فناداها الحسين عليه السلام: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن فإنه ليس على النساء قتال. فانصرفت إليهن[١].

وفاطمة بنت الحسين عليه السلام التي خطبت في أهل الكوفة خطبة طويلة تبين عن جرأتها ووعيها، جاء فيها: «أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسنا، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته وحجته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممن خلق تفضيلا بيّنا. فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، وكأننا أولاد ترك وكابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت، لحقد متقدم، قرّت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم افتراء على الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة، في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير[٢].

إن مشاركة المرأة في الدفاع عن الإسلام والجهاد في سبيل الله والحضور في ساحات العمل والتضحية لا يرتبط بالقتال وحمل السلاح،

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٣٢٧.
(٢) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص: ٨٩.

فهي غير مكلفة بالقتال العسكري، بل يرتبط بعملها التربوي لأولادها وحثهم على الجهاد، ووعيها لحاجات الأمة ومتطلباتها ومساهمتها فيها، ودفع زوجها كي يقوم بواجبه، وإمداد المعركة بالتعبئة الإيمانية والإعلامية اللازمة، وإبراز جانب المظلومية لاستثارة المشاعر الجامدة. إننا بحاجة لأن تبقى المرأة إلى جانب الرجل في كل الميادين والساحات وبحسب قدراتها وتكليفها، ولا يمكن الاستهانة بما تملكه من طاقات لمصلحة المعركة، فالإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أصحابه وأهل بيته حضروا بشهادتهم في كربلاء فكانت المنعطف والمغيِّر، والسيدة زينب عليها السلام ومن معها كانت حاضرة بنقل الصورة وتوضيح الموقف وتأكيد الاستمرارية(*).

(*) ألقيت هذه المحاضرة في قاعة الجنان ـ ضاحية بيروت الجنوبية ـ محرم ١٤١٩هـ.

المحاضرة التاسعة

لكي نكون في معسكر الإمام الحسين عليه السلام

عندما نستعرض ما جرى في كربلاء، نشعر أننا أمام حدث خطير، ليس بميزان القتل الذي حصل للإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام فقط، وإن كان الأمر عظيماً يفوق التصور، إنما في الحالة التي وصل إليها المسلمون آنذاك بأعدادهم الكبيرة وهم في المعسكر الآخر المواجه للإمام الحسين عليه السلام. ومَن هما المتواجهان؟ الأول قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله أنه سيِّد شباب أهل الجنة» الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وهذه الرواية معروفة ومتواترة عند جميع المسلمين على اختلاف قناعاتهم بعصمة الإمام أو عدمها، وجميعهم يقر بهذه المكانة المميزة لسيد شباب أهل الجنة، الثاني يزيد المشهور بالفسق والفجور وشرب الخمر، والمعروف ببعده عن طاعة الله تعالى، ولم ترد رواية واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ حتى في الروايات المدسوسة ـ تُشيد بيزيد. وردت في القرآن آيات بحق الإمام الحسين عليه السلام منها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، وهو واحد من أهل الكساء

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

الخمسة، والآية تؤكد على العصمة والمكانة المميزة لأهل البيت عليهم السلام. وفي المقابل يزيد(لعنه الله) الذي أكدت كل الأخبار التاريخية عند جميع المسلمين على فساده وعدم أهليته واعتدائه على الإمام الحسين عليه السلام ومن معه في كربلاء.

ما الذي جرى على المسلمين حتى وقفوا هذا الموقف وابتعدوا هذا الابتعاد؟! لقد انحرفوا عن طريق الإسلام، وهذه أقل عبارة يمكن أن تُقال بحق هؤلاء المسلمين، فلو حصل خطأ في التقييم بقتال مع كفار لكان الأمر مقبولاً، لكن الأمر يتعلق بقتال بين المسلمين، ضد قائدهم وسيدهم وإمامهم، وهذه مصيبة كبرى حلت على الدولة الإسلامية آنذاك، فقد وصل الانحراف إلى درجة خطيرة ولا يمكن معالجته إلاَّ بنهضة استثنائية وعطاءات كبرى ودور يرتكز على حسم الموقف. إن كلام الإمام الحسين عليه السلام «مثلي لا يبايع مثله» يختصر كل شيء. الإمام في الموقع الشرعي مقابل الغاصب للخلافة، وهو في موقع استنهاض الأمة من كبوتها حتى لا تسقط تجربة هذا الدين، والفرصة موجودة بتضحيات غالية، والهدف لا لبس فيه فالحق لا يُعمل به والباطل لا يُتناهى عنه، وقد خطب في جماعة الحر في الطريق إلى كربلاء، وقال: «إنه قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرت جدا، فلم يبق منها إلاَّ صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيسُ عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلاَّ سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلاَّ برماً»[١].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٣٠٥.

لقد قُلبت الموازين الإسلامية رأساً على عقب، ويجب إعادتها إلى سابق عهدها، إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى فهم وحكم أمير المؤمنين علي عليه السلام. كان لا بدَّ من هذه المواجهة التي لا بديل عنها ولا خيار غيرها، وقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يؤسس للنهج المستقيم من خلال نهضته، أصبحنا نعرف بالتطبيق العملي أن الحاكم الظالم لا يجوز موالاته، وأن المسلم يمكن أن يكون منحرفاً وإن صلى وصام، وأن الموالاة لا تتم بالعواطف والكتب التي كتبوها للإمام الحسين أن أقبل إلينا، ليصبحوا أعداء عند الشدة، أو كما قال الفرزدق عندما سأله الإمام الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة، قال: «قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية»[1]، يحبونك ولكنهم مع بني أمية فإذا ذهبت إليهم قتلوك. ما هذه المحبة التي تؤدي إلى القتل؟ ما هذا التقدير لمكانة الإمام الحسين عليه السلام أثناء الصلاة حين يدعوه الحر ليؤم الجماعة، ثم يحاربه الجيش لينزل على حكم يزيد؟! أين النصرة؟!

تعصي الإله وأنت تزعمُ حبه	هذا لعمري في الفعال شنيعُ
لو كنت فعلاً مؤمناً لأطعته	إن المحبَّ لمن يُحبُ مطيعُ

لا معنى للمحبة من دون طاعة، لكنهم منحرفون عن الإيمان فهم يتحملون المسؤولية كاملة ولا يمكنهم تحميلها لأحد، وقد أخبرنا القرآن عن الفرق بين الإسلام والإيمان ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، فعندما تنطق بالشهادتين تصبح مسلماً، وإذا

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٦٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

ولدت من أبوين مسلمين تكون مسلماً، لكن العبرة في أن تدافع عن الإسلام، وأن تطبق تعاليم الإسلام، وأن تعمل لنصرة الإسلام، فإذا كنت كذلك تكون مؤمناً، ويكون الإسلام قد دخل إلى قلبك كرسالة. لاحظوا الآيات القرآنية التي تتحدث عن الفلاح والنجاح والانتصار فإنها تتحدث عن المؤمنين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ولم يقل يا أيها الذين أسلموا، لماذا؟ لأن الأمر بالصلاة مطلوب من المسلم على كل حال، ولكن الذي عاش الإيمان هو الذي يؤمل منه أن يتحول إلى التقوى، أمّا الذي لم يدخل الإيمان قلبه فمن الصعب أن يصل إلى التقوى، فالإيمان وصف مباشر لهذا الارتباط بالله تعالى.

سنتعرض لخمس مواصفات أساسية لنكون في صف المؤمنين، ولنكون مع الإمام الحسين عليه السلام. إنها الأعمال المباشرة التي إذا قام بها الإنسان وصل إلى الاطمئنان لكونه في معسكر الإمام الحسين عليه السلام على المستوى العملي وليس على المستوى النظري.

الأمر الأول ـ أو اللبنة الأولى ـ الذي يشكل الأساس لكل هذا الإيمان وهذا الالتزام، وبغيره يصعُب أن يبنى البناء، فلا بناء من دون أسس، وهو العبادات: الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الحج، . . . لأن هذه العبادات ترجمة عملية للإيمان بالخط، فإذا أردت أن تكون

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

مسلماً يكفيك أن تنطق بالشهادتين، أما إذا أردت الإيمان والالتزام بالخط الإسلامي فأول خطوة عملية لك أن تكون مطبقاً لعبادات الإسلام، وإلاَّ فمع عدم أداء عبادات الإسلام يكون الأساس مفقوداً. يجب أن تبدأ بمفتاح باب الإسلام وهو العبادات، حتى تصبح على سكة الإمام الحسين عليه السلام، وإلاَّ تبقى مسلماً عادياً ينطبق عليك ما ينطبق على المسلمين، فدمك حرام ومالك حرام وعرضك حرام، ولكن عند الله تعالى في يوم القيامة ستُسأل: هل صليت؟ فماذا تجيب وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم»[1] وبغيره يكون هدم الدين؟ لأن المرتكز الأساس قد سقط، وعند هدم الدين في النفس الإنسانية، ينهدم في حياته وعلاقاته وفي مجتمعه.

عندما وقفت السيدة الزهراء عليها السلام خطيبة في المسجد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، تطالب بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام، خطبت خطبة رائعة ذكرت في مقدمتها أركان الدين وبعض المعارف الإسلامية ووضَّحت بعض الأهداف للعبادات الإسلامية، فقالت عليها السلام: «جعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبَر»[2]، لأن الذي يصلي يكون متواضعاً لله تعالى، يشعر أنه جرم صغير في هذا العالم، فيبدأ بسلوك طريق الحق وينعكس التواضع على سلوكه. أما المتكبر فيصل إلى الانحراف بسبب الاعتداد بنفسه، وهذا ما حصل مع إبليس الذي رفض السجود لآدم وبالتالي رفض طاعة أمر الله عزَّ وجل بهذا السجود، فقد كان مبتلياً بالتكبر. «والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق»، فعندما

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٤٧، ص٦٦٤.

(٢) التبريزي الأنصاري، اللمعة البيضاء، ص: ٥٢٧.

يدفع الفرد أموال الزكاة والخمس تكون تزكية لنفسه، لأنه عندما يتخلى عن مال يحبه تحت عنوان الحقوق الشرعية فهو حاضر للبذل ولا أحد يراه إلاَّ الله تعالى، فهو عندما يدفع المال قربة إلى الله تعالى، إنما يعبر عن نفسية تخلت عن التعلق به لإيمانها. «والصيام تثبيتاً للإخلاص» فالصوم علاقة بين المؤمن وربه، وتعويد على الامتناع عن الحلال بأمر الله، ولا يعرف سر الصائم إلاَّ الله، ما يعزز الإخلاص. «والحج تشييداً للدين» أي أن اجتماع أعداد كبيرة من الأمة من مختلف الأمصار والألوان في مركز واحد ووقت واحد، بصرخة واحدة، وبقلب واحد، وبعشقٍ واحدٍ لله تعالى، يشيِّدُ هذا الدين بهذه العظمة التي نراها في حج بيت الله الحرام.

فالعبادات إخلاص وتشييد للدين، وامتناع عن الكبر، وتزكية للنفس، إنها عملية بناء متكاملة، فالصلاة والصوم والزكاة ليست ضريبة على الإنسان، بل هي الطريق الموصل إلى الله تعالى. إن المسلمين المتدينين هم أكثر الناس راحة بالبناء التربوي والنفسي، وهذا يفسر قلة الحاجة لعلماء النفس في بلداننا، أمّا في الغرب فالحاجة إلى الطبيب النفسي تكاد تكون شاملة، ذلك لأنهم بأكثريتهم غير مرتبطين بالله تعالى عملياً، ما يؤثر على المستوى الروحي والنفسي، ولا تتحقق السعادة الإنسانية بغير الارتباط بالله جلَّ وعلا.

هذه العبادات ترقى بالإنسان ليتميز بالصفاء وطمأنينة النفس، وقد اطلعنا من سيرة الإمام الحسين عليه السلام، أن عمر بن سعد حرك عسكره لقتال الإمام عليه السلام في التاسع من المحرم، لكن الإمام عليه السلام أرسل العباس إلى القوم وقال له: «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدٍ،

وتدفعهم عند العشية، لعلّنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»[١].

الأمر الثاني أو اللبنة الثانية: معاملات الإسلام التي يجب الالتزام بها، ما هي المعاملات؟ كل علاقة بين شخصين أو أكثر اسمها معاملة، عقد البيع معاملة، الإجارة، التأمين، الزواج، الطلاق، كل هذه الأمور معاملات، سواء أكانت عقوداً أو إيقاعات أو كانت بتفاصيل أخرى، وسواء عبَّرت عن مصالح مادية أو حقوق وواجبات، وقد قسمت الرسالة العملية للفقهاء إلى قسمين: قسم عبادات وقسم معاملات، العبادات لها علاقة بالأداء الشخصي(صلاة، صوم، حج،. .)، والمعاملات لها علاقة بالاحتكاك مع الآخرين حيث يوجد حقوق وواجبات، ولا يتم ضبط المسار في الحياة أو قيام العلاقات الصحيحة بين الناس إلاَّ بالعودة إلى معاملات الإسلام لتمييز الواجب والحرام والمستحب والمكروه والمباح. في إحدى المرات جاءني أحد الأشخاص وقال: عندي مشكلة تجارية مع شخص، وأعتقد أن الحق معي، وسألته هل يقبل بالتحكيم عندك فوافق، لكني جئت قبله لأشرح لك القصة حتى ترى أن الحق معي فأنت تعرفني جيداً، تكلم الأخ عن المشكلة التجارية مع صديقه، وبعد الانتهاء قلت له: قبل أن أرى الطرف الآخر استنتجت أن الحق عليك مائة بالمائة. بادرني بطريقة لا شعورية قائلاً: لكن هذا ظلم، قلت له: هل تقول: إن حكم الله ظالم؟ قال: لا، أعوذ بالله، فقلت له: أنت تسأل عن الحكم الشرعي وليس

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ١٠٦.

عن صداقتي، والحكم الشرعي يقول: إن الحق ليس معك وهو أعدل حكم على وجه الأرض، فإذا أردت أن تكون مؤمناً وملتزماً بطاعة الله يجب أن تلتزم بالحكم الشرعي ولو كان على حسابك ولو لم يعجبك، لأن إدارة الحياة وفق شريعة الله تعالى تتطلب أن نلتزم جميعاً، سواء أكانت النتيجة خلاف رغباتنا الشخصية أو معها .

إن قيمة المؤمن المتدين تظهر في هذه المواقف أثناء المعاملات، أما إذا اعتمدنا على خياراتنا في الحياة اليومية، فلكل واحد منا رغبات تجعله مهيمناً على حقوق الآخرين. إذا اختلف زوجان وتبين أن الموقف الشرعي مع الزوج أو الزوجة، فهل يقول المخطئ للطرف الآخر: إن الحق معه ويعتذر عن خطئه بسبب الموقف الشرعي، هذا الأمر مطلوب في معاملاتنا الإسلامية. علينا عدم الاستخفاف بالأمور الصغيرة، لأن كثرة تراكم المعاملات الخاطئة لا يُبقي في الإسلام شيئاً، ولكن إذا التزم الإنسان بضوابط المعاملات الشرعية فحياته تسير على الخط السليم، وتكون كل معاملاته بحسب الحكم الشرعي، عندها تنضبط حياة الأفراد وتستقيم. أيها المتدين إذا أردت أن تكون موالياً لسيد الشهداء فلتكن معاملاتك وفق الشريعة المقدسة .

اللبنة الثالثة: ترتبط بالموالاة لأولياء الله، نحن نؤمن بالولاية، ونؤمن بعصمة أهل البيت عليهم السلام، وفي غياب الإمام المعصوم الإمام الحجة(عج) لا بدَّ من ولي أمر للمسلمين وهو يتمثل اليوم بآية الله العظمى الإمام الخامنئي(حفظه الله تعالى ورعاه) ويجب علينا طاعته، وهي لا تتوقف عنده فقط بل يجب الالتزام بالتيار الذي يجتمع فيه المؤمنون حوله، هذا التيار يواجه أعداء الله، ويواجه الانحراف، ينتصر

وينكسر، يفرح ويحزن، يتقدم ويتأخر. . . فليست النتائج مهمة إنما المهم أنك مع أولياء الله، ويجب أن تُفتش عن الأولياء من هم؟ لتكون معهم. مشكلة جماعة يزيد أنهم كانوا من أولياء يزيد ولم يكونوا من أولياء الإمام الحسين عليه السلام، لو كانوا من أولياء الإمام الحسين عليه السلام لقالوا كما قال أصحابه كسعيد بن عبد الله الحنفي: «والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حياً ثم أذر، يُفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك»[١] من كان من أولياء الله يكون موالياً لأولياء الله أيضاً، مع الجماعة التي تسير في خط الموالاة، والتي تعمل من أجل نصرة المؤمنين، وعزة المؤمنين، وكرامة المؤمنين، حتى يصبح هذا التيار في المجتمع تياراً قوياً يواجه أعداء الله تعالى. نحن لا نسير مع هذا الخط من أجل الربح فقط، فالذي يسير مع هذا الخط للربح في الدنيا نقول له: إن اختيارك غير دقيق، يجب أن نسير مع هذا الخط على أساس انه خط الله تعالى، حيث يمكن أن نبتلي ويمكن أن ننجح، هذا الخط له تكاليفه وعقباته. إذا أردت أن تكون في معسكر الإمام الحسين عليه السلام فعليك أن تكون مع أولياء الله تعالى، قال الله تعالى لموسى عليه السلام كما ورد في الحديث القدسي: «يا موسى هل واليت لي ولياً أو عاديت لي عدواً»[٢]، وورد في القرآن الكريم ما يحدد خط الموالاة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٣].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٣١٨.
(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص: ٥١٤.
(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ ـ ٥٦.

اللبنة الرابعة: ترتبط بمراقبة ومحاسبة النفس، فأنت تحتك بمنكرات وآثام وعقد وصعوبات ومشاكل اجتماعية يومياً، ما يؤثر على هذا الثوب الداخلي الذي تملكه والذي هو النفس، التي تتأثر وتتلوث ويجب تنقيتها دائماً، وذلك يكون بالمثابرة على أجواء التقوى عن طريق العبادات وغيرها، وأن تحاسب نفسك وتعيد النظر بأعمالك وتراقب أخطاءك، وتؤسس لأداءٍ يعالج الثغرات التي سببت هذه الأوساخ للنفس، فمراقبة النفس تستوعب كل مفردات الحياة الإنسانية لأن العمل يستوعبها. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾(١)، فهي مسؤوليتك في إيصالها إلى التزكية الدائمة.

اللبنة الخامسة: عيشُ روحية الجهاد والشهادة، بالاستعداد للقتل في سبيل الله، بمعنى آخر أن لا يكون متعلقاً بهذه الحياة الدنيا. أما سؤال الأخوات عن كيفية تعزيز روحية الشهادة عندهن وليس عليهن قتال، وهنَّ متحمسات لذلك، نقول لهنَّ: أنتن مجاهدات بما كلفكنَّ الله تعالى به، وعندما يتخرج من بين أيديكنَّ مشاريع الشهداء وتحفظنَّ الأزواج باتجاه العمل في سبيل الله، وتحفظنَّ الأبناء من أجل استقرار الخط الإسلامي، وتتحملنَّ ضريبة الجهاد، فأنتنَّ مجاهدات ولو ماتت الواحدة منكنَّ على فراشها فلها أجر شهيد ولها عمل شهيد بإذن الله تعالى. فالمقصود بروحية الشهادة هي روحية رفض الدنيا، ورفض الآثام والمنكرات، والاستعداد للتضحية بأعلى درجاتها ولو كلفت النفس والمال ليبقى الإسلام عالياً مهما كانت الظروف.

---

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

فإذا توفرت هذه الأمور الخمسة: عبادات الإسلام، ومعاملات الإسلام، وموالاة أولياء الله، ومحاسبة النفس المستمرة، وروحية الجهاد والشهادة، فإن الإنسان يضمن بإذن الله تعالى أن يكون الرجل حسينياً وأن تكون المرأة زينبية، من خلال هذا الأداء المتفاعل مع هذه الأسس واللّبنات الإسلامية، التي تصقل شخصية الإنسان فلا تسقطه الأخطار والانحرافات اليومية(*).

(*) ألقيت المحاضرة في منطقة فتح الله ـ بيروت ـ محرم ١٤٢١هـ.

المحاضرة العاشرة

كيف نهيّىء لوراثة الأرض؟

اختار الله نبيه محمداً ﷺ ليكون الهادي إلى دينه والشاهد على خلقه، والداعي إلى حكمه، فحمل الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصح الأمة: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1]، فكان قدوة للعباد، ومنارة للخلاص، وسبيلاً للنجاة، «أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة، والجهالة الغالبة، والجفوة الجافية، والناس يستحلون الحريم، ويستذلون الحكيم، يحيون على فَترة، ويموتون على كَفرة»[2] كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام، فنهض بأمر الله، ودعا إلى حكمه بالموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة رادّاً كيد المستكبرين، ومدافعاً عن الدين الحنيف، ففتح مكة، وحطّم أصنامها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

أفواج أتى أهلها الله بقلب سليم فصدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وأفواج آمن لسانها ولم يدخل الإيمان قلبها، شعارها النفاق

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥١، ص: ٣٢٣.

ومبتغاها شيء من الحطام الزائل، والكسب للجاه، واعتلاء المناصب، يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلاَّ قليلاً .

وأفواج رأت الإسلام أمامها أمراً واقعاً، فتلبسوا لبوس الدين خائفين مترقبين، يتحينون الفرص للعودة إلى أحضان الشرك والجاهلية، فهم للفتنة حاطبون وللشر باسم الحق والخير فاعلون، وقد نبّأ القرآن عن حالهم وذكر ارتدادهم فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[١] .

ومن هنا تراكمت السلبيات داخل الأمة الإسلامية، ورافقتها مجموعة من الانحرافات في الأفكار والأهداف والقناعات والمواقف، أدت إلى أن انتزى يزيد بسيفه على هذه الأمة: «مستحلاً لحرم الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان»[٢]

وابتدأ الصراع بين الاستقامة التي مثّلها الإمام الحسين عليه السلام، والانحراف الذي مثّله يزيد (لعنه الله)، ونهض الإمام الحسين عليه السلام مصححاً المسيرة، ومحدداً معالمها الصحيحة بهدف إعادة الأمور إلى ما كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستطاع هذا النهج الحسيني الأصيل أن يُثبِّت الخط المحمدي الأصيل على النقاء والاستقامة، ويمهد لوراثة الأرض بمسار ابتدأ مع الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعاملين

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص: ٨٥.

المخلصين من العلماء والمجاهدين، الذين يقومون بتكليفهم ودورهم الرسالي، لتصل البشرية إلى سيادة تعاليم السماء على الأرض، ويعلو الحق وتقوم دولة إمام العصر والزمان: «فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلِئت ظلماً وجوراً»، ويحق الحقّ ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

في غمرة الصراع واشتداده تحقق حلم الأنبياء، فبزغ نور الثورة الحسينية في القرن العشرين بالموقف العظيم للإمام الخميني(قده)، الذي أحيا هذا الدين وأعاد إليه نضارته ومكانته وقدّم فهماً حقيقياً لمضمونه، وأثمرت تلك النهضة المباركة على صعيد لبنان، والعالم الإسلامي بتقديم النموذج الرمز الذي حملت لواءه المقاومة الإسلامية، وحققت أهدافاً مباشرة أبرزها الانتصار المظفرّ على العدو الإسرائيلي في جنوب لبنان، وطرح فكر الإسلام الأصيل بطريقة تنسجم مع عظمة الشريعة وقوتها ومتانتها وقدرتها لأن تدخل إلى كل القلوب والعقول، وما كان هذا ليحصل لولا الارتباط بأولئك العظام الذين أطاعوا الله طاعة حقيقية، فوفقهم الله في مسعاهم وجعلهم أنواراً تمشي على الأرض لتضيء للبشرية باسم محمد وآل محمد .

نحن نعمل كجزء من السلسلة التي تريد تحقيق عدالة الأرض، وتسعى لانتشار معالم هذا الدين المنسجم مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، وتطمع في تحقيق أهدافها الدنيوية والأخروية في آن معاً، وعليه يفترض بنا أن نفكر ونحن ندرس الثورة الحسينية كيف يعمل المستضعفون لوراثة الأرض، وتحقيق العدالة في كل مكان من العالم، لأن قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ

وَنَجْعَلَهُمْ أَيِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[١]، لا يختص بزمان أو مكان واحد، ولا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة إلاَّ بعد أن نكون قد قمنا بما علينا من توفير العوامل الضرورية، ثم يأتي بعد ذلك النصر الإلهي على قاعدة تحقيق الوعد: ﴿... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. لذا يجب أن نتعرف على هذه القواعد حتى نعمل على توفير ظروفها وشروطها ونكون مساهمين في هذه السلسلة التي تحقق وعد الله تعالى على الأرض.

١ ـــ عامل القيادة

تلعب القيادة دوراً أساسياً في مسيرة الحياة، فهي رأس الهرم الذي تقع على عاتقه مسؤولية تعبئة الأمة وتوجيهها، فإذا كان القائد شجاعاً حكيماً منصفاً عادلاً مؤمناً مطيعاً لله تعالى، بثَّ روحيته في الأمة وأصلح شأنها وأعانها على أمرها وأوصلها الى ما فيه صلاحها وأمنها وازدهارها وعزتها ومنعتها، واختيار القيادة التي نثق بها، ونسلمها دماءنا ونعطيها فكرنا لتوجيه قدراتنا في الحياة، هي مسؤولية كل فرد منّا، أما الفشل الذريع فيتحقق عندما نتنصل عن المسؤولية ونرمي الأمور عن كواهلنا وعواتقنا، ونحمِّل المسؤولية لمن تصدى غصباً عنّا ورغماً عن إرادتنا، ونرضى بالظالم لنا حاكماً والمفسد قائداً، ونسحب إرادتنا من ساحة مواجهة الحاكم الظالم، والمحتل الغاشم، ونتحول نموذجاً آخر لأهل الكوفة الذين أدركوا أن إمكانية العيش تحت حكم يزيد هو أمر مخالف للإسلام، ولكنهم عندما تعرضوا للتضحية

(١) سورة القصص، الآية: ٥.
(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧.

تخلوا عن القيادة الحقة، وأغفلوا دورهم الرسالي في تحمل المسؤولية تجاه القيادة الحكيمة المعصومة المتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام، وتذرعوا بالعجز عن مواجهة الظالم، فاختاروا يزيد مع علمهم بأن الإمام الحسين عليه السلام هو الأجدر، الذي يقودهم إلى صلاحهم وفلاحهم. انطلقوا يبررون لأنفسهم، ويمنونها بالنعم التي ستغدق عليهم، وادعوا التفاسير الكثيرة لأفكار خاطئة ابتدعوها من عندهم حتى يخرجوا عن طاعة الإمام الحسين عليه السلام، فدفعوا الثمن باهظاً لأنهم خذلوا الحق ونصروا الباطل، فأوصلوا خلفاء يمتطون شعار الحاكمية لله تعالى كي يقتلوا ويظلموا ويرتكبوا الحماقات والجرائم باسم الإسلام، ما أبعد الأمة عن عزتها وتقدمها، وجعلها تقع فريسة أولئك الذين أساءوا حكم المسلمين باسم الإسلام وباسم المسؤولية.

من هنا يجب علينا أن نتحمل المسؤولية في اختيار القيادة، ونعتبره أمراً أساسياً لا يصح لأحد أن يدَّعي أنه خارج إطار تحملها، فسيشهد كل إنسان على نفسه يوم القيامة، ويعترف بمسؤوليته عن قيادته واختيارها.

عندما ندفن ميتاً نلقنه الشهادتين وأسماء قادته من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ليس التلقين للأموات من أجل الإجابة فقط، بل للأحياء أيضاً حتى يعملوا به ويتمكنوا من الإجابة عندما يموتون. هذا الأمر ليس عابراً بل هو مناط بتكليف كل فرد منّا، ولن نتمكن يوم القيامة من تحميل غيرنا مسؤولية اختيار القيادة، فلن يتحمل أحد يوم القيامة مسؤولية أحد.

اسمعوا هذه القصة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم كتعبير

عن حال الناس في يوم القيامة، وعن حوارهم مع قادتهم وزعماءهم: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[١].

فالضعفاء المنقادون للقادة المنحرفين، سألوا قادتهم في الحياة الدنيا عن سبب دخولهم إلى النار، فلم يستجيبوا لهم، فسألوا زعيمهم الشيطان ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] فالشيطان لا يعترف بأتباعه بل يتخلى عنهم، فهم يتحملون مسؤولية اختيارهم، لأنهم انساقوا بإرادتهم لدعايته وتضليله فاتبعوه، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣].

إن القيادة المسؤولة لا تتخلى عن أتباعها، فهي التي تُرشد وتعلم وتربي وتضحي، وتتحمل مآسي الحياة الدنيا، لتعبُرَ مع أتباعها إلى القيامة السعيدة والمقام الرفيع عند الله، يوم يدعو الله كل إناس بإمامهم، فتلبي النداء ثلة من عباد الله الصالحين يقودهم النبي والأئمة عليهم السلام والقادة المخلصون. لقد وفقنا الله بهذا القائد الملهم الولي الفقيه الإمام الخميني (قده)، ومن بعده الإمام الخامنئي (حفظه الله ورعاه)، لقد قال لنا الإمام

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.
(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

الخميني(قده) عندما دخلت إسرائيل الى لبنان: الخير فيما وقع، قال لنا أيضاً: قاتلوا هذه الجرثومة السرطانية، في الوقت الذي كان يقف البعض معترضاً على قتال إسرائيل: كيف تقاتلونها؟! ستسقط دماء كثيرة دون جدوى!ويدور النقاش حول التحريم، وقد يكون البعض مشتبهاً لكن البعض الآخر كنماذج أهل الكوفة وذرائعهم، فهم يتحدثون تارة عن حقن الدماء، وأخرى عن الضمانات القطعية بالانتصار على العدو من دون ثغرات، ولو كان التفكير بهذه الطريقة الخاطئة لما أطلقنا طلقة واحدة على إسرائيل، إذ لا يملك أحد ضمانة النصر الأكيد، وأننا بهذه الإمكانات المتواضعة قد وفقنا الله تعالى إلى هذه النتائج الكبيرة ببركة المجاهدين والشهداء والنساء والأطفال.

كان الإمام جريئاً وواضحاً وعارفاً بتكليفه على الرغم من الظروف القاسية والصعبة، وكان يعلم أن التضحيات التي تبذل هي التي تصنع المستقبل وتحدد معالمه، فأمرنا وتحركنا بجرأة وطمأنينة، فهو قائد ملهم يتحمل مسؤوليته أمام الله تعالى، وهو قيادة حكيمة تستمد شرعيتها من أيمانها ومن طاعتها لله تعالى، ومن معرفتها وشجاعتها وإقدامها من أجل إحقاق الحق، فسار على خطاه سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي(رض) ومعه المجاهدون الذين وفَّقهم الله تعالى إلى هذا الطريق، ونصرهم نصراً مؤزراً ببركة هذا الاتجاه للقيادة الحكيمة، فكانت البداية والنتائج مصداق الآية الكريمة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

إن انسحاب المسلمين من تولي القيادة المؤهلة للإمام الحسين عليه السلام

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

جعلهم يعيشون المرارات والآلام في حكم يزيد ومن تلاه على نهجه، وكان لتقاعس أهل الكوفة الأثر الكبير في الدماء الزكية التي سالت، ولولا ثبات قيادة الإمام الحسين عليه السلام ومن معه لما توصلنا إلى هذا الإسلام النقي، ولما انكشف لنا زيف الحكام الظلمة، ولما استفدنا من دروس الحياة العملية لننصر الإسلام في مواقع الخدمة للإنسانية مهما كثُرت التضحيات .

٢ ــ عامل القوة

لا يمكن أن ينجز الإنسان عدالة في هذا العالم ويحقق أهداف الإسلام، دون أن يوفر الإمكانات المناسبة والمقومات اللازمة، التي تنسجم مع خطواته العملية وتساهم في حضور الإسلام بقوة وفعالية في الحياة، وذلك بعد أن نوفر التربية الصالحة لأولادنا، ونثقفهم بثقافة القرآن، ونهيء لهم السلوك الحسن ونوجههم باتجاه القيادة الرسالية الجديرة، ونأخذ بأيديهم في أدائهم الرسالي المخلص، حتى يتحول كل واحد إلى قدوة في مجتمعه، فيؤثر ويبني وينشر تعاليم الإسلام ليصبح المسلمون أقوياء بفهمهم لدينهم وإيمانهم والتزامهم، فيستأنسون بالتضحية في سبيله والذود عنه بكل غالٍ ونفيس .

ولا بدَّ أن يرافق هذه التربية على المستوى النظري الإعداد العملي في ساحة الواقع، فلا يمكن للأمة أن تنتصر ما لم توفر المقدمات اللازمة وتقوم بما عليها من الإعداد، وتأخذ موقعها في عملية الصراع، عندها يسدد الله خطواتها ويعينها على أمرها، ويمدها بقوته، ويدعمها بملائكته، ويلقي في قلوب أعدائها الرعب، لذا أمر تعالى بإعداد العدّة

فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ. . .﴾[1]، ولم يشترط سبحانه وتعالى على عباده أن تتفوق قدراتهم القتالية على العدو كي ينزل نصره عليهم ويقهر عدوهم، بل قال: «وأعدوا لهم ما استطعتم» فالمهم أن لا تسقط الأمة بسقوط إرادتها على المواجهة، وأن تقف بإمكانياتها وإن كانت متواضعة لتقاوم وتعمل لتطوير عدتها وعتادتها، وتواجه الظلم وتقاوم الاحتلال بكل الوسائل المتاحة والممكنة، وذلك بالأسلوب المناسب والتوقيت المناسب، فليس المطلوب استخدام القوة كيفما كان، وإنما المطلوب استخدامها في تحقيق الأهداف وبحسب مستلزمات المرحلة والظروف.

عندما نتحدث عن الإعداد فهذا يعني توفير العدد والعدة بحسب الميسور، وبذل الجهود الكافية للتطوير والاستقطاب، وليس الأمر مطلوباً برد الفعل، لأن الإعداد مرتبط بتحصين ساحتنا وقدراتنا في كل زمان ومن كل الأعداء وعندما تتطلب المواجهة ذلك، أما الحديث عن مواكبة قدرة الظالمين فهو جيد إذا تمكنا من ذلك أو أَفسَحوا لنا المجال، لكن لا يجوز اعتباره شرطاً مهما كانت الإمكانات متواضعة، إذ علينا أن نهيئها ولو كانت موقفاً. «فالموقف سلاح والمصافحة اعتراف» كما قال الشهيد الشيخ راغب حرب(قده). وليس المطلوب أن نربط الاعداد بالنصر، لأنه يساعد على تحقيق النصر لكن قد لا يتحقق لأسباب كثيرة، فلا يعني هذا أن نحبط ونتراجع، فالعدة جزء من الإيمان والالتزام اللذان يُهيئان لنا شروط القيام بواجبنا، الذي يُثمر نصراً أو شهادة، وعلينا أن نعيش الرضا في كلتا الحالتين.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

في فلسطين قامت الانتفاضة، وجرت العمليات الجهادية بوسائل ومعدات متواضعة، ورشق المجاهدون القوات الإسرائيلية بالحجارة، وقاتلوها بكل الوسائل المتاحة، وبدأ القلق يستشري في هذا الكيان الغاصب على المصير القاتم، وازدادت توسلات هذا العدو لدى الدول الكبرى كي يسكتوا الانتفاضة خوفاً من سقوطه أكثر فأكثر .

إنَّ القوة المحدودة والإعداد المتواصل المترافق مع الإيمان الكبير بالله تعالى تؤدي إلى هذه النتائج العظيمة بتوفيق الله وتسديده جلَّ وعلا، ومع عدمها لا يمكن الوصول إلى هذه النتائج. ولا ينفع الاكتفاء بالدعاء من دون العمل، كما لا يصح أن نحصر إعدادنا بتوقع النصر دون الهزيمة، إذ قد لا تكون شروط النصر مكتملة، وهذه مسؤوليتنا. ثم إن هذه العدة هي في موقع الدفاع عن النفس والأموال والاستقامة والصلاح، ولا يجوز أن تكون يوماً خارج هذه الدائرة. كما لا يمكن الاعتماد على الامتناع أو أخلاقية الخصوم في إعطاء الحق أو الاعتراف بالصواب، فلطالما حرَّف المستكبرون الحقائق، وقلبوا المنكر معروفاً والمعروف منكراً، فكان لا بدَّ من القوة لحماية الحق وصيانة مكتسباته .

يجب أن نكون جزءاً من هذه المسيرة المباركة التي تصنع جنوداً وأنصاراً للإمام المهدي(عج)، لذا يجب أن نسعى ليلاً ونهاراً لنعدَّ أنفسنا ونعمل لنتقوى ونتربى، فبمقدار ما نكون عليه من جدٍ وإخلاص، وتجسيد لتعاليم الإسلام، وتطبيق لقواعد العدل، نُسرِّع في ظهوره(عج) وهذه مسؤولية تقع على عاتقنا جميعاً .

٣ ـــ عامل الإخلاص لله تعالى

تعلمون أن التقوى والإخلاص والعلاقة مع الله تعالى والتفاني في حبه جلَّ وعلا درجات، فتارة يصلي الإنسان ليرفع التكليف الشرعي عن نفسه، وأخرى تحلق روحه الى بارئها من عظمة التفاعل أثناءها، والفرق بين الصلاتين كبير جداً، فالأول هو الذي يهتم بظاهر الصلاة وحركاتها فلا يخشع قلبه ولا تخضع جوارحه ولا يشعر براحة نفسه وطمأنينتها مع ذكر الله، والثاني هو الأكثر التزاماً حيث يعمل ليكون الأرقى في عبادته، والأنقى في روحيَّته فيؤدي واجباته بأفضل أداء. أما المستويات والدرجات بين هذين النموذجين فهي كثيرة، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم معيار التقييم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾. فهناك التقي والأتقى، والملتزم والأكثر التزاماً، والمضحي والأشد تضحية، إنها مستويات بين الناس، ومن الخطأ أن نكتفي بالحد الأدنى. بعض الناس يقولون بأنهم لا يريدون شيئاً من الله تعالى إلاَّ أن يتزحزحوا عن النار، لكن هذا الهدف ضعيف، يجب أن يكون هدفهم هو الشرب من يد الرسول ﷺ من حوض الكوثر، وأن يكون العمل باتجاه هذا الهدف، عندها قد يؤدي إلى الزحزحة عن النار. يجب أن يكون الهدف عظيماً حتى يكون الأداء عظيماً، فلنفكر بأن لا نبقى على الحدود فهذا يعرضنا لخطر السقوط.

أيها المؤمن حاول أن تكون الأرقى في إيمانك وروحيتك، إبكِ في سجودك وخشوعك وخضوعك لله وإلاَّ فتباكى، لا تكن من الذين يحضرون مجالس عاشوراء من أجل أن يسجلوا حضوراً فقط، بل كن من الذين يحضرون ليأخذوا من دروسها وعبرها، وتباكى لتتفاعل حتى يتعلق

قلبك بالحسين عليه السلام فستشعر أنك معه في كربلاء، وكرر هذا التفاعل وهذا التعلق بالحسين عليه السلام حتى تمتلك الاستعداد والتفاني وروح الاقدام والتضحية والتعبئة العالية وحب الشهادة. وإلاّ فبغير هذه الروحية العالية تتراجع الأمة وتخسر.

ولننتبه لأولئك المتخاذلين الذين يسقطون وقت الامتحان، فالذين أرسلوا الكتب من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام كانوا يتأملون النصر والمكافأة والربح والمكاسب، فهذا شبث بن ربعي وحجار بن أبجر وغيرهما يكتبون له: أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند. لكن عندما دخل ابن زياد الكوفة وهددهم تراجعوا عن كتبهم وموقفهم حرصاً على مصالحهم التي رأوها مع يزيد وعامله ابن زياد، فكان شبث بن ربعي على رأس فرقة من الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، متنصلاً من كتابه وموقفه.

لقد ميز القرآن الكريم بين مرحلتين من مراحل حياة المؤمنين: الأولى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾[1] يعني أن قوة الواحد بعشرة. الثانية: بعد فترة من الزمن عندما خفت روحية المسلمين وكبر ارتباطهم بالدنيا: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] حيث أصبحت قوة الواحد باثنين، فهم بحاجة إلى إعادة

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

تأهيل. أحياناً يكون المؤمن بعشرة وثانية يكون باثنين، وكلاهما مؤمن، لكن روحية المؤمن بعشرة تختلف عن روحية المؤمن باثنين. كلما كانت روحيتنا أكبر كلما كانت نتيجة أعمالنا أعظم، وكلما كان إيماننا أكبر أثَّرنا في المجتمع أكثر، وكلما كانت تضحياتنا متفانية في سبيل الله غيَّرنا الواقع أكثر، وكلما ارتبطنا بمحمد وآل محمد أكثر عشقنا العمل على دربهم وغيَّرنا حياتنا وسلوكنا وتوفقنا وأثَّرنا في جيراننا وأقاربنا ومواطنينا وكل من يعيش معنا .

إنَّ تصعيد هذه الروحية وبناءها بناءً كبيراً وعظيماً وعدم الاكتفاء بالقدر اليسير على قاعدة «فمن زحزح عن النار» يساعد في تحقيق الأهداف الكبرى، في الإيمان العظيم وحسن التربية والعبادة والسلوك. من الضروري أن نبني أنفسنا في مجالس عاشوراء وفي كل اللقاءات على الإخلاص وروحية الشهادة، لأن الرجل الذي يبني نفسه على روحية الشهادة يكون حاضراً لكل تضحية في أي مكان وزمان، إذا كان تكليفه أن يقوم بهذه التضحية وينصر الإسلام وينتصر للإسلام، وبالتالي يحقق أهدافا كبرى لمصلحة هذا الدين. وعندما تكون الأخت أو الأم أو الزوجة أو البنت تملك روحية التضحية فإنها تصبح قوية كزينب عليها السلام وعظيمة كفاطمة عليها السلام، وتعبيء أولادها وتدفع زوجها، وتكون حاملة للّواء في المجتمع، فلا تخشى في الله لومة لائم، وتبقى مسلحة برأيها وموقفها، معلنة بحجابها أنها تريد طاعة الله عز وجل، ولو انحرف كل المجتمع. فالبناء على التضحية وروحية الشهادة يساعدنا لنواجه كل المخاطر والانحرافات في مجتمعنا، فضلاً عن الأعداء الذين يواجهوننا في هذا الوقت .

إذا توفرت هذه العوامل الثلاثة: القيادة والقوة والإخلاص، نكون بذلك قد هيأنا الطريق لنكون جزءاً من المسيرة الإلهية الكبرى. في لبنان كبرنا بديننا ولم نكبر بعددنا، وارتفعنا بتضحياتنا ولم نرتفع بقرار دولي، وتوفقنا لأننا لم نفكر بطريقة عصبية. من أراد أن يبني وطناً عليه أن يبنيه بروحية الإنسان لا بروحية الطائفية، ومن أراد أن ينهض بواقع صعب نعيشه اليوم فعليه أن ينظر الى المصالح الكبرى لا الى المصالح الفئوية، ومن أراد أن يواجه التحديات والصعوبات فلا بد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من صناعة مستقبل بلده على قاعدة أن يتضامن مع الآخرين بما فيه المصلحة. إن المقاومة في لبنان وحدت اللبنانيين لأنها طردت المحتل، ولأنها وجهت هدفها نحو التحرير، أما اليوم فالمطلوب من الجميع أن يتكاتفوا لصيانة التحرير ولمواجهة الأخطار الإسرائيلية التي لا زالت موجودة وتحدق بمجتمعنا(*).

(*) ألقيت هذه المحاضرة في منطقة حي السلم ـ ضاحية بيروت الجنوبية ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المحاضرة الحادية عشرة

الحزن والبكاء في عاشوراء

عاشوراء يغلفها الحزن، ومجالس عاشوراء تركز على البكاء كمفردة أساسية من مفردات الاحياء. وقد روي عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي عليه السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره، وقال:

«إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً».

ثم قال الإمام عليه السلام: «بأبي قتيل كل عبرة».

قيل: وما قتيل كل عبرة يا بن رسول الله.

قال: «لا يذكره مؤمن إلاّ بكى»[1].

يجب أن تبقى عاشوراء مشتعلة في القلوب، ومؤثرة بالحزن لما جرى، وقد شجع أئمتنا عليهم السلام على هذا الحزن، واعتبروه أساسياً في الربط بواقعة كربلاء والتفاعل معها. فعن علقمة بن محمد الحضرمي، عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا علقمة، واندبوا الحسين عليه السلام وابكوه، وليأمر أحدكم من في داره بالبكاء عليه، وليقم عليه في داره المصيبة باظهار الجزع والبكاء،

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٠، ص٣١٨.

وتلاقوا يومئذ بالبكاء بعضكم إلى بعض، في البيوت وحيث تلاقيتم، وليعزِّ بعضكم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب، غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[٢]. وفي زيارة الناحية يقول الإمام الحجة(عج): فلأندبنك صباحاً ومساء ولأبكين عليك بدل الدموع دماً.

يأتي من يقول، لكنكم بذلك تستعيدون تاريخاً بعيداً يصل إلى ١٣٦١ سنة، وتثيرون قضايا تاريخية لا علاقة لها بالواقع المعاصر، وتركزون على نمط من التفاعل لم يقره القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]. فكيف تدعوننا إلى الحزن؟ وكيف تستحضرون التاريخ بكل مفرداته وخصوصياته ليكون في حاضرنا؟

لو تأملوا بالحزن الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وبالبكاء الذي حثونا عليه في مثل هذه المجالس العاشورائية، لوجدوه مختلفاً تماماً عن مضمون الآية الكريمة. فالله تعالى يقول للمؤمنين ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾، أي لا يصيبكم الوهن، والوهن كما قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم تداعي الأكلة على قصعتها. قال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قال قائل: وما

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٠، ص٣١٦.
(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص: ٢١٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

الوهن؟ قال: هو حب الدنيا وكراهية الموت »[1]. فيا أيها الناس، لا تعيشوا حالة من الاستكانة لدنياكم والإقبال على محرماتها، ولا تبتعدوا عن طاعة الله، وإلاً أصابكم الوهن والضعف، هذا إذا كنتم مؤمنين، فالمؤمن متماسك لا يسقط أمام المغريات ولا يكون ضعيفاً أمامها. «ولا تحزنوا» على ما فاتكم وما خسرتم وما فقدتم، فهذه أمور لن تعود مرة ثانية، ولا تستطيعون بحزنكم أن تغيروا النتائج الحاصلة. هل يمكنكم إعادة الميت العزيز؟ هل يمكنكم تعويض خسارة المال؟ هل يمكنكم استرداد سنوات حياتكم التي مرت؟ إن ما خسرتموه قد ولى فلا تحزنوا عليه، فحزنكم يؤلمكم ويسقط فعَّاليتكم، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[2] من أمور خاصة بدنياكم وهي غير قابلة للعودة والاسترجاع بواسطة الحزن.

أما حزن كربلاء فهو مختلف عما نهى عنه القرآن الكريم، إنه حزن من نوع آخر، إنه حزن الحب والعشق للحسين عليه السلام، إنه استحضار لشخصية ورمزية وأعمال الحسين عليه السلام في حياتنا اليومية وفي تربيتنا لأولادنا ومجتمعنا. حزننا على الحسين عليه السلام يربينا على طاعة الله، فهو ليس استعادة للماضي بل تربية للحاضر والمستقبل. حزننا على الحسين عليه السلام يعلمنا كيف نتحمل المآسي والمصاعب، لأن أي مأساة أو صعوبة يمكن أن تواجهنا في حياتنا، لن تكون كالمأساة التي واجهت الإمام الحسين عليه السلام. ألا نقول لامرأة فقدت ولدها تأسي بالإمام الحسين عليه السلام، فقد فقدت ولداً لكنَّه فقد الولد وأهل البيت والأصحاب في

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص: ١١٠.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

معركة واحدة في ساعات محدودة. إذاً الحزن وعيش المأساة للتربية لا للاستكانة أو القعود أو السقوط .

وهل يعقل أن تمر واقعة كربلاء مع آلامها ومراراتها وعذاباتها دون أن تتحرك مشاعر الحب والألم!؟ وهل يعقل أن تقطع الرؤوس وفي مقدمتها رأس سيد شباب أهل الجنة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام دون أن نشعر بحرقة على ما آلت إليه الأمور!؟ أليس التنكيل بالأطفال والنساء والسبي لهم إضافة إلى قتل الطفل الرضيع عبد الله من الأمور التي تهتز لها الدنيا ويشتعل عليها قلب الإنسانية!؟ أليست مجريات كربلاء مأساة حقيقية تذرف لها الدموع وتنكسر لها القلوب!؟ إنَّ البكاء والتفاعل العاطفي مع عاشوراء شهادة على صفاء النفس، ومؤشر لقابلية الاندماج مع الثلة المؤمنة الطاهرة، وإشارة إلى الاستعداد الحسيني. ومن الطبيعي أن يكافأ المرء ويثاب على بكائه وحزنه، فقد خطا خطوة في سبيل الله تعالى. وقد قال الإمام الخامنئي حفظه الله ورعاه: «فلكم أن تتخيلوا الآن كم كان شاقاً وعظيماً ذلك الجهاد الذي خاضه إمامنا الحسين عليه السلام . فأي إنسان لا تهتز عواطفه من فاجعة استشهاد مثل هذا الإنسان العظيم الطاهر المعصوم، الذي كانت الملائكة تتسابق لرؤية وجهه المنير، والذي كان يتمنى الأنبياء والأولياء أن يكونوا في منزلته؟ وأي إنسان حر يعرف مغزى تلك الفاجعة ويفهم أهدافها ثم لا يشعر بالارتباط القلبي والعاطفي معها؟»[1].

هل رأيتم أننا ندعو للبكاء أثناء إحياء المجالس الحسينية لنقعد؟! إن هذه المجالس قد حركت مشاعرنا لكراهية الباطل وتأكيد الموقف المقاوم

(١) الإمام الخامنئي (حفظه الله)، الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات، ص: ١٢٩.

لمواجهة أعداء الله تعالى بحب الحسين وعشقه، هذا الذي تربيناه منها. فنحن نبكي لنتذوق حلاوة الإيمان بحب الحسين عليه السلام. وعندما نتذكَّر الثلة المؤمنة التي قاتلت معه ولم تتجاوز المئة في مقابل الثلاثين ألفاً عدا من خلفهم، والتي لم تخف في الله لومة لائم، ونعيش معها لحظات التخلّي عن الدنيا، تقوى عزائمنا ويتبدَّد خوفنا ويضعف تعلقنا بالحياة.

البعض يعتبر أن المجالس العاشورائية هي للتكفير عن ذنب عدم المشاركة مع الحسين عليه السلام، أو الاعتذار من هذه الكارثة التاريخية! وهذا إدعاء عجيب! فنحن مسؤولون عما يحصل في الحاضر، أما يزيد فهو غير موجود بشخصه في الحاضر، لكنه موجود من خلال وجود الباطل وكل من يحمل لواء هذا الباطل، سواء أكان حاكماً ظالماً أو عدواً لئيماً أو مستكبراً جائراً أو أي جهة من الجهات التي تواجه أصحاب الحق. ويكون تأكيدنا بالولاء للإمام الحسين عليه السلام أن نقف إلى جانب الحق ومن يمثله في حاضرنا من قائد ملهم أو مقاومة شريفة أو مستضعف محق ...

البعض الآخر يعتبر استحضار الماضي مثيراً للخلافات بين المسلمين!لماذا؟ نحن لا نصنف أحداً من الناس على أساس تاريخ آبائه وأجداده، فمن يعيش في الزمن المعاصر لا يتحمل أي مسؤولية عن الماضين، سواء أكانت إيجابية أم سلبية. فأعمال الإنسان هي التي تصنفه، إذ يمكن أن يكون حسينياً في سلوكه وأدائه، ويمكن أن يكون يزيدياً بباطله وظلمه وانحرافه، ولا علاقة لنسبه في هذه النتيجة. فالآية الكريمة واضحة: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

إن أبناء الحسين عليه السلام هم الحسينيون بأعمالهم، وعندما نقول بأن أبناء المقاومة الإسلامية حسينيون، فنحن لا نعطيهم هذا اللقب منحة، لقد أخذوه بجهادهم وتضحياتهم وسجودهم وعشقهم للحسين عليه السلام وحملهم السلاح من أجل الحق ودحرهم للأعداء في سبيل الله. إنهم حسينيون بالعمل لا بالتسمية ولا بالألقاب.

ليست الدعوة إلى البكاء حزناً للاستسلام، بل هي في سبيل الله تعالى، وهي مربية وموجهة، فها هو القرآن الكريم يدعونا إلى البكاء مع الخشوع له، ويعطينا نموذج الذين أُوتوا العلم يبكون من خشية الله تعالى ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1].

لأن شعور الإنسان بضعفه، وبكاءه في جوف الليل المظلم، واستحضاره لتقصيره في الحياة اليومية ولعدم نصرته الكافية للحق، يولد لديه التصميم على تجاوز الضعف بقوة الله تعالى، وبمساندة الحق، والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. فالبكاء والحزن تعبير عن الضعف الذي يحتاج إلى عون الله تعالى لتجاوزه. وها هي مجالس عاشوراء، مجالس حب أهل البيت عليهم السلام، مجالس التعرف على الإسلام العظيم بتجربته الرائدة، مجالس تربية الأجيال الصاعدة، تعطينا تحصيناً للسلوك والأخلاق وضبطاً للالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه[*].

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩.

(*) ألقيت هذه المحاضرة في بعلبك ـ محرم ١٤٢٢هـ.

المصادر

*** القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

*** ابن أبي طالب، الإمام علي عليه السلام.**

ـ نهج البلاغة، شرح السيد عباس الموسوي، دار الهادي، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م.

*** ابن الأثير، ت ٦٣٠ هـ.**

ـ الكامل في التاريخ.

*** ابن أعثم الكوفي، أحمد، ت ٣١٤ هـ.**

ـ الفتوح.

*** ابن حنبل، الإمام أحمد، ت ٢٤١ هـ.**

ـ مسند أحمد، دار صادر، لبنان.

*** ابن شهر آشوب، ت ٥٨٨هـ.**

ـ مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١٩٥٦.

*** ابن طاووس الحسيني، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، ت ٦٦٤ هـ.**

ـ اللهوف في قتلى الطفوف، نشر أنوار الهدى، قم، ط١، ١٤١٧ هـ.

*** ابن منظور، ت ٧١١ هـ.**

ـ لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم، ط١، ١٤٠٥ هـ.

* **الإربلي، ابن أبي الفتح، ت ٦٩٣ هـ.**
- كشف الغمة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥ م.
* **الأزدي، أبو مخنف، ت ١٥٧ هـ.**
- مقتل الحسين عليه السلام، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨ هـ.
* **الأميني، الشيخ عبد الحسين، ت ١٣٩٢ هـ.**
- الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٧٧ م.
* **البحراني، الشيخ عبد الله، ت ١١٣٠ هـ.**
- العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، مطبعة أمير، قم، ط١، ١٤٠٧ هـ.
* **التبريزي الأنصاري، محمد علي، ت ١٣١٠ هـ.**
- اللمعة البيضاء في شرح خطب الزهراء عليها السلام، نشر الهادي، ط١، ١٤١٨ هـ.
* **الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن.**
- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، لإحياء التراث، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
* **الحرَّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**
- تحف العقول، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
* **الحسني، هاشم معروف، ت ١٩٨٣ م.**
- سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.
* **الحلّي، ابن نما، ت ٦٤٥ هـ.**
- مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.
* **الخامنئي، الامام علي الحسيني (حفظه المولى).**
- الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، لبنان.
* **الخميني، الامام روح الله، ت ١٩٨٩م.**
- ثقافة عاشوراء، مقالات الندوة الدولية الثانية.
- نهضة عاشوراء، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (قدس سره).

*** الخوارزمي، أبو مؤيد، ت ٥٦٨ هـ.**

ـ مقتل الخوارزمي.

*** الدينوري، أبو حنيفة، ت ٢٨٢ هـ.**

ـ الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٠ م.

*** الريشهري، محمدي.**

ـ ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦ هـ.

*** السيوطي، جلال الدين، ت ٩١١ هـ.**

ـ الدر المنثور، دار الفتح، جدة، ط١، ١٣٦٥ هـ.

*** الصدوق، محمد بن علي الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ.**

ـ الأمالي، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
ـ الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.
ـ علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف،١٩٦٦ م.
ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٩٨٤ م.

*** الطباطبائي، العلامة محمد حسين.**

ـ الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧١م.

*** الطبرسي، احمد بن علي بن أبي طالب، ت ٦٢٠هـ.**

ـ الاحتجاج، منشورات دار النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٦م.

*** الطبري، ابن جرير، ت ٣١٠ هـ.**

ـ تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

*** الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠ هـ.**

ـ تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.

ـ الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧ هـ.

*** عبد الرحمن، عائشة.**

ـ عقيلة بني هاشم.

*** عبد الوهاب، الشيخ حسين، القرن الخامس.**

ـ عيون المعجزات، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.

*** العسكري، السيد مرتضى.**

ـ معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٠ م.

*** القرشي، الشيخ باقر شريف.**

ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٤م.

*** الكليني، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩ هـ.**

ـ الكافي، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨ هـ.

*** لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام.**

ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، دار المعروف، طهران، ط٣، ١٩٩٥ م.

*** المجلسي، العلامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

ـ بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

*** المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، ت ٤١٣ هـ.**

ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد، ١٤١٣ هـ.

*** الموسوي المقرم، عبد الرزاق، ت ١٣٩١ هـ.**

ـ مقتل الحسين عليه السلام.

*** النوري، الحاج ميرزا حسين.**

ـ مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء) :

* ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سادسة)
* ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة سابعة).
* ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة خامسة).
* ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة سابعة).
* ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة خامسة).
* ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة رابعة).
* ٧ ـ حقوق الناس (طبعة رابعة).

* رسالة الحقوق بأجزائها السبعة مجموعة في علبة فنية.

* حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة سابعة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة رابعة).
* قصتي مع الحجاب (طبعة سابعة).
* الشباب شُعلة تحرقُ أو تضيء (طبعة ثالثة).
* المهدي المخلص (طبعة ثالثة).
* مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمَّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ١ـ ٥٤٥٨٠٠/ ٠١ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP: //WWW.naimkassem.net.Email:info@naimkassem.net